

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "أبي بكر بلقايد" - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات العربيّة

بعنوان:

الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في قراءة نافع

إشراف الأستاذ:
أ.د. عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب:
أ.د. راشد شقوفي

أمام لجنة المناقشة المكونة من الأعضاء:

رئيسا	جامعة وهران	أستاذة التعليم العالي	أ.د. صفية مطهري
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الجليل مرتاض
عضوا	ملحقة جامعة تلمسان بمغنية	أستاذ محاضر	د. أحمد دواح
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د. ناصر بلخيتير
عضوا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عابد بوهادي
عضوا	جامعة الشلف	أستاذ محاضر	د. أحمد بن عجمية



السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "أبي بكر بلقايد" - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات العربيّة

بعنوان:

الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في قراءة نافع

إشراف الأستاذ:
أ.د. عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب:
أ.د. راشد شقوفي

أمام لجنة المناقشة المكونة من الأعضاء:

رئيسا	جامعة وهران	أستاذة التعليم العالي	أ.د. صفية مطهري
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الجليل مرتاض
عضوا	ملحقة جامعة تلمسان بمغنية	أستاذ محاضر	د. أحمد دواح
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د. ناصر بلخيتير
عضوا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عابد بوهادي
عضوا	جامعة الشلف	أستاذ محاضر	د. أحمد بن عجمية



السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الآية 111 من سورة طه

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾

﴿ الْعَلِيمُ ﴾

الآية 126 من سورة البقرة

الإهداء

إلى العزيزين على نفسي، القريين إلى قلبي
إلى من خففا عني الآلام بالعطف والإحسان
وهيّا لي سعادة الحياة بالجهد والتّضحيات
وأنا را لي الطريق للعلم والمعرفة

أمّي العزيزة حفظها الله ورعاها وعافاها من كلّ سوء؛

وروح والدي رحمه الله ورزقني رضاه وجعل الجنة مستقرّه ومثواه؛
إلى رفيقة العمر الصابرة الوفية التي رافقتني في رحلة التعب والجهد
أمّ فردوس؛

إلى فلذات كبدي: فردوس وأحمد عبد القادر (شفاه الله) وجاد؛

إلى روح أخي أحمد، الذي فارقنا قبل مناقشة هذه الأطروحة ببضعة
أسابيع، وقد كان حريصاً في حياته على إتمامي لهذا العمل، عليه رحمة الله؛

إلى إخواني وأخواتي وكلّ عائلتي وأسرة زوجتي؛

إلى علمائنا في برزخهم بعدما أفنوا حياتهم في خدمة لغتهم والدين؛

إلى أستاذي الفاضل: الدكتور المهدي بوروبة شفاه الله وعافاه؛

إلى أستاذي الفاضل: الدكتور عبد الجليل مرتاض حفظه الله ورعاها؛

إلى كلّ من جعل من العلم طريقاً إلى الهدى فصابر وصبر؛

وإلى كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد؛

أقدم ثمرة هذا الجهد هديّة تقديرٍ وعرّفانٍ بالجميل.

والله الموفّق

راشد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضّل العربية بأن اختارها لغة القرآن وزيّن الإنسان بالكلام
والبلاغة والبيان، والصلاة والسلام على خير الأنام وسيد الخلق أجمعين، وعلى آله
وصحبه الغرّ الميامين؛ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ
لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ أما بعد...

فلقد اهتمّ العلماء، قديماً وحديثاً، بتتبّع ودراسة الظواهر الصوتية للغة، نظراً لما
يعتري الأصوات اللغوية من تطوّر وتغيّر وتبدّل، وحاولوا تفسيرها، وتحديد
أسبابها وأهمّ مظاهرها؛ ذلك أنّ الدراسة الصوتية هي الركيزة الأساس في البناء
اللغويّ، فاللغة هي في الأصل نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها
الإنسان منذ آلاف السنين قبل أن يكتبها؛ ولقد كان علماء العربية القدماء على
وعي تامّ بذلك؛ وليقينهم أنّ النظام الصوتي هو الجانب العملي للغة، فقد اعتنوا
عناية خاصّة بتحديد هوية العنصر الصوتي وتشخيصه استناداً إلى تحديد مخرجه
وصفاته؛ غير أنّهم لم يكتفوا بدراسة الأصوات اللغوية منفردة خارج مدرج
الكلام، لأنّها تبقى قاصرة، فعملية التبليغ إنّما تتم باتصال هذه العناصر بعضها
ببعض وفق نظام خاص، وهو ما يُعرف بتركيب الأصوات اللغوية.

وقد تستثقل اللغة العربية بعض التراكيب في أبنيتها، فتقوم بالعدول عن الأصل
إلى الفرع، فراراً من ذلك الثقل، وتحقيقاً للانسجام الصوتي، وتيسيراً للنطق
بتقليل الجهد العضلي، مع مراعاة القواعد التي تعارفَ عليها العرب وعدم
الإخلال بالمعنى العام للكلام؛ ولتحقيق ذلك كلّه تستعين العربية ببعض الظواهر
الصوتية، ومن أهمّها الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية، التي تتصرّف في
العلاقات التي تربط الأصوات بعضها ببعض، وهذه العلاقات إمّا أن تكون علاقة
تباعد، أو تكون علاقة تقارب أو تجانس؛ فإذا كان الصوتان المتجاوران

متباعدين في الصّفات أو المخارج، تأثر أحدهما بالآخر أو بصوت ثالث غيرهما، وتحوّل إلى صوت يُماثل مجاوره، وبذلك تحدث المماثلة الصوتية؛ أمّا إذا كان الصوتان المتجاوران متمثلين أو متقاربين في المخرج أو الصفة، وحدث بسبب ذلك ثقلٌ مستكرهٌ، فإنّ العربية تلجأ إلى إبدال أحدهما صوتاً آخر، غالباً ما يكون صوت علة أو صوتاً من الأصوات المائعة، وبذلك تحدث المخالفة الصوتية.

إنّ المهتمّين بعلم الأصوات الحديث قد تناولوا هذه الظواهر الصّوتية وفق منهج علمي دقيق، واستطاعوا تحديد كلّ جزئياتها وتفصيلها، فأوضحوا أنّ المماثلة الصّوتية (Assimilation) تتمّ حين تتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، سواءً أكانت صوامت أم صوائت، فيفقد الصّوت المتأثر، في كثير من الأحيان بعض خصائصه، وفي أحيان أخرى يفقد كلّ خصائصه ويكتسب خصائص الصّوت المجاور له؛ فيحدث بينهما نوع من التوافق والانسجام؛ وعلى عكس ذلك، فإنّ تجاور الأصوات المتماثلة أو المتقاربة يؤدّي، في كثير من الأحيان، إلى حدوث تصدّع يمس أبنية اللّغة العربيّة، ويستثقل تركيبها، فتلجأ العربيّة حينئذٍ إلى ملاذ غير المماثلة لتحقيق الأهداف نفسها، من درء الثقل و طلب الخفة والتيسير في النطق ورأب ذلك التصدّع، فتتخذ من التّخالف والمغايرة بين تلك الأصوات سبيلاً لذلك؛ وقد جعل بعض الصّوتيين المحدثين هذا التغير الصوتي المضاد للمماثلة، نوعين: نوع في حالة كون الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف غير متّصلة وأسموه المخالفة مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Dissimilation)؛ وآخر يخصّ الوحدات المتصلتين وأسموه التنويع (Différenciation).

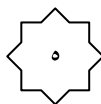
فهل عالج علماء العربية القدامى الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية بالطريقة نفسها؟ وهل اتّسمت معالجاتهم لمسائلها بالشمولية والاستقلالية؟ وهل استندوا إلى منهج واضح المعالم؟ أم أنّهم تناولوا جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة وبمسميات متعددة، أو ضمن ظواهر لغوية متفرقة كالإعلال والإبدال والإدغام والتفخيم والإمالة وغيرها من مسائل الصّرف والنحو؟ وكيف كانت معالجة القراء وعلماء التجويد والقراءات لهذه الظواهر الصوتية، مقارنة بمن سبقهم من النحاة واللغويين، خاصة وأنّ دراساتهم الصوتية كانت عملية تطبيقية أكثر منها نظرية من خلال ما أثبتوه من قواعد التجويد؟ وكيف تجلّت الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في أحكام قراءة القرآن الكريم، وهي أحكام تتبدّل وتتغيّر بتغيّر مواقع الأصوات في التركيب؟ وما هي مواطن ظهورها في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق؟ إنّ الحقيقة التي لا جدال فيها أنّ بصمات علماء التجويد والقراءات لا تزال واضحة المعالم في هذا الجانب، فجهود ابن مجاهد (ت324هـ) وأبي عمرو الداني (ت444هـ) وابن الجزري (ت833هـ) وغيرهم في المجال الصوتي كثيرة ومتعدّدة، إذ كانت مرتبطة بالقرآن الكريم، وخاصة بعد أن دخل في الإسلام أقوام لغاتهم الأصلية مختلفة، فحدث احتكاك لساني بين لغاتهم واللغة العربية، وتسلّلت بعض الظواهر النطقية إلى ألسنة بعض العرب، ولم يسلم القرآن العظيم من ذلك، حيث ظهرت تلك الظواهر الغريبة في أداء آياته، وذاع اللحن في أواخر القرن الأوّل الهجري، فحشي علماء الإسلام على اللغة العربية الفصحى وعلى القرآن الكريم، وتوجّب عليهم أن يُحدّدوا المعايير النطقية الصحيحة ليكون الأداء القرآني سليماً، وبذلك وُضعت الأسس الأولى لعلم التجويد إلى أن استوى علماً ناضجاً قائماً بذاته.

وقد أحببت أن أفتني في بحثي المتواضع هذا أثر أسلافنا القدماء وعلمائنا الأجلاء، الذين أفنوا حياتهم في خدمة لغتهم وقرآن ربهم فأفادوا عصرهم، واستفاد منهم من جاء بعدهم، أقرّ بفضلهم من أقرّ، وجحده من جحد، على أن لا أغفل أو أبخس العلم الحديث حقّه في دفع عجلة العلم إلى الأمام. ولعلّ ميولي إلى الجانب الصوتي في الدراسات اللغوية، وحبّي للرياضيات، من أهمّ دواعي اختياري لهذا الموضوع، كون اللغة هي أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، ثمّ كون الدراسات الصوتية تعتمد بالأساس على المنطق الرياضي. وقد جعلتُ موضوع القراءات القرآنية مطلبي وغايتي، لأنّها تناولت الكثير من الضوابط الأدائية التي قد لا نجدّها في مصادر اللغة العربية، ككُتب الصّرف والنحو؛ ثمّ للإحساس الذي أجده عند تلاوتي للقرآن الكريم، وما يحويه من كنوز لسانية مختلفة ومتعدّدة؛ وقبل هذا وذاك لاستنادها إلى الدقّة في التوثيق والنقل، ولما فيها من المادّة الوفيرة التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى، وما تضمّنته من تطبيقات للدراسات الصوتية؛ فالقرآن الكريم نسخة تاريخية موثوقة، ونصوصه هي النصوص الوحيدة التي وصلتنا منطوقة، وبقية النصوص وصلتنا ميتة (مكتوبة).

واخترتُ من القراءات القرآنية قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق أنموذجاً لدراستي هذه، لما لها من خصوصيات في مغربنا العربي، بوصفها القراءة المعتمدة في معظم دول المغرب العربي، فهي تُدرّس في مساجدنا ومعاهدنا ويتداولها أغلب القراء في بلدنا الجزائر؛ ولما تميّزت به عن غيرها من القراءات، فهي وإن اتّفقت مع باقي القراءات القرآنية في أداء بعض الظواهر الصوتية، إلّا أنّها تختلف في أداء بعضها الآخر، شأنها في ذلك شأن اللهجات العربية القديمة.

وما زادني إصرارا على المُضيِّ قُدُماً في بحثي الذي وسمته «الظواهر الصوتية التمثالية والتخالفية في قراءة نافع» هو قلة البحوث والمصنّفات التي عنيت بهذه القراءة، مثل: (السبعة في القراءات) لابن مجاهد (ت324هـ)؛ (الحجة في علل القراءات السبع) لأبي علي الفارسي (ت377هـ)؛ (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)؛ (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو الداني (ت444هـ)؛ (الإقناع في القراءات السبع) لابن علي الأنصاري المعروف بابن الباذش (ت450هـ)؛ (حز الأمامي ووجه التهاني في القراءات السبع) للشاطبي (ت590هـ)؛ (النشر في القراءات العشر) و(تراجم القراء حسب طبقاتهم) لابن الجزري (ت833هـ)؛ (غيث النفع في القراءات السبع) لسيدي علي الصفاقسي (ت1118هـ)؛ (الإضاءة في بيان أصول القراءة) لعلي محمد الضبّاع (ت1380هـ)؛ وأقلّ من هذا القليل ما خصّها لوحدها بالدراسة، مثل: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع) لإبراهيم المارغني (ت1349هـ)؛ (الجامع لأحكام روايتي ورش وقالون عن نافع) لمصطفى أكرور؛ وبعض الرسائل والمطويات، مثل: (شرح رسالة قالون فيما خالف فيه قالون ورشاً) لعلي محمد الضبّاع؛ فهذه الدراسات والبحوث-على قِلَّتِها- لم تتناول قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق من كل جوانبها وخاصة الجانب الصوتي منها، إذ فيها من الظواهر الصوتية ما يتطلب الوقوف عليه ملياً.

غايتي في ذلك هو إبراز مكونات تراثنا الغنيّ ، بالدراسة والبحث والتنقيب؛ وإحياء التراث اللساني في مجال الصوتيات العربية والاستفادة منه في خدمة اللغة العربية وضبط معايير الأداء الصوتي، مع الاستفادة من منجزات



البحث اللساني الحديث، وتفسير بعض أحكام القراءات القرآنية تفسيراً صوتياً، على أن يكون هذا التعليل والتفسير فرعاً، لأن الأصل في أحكام التجويد هو التلقي والمشافهة والنقل؛ وقبل هذا وذاك اتّخاذ تراثنا الثريّ حصناً منيعاً ضدّ الغزو الثقافي، الرّامي إلى طمس هويّتنا الإسلامية والعربية، بالقضاء على مقومات أمّتنا بدءاً بلغتها ووصولاً إلى دينها؛ ففي تراثنا ما يكفينا عن تكفّف الناس، إن قرأناه بوعي ودقّة وإمعان؛ فإذا حصل ذلك لبسنا درعه المتين، وولّجنا ثقافة الغربيين، دونما خوف أو ذلّة أو لين، بل بثبات وعزم ويقين، فنستفيد من صوابهم ونُفيد، ونأخذ منهم المليح ونترك القبيح، حتى لا تذوب شخصيتنا وثقافتنا في ثقافة غيرنا، وحتى لا ننبهر بمنجزات الغربيين ونأخذ منهم الغث والسمين؛ فلنصدّر بضاعتنا للأمم أولاً، ثم بعد ذلك نستورد منهم ما يُفيدنا، وقبل عرضها لا بدّ من دراستها والإمام بها، وتقديمها صحيحة سليمة للقارئ والباحث العربي والأجنبي على السواء؛ ولا أعني بذلك أن في بضاعتنا العِصمة والكمال، فهي من صنع البشر، وإّما العِصمةُ للأنبياء والكمالُ لله، بل أعني أن خطأها يسير والنقص فيها قليل، لاستنادها على كلام ربّ العالمين وحديث نبيّه الكريم؛ ولا أريد بذلك أن نبقي في كنف (كان أبي)، وإّما أن نقتفي أثرهم ونُكمل ما نُقص من عملهم أو نُصحح خطأهم؛ وقد أعجبنى إشارة أحد الباحثين إلى أنّنا بحاجة ماسّة، في هذا العصر، إلى مدرسة خليلية حديثة تنظر إلى التراث من منظور حديث.

وقد اعتمدت في بحثي المنهج الوصفي، بوصف الظواهر الصوتية التّمائليّة والتّخالفية وما اشتملت عليه من عناصر وصفاً دقيقاً، وتحديد خصائصها، وكيفية تداولها بين النّاطقين بالعربيّة، قديماً وحديثاً؛ وكذا دراسة البنى الوظيفيّة وسياقاتها وطبيعتها فونيماتها التركيبيّة، مستعينا بالإجراء التحليلي. وارتأيت أن أبدأ بدراسة هذه الظواهر الصوتية، من منظور القدماء والمحدثين، قبل

تتبع مواطن حدوثها في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق ، لأسباب دراسية، الهدف منها إعطاء فكرة عن خصائص وأنواع هذه الظواهر الصوتية قبل بسطها في هذه القراءة؛ فعرضتُ مباحث هذه المذكورة وفق خطة تمثلت في مدخل وبابين بأربعة فصول وخاتمة، مرسومةً على الشكل الآتي:

المدخل: دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية.

الباب الأول: الظواهر الصوتية التماثلية في قراءة نافع.

الفصل الأول: المفهوم والتفسير الصوتي للظواهر التماثلية.

أولاً: تركيب الأصوات اللغوية.

1 - مفهومه عند علماء العربية القدامى.

2 - مفهومه عند المحدثين.

ثانياً: الظواهر الصوتية التماثلية.

1 - مفهومها عند علماء العربية القدامى.

2 - مفهومها عند المحدثين.

الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع.

الباب الثاني: الظواهر الصوتية التخالفية في قراءة نافع.

الفصل الأول: المفهوم والتفسير الصوتي للظواهر التخالفية.

أولاً: عند النحاة واللغويين القدامى.

ثانياً: عند المحدثين.

الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع.

الخاتمة.

وقد أعانني، في بحثي هذا، مجموعة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، ككتب القراءات والصرف والنحو، وخاصة كتاب (النجوم الطوالع على الدرر

اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع) لإبراهيم المارغني (ت1349هـ) الذي أفادني كثيراً في تحديد مواطن الظواهر الصوتية التمثالية والتخالفية في قراءة نافع؛ وكذا كتاب (أحكام قراءة القرآن الكريم) لمحمود خليل الحصري (ت1401هـ)؛ و(كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)؛ و(الكتاب) لسيبويه (ت188هـ)؛ و(معاني القرآن) للفراء (ت207هـ) والأخفش (ت215هـ)؛ والكتابين العظيمين (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب) لابن جني (ت392هـ)؛ وغيرها من الكتب الكبيرة التي أفادت بحثي الشيء الكثير.

أما الدراسات الحديثة التي أفدت منها كثيراً، فهي تلك التي تناولت جانباً مهماً من هذه الظواهر الصوتية، وفي مقدمتها رسالة دكتوراه الدولة لأستاذي الفاضل المهدي بوروبة - شافاه الله وعافاه، والتي تناول فيها هذه الظواهر عند النحاة واللغويين القدامى وعند المحدثين، كما أفدت أيضاً من الجهود الجبارة التي قام بها بعض الأساتذة المعاصرين كالدكتور إبراهيم أنيس في كتابه «الأصوات اللغوية»؛ والدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث» و«أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»؛ والدكتور غالب فاضل المطلي بكتابه «في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد»؛ أو ما ذكره بعض الدارسين في ثنايا كتبهم أمثال الدكتور عاطف مدكور حيث تناول في كتابه «علم اللغة بين التراث والمعاصرة» هذه الظواهر في باب التغيير اللغوي؛ والدكتور أحمد مختار عمر الذي تناولها في كتابه «دراسة الصوت اللغوي» أثناء حديثه عن التطور في أصوات اللغة العربية؛ والدكتورة فدوى محمد حسان من خلال كتابها «أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في

القرآن الكريم»؛ وغيرها من الجهود التي وإن لم تخصّ هذه القراءة وهذه الظواهر بالدراسة إلا أنّها أفادتني كثيراً في إنجاز هذا البحث.

وإنّي لأعترف أنّ مجال بحثي هذا وعرّ المسالك، إلا أنّي بذلتُ قصارى جهدي لأستوفيه حقّه، فإن أصبتُ فمن الله تعالى وحده، وذلك ما أردت؛ وإن أخطأتُ أو أخفقتُ، فمن نفسي وتقصيري؛ وليس ذلك عن سوء خُلُقٍ أو فسادٍ ضمير، وإنما هي طبائع النفس والعادات، أو سهوٌ، أو كثرة المشاغل وقلة الأوقات؛ وأستحضر في هذا المقام قول **عماد الدين الأصفهاني**: «إنّي رأيتُ أنه لا يَكْتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّرتُ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قدّم هذا لكان أجمل، ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، ودليل استيلاء النقص على البشر، ولا يُقدَّرُ ولا يكون إلا ما أرادَه وقضاه من أمره بين الكاف والنون».

مُتمنياً أن يكون إسهامي بمجهودي المتواضع هذا إثراءً للبحث اللغوي، وأن يكون إضافة علمية فكرية ولَبِنَةٌ في صرح الصوتيات العربية، مدعاة للنقاش، مُحَفِّزاً للاجتهد والمعرفة.

سائلاً الله عزّ وجلّ أن يُوفِّقنا ويُسدّد خطانا ويحفظنا من الزلل والخطأ، شاكرًا لجميع أساتذتي الذين لم ييخلوا عليّ بعباءاتهم وعلمهم، وأخصُّ بالذكر أعضاء اللجنة العلمية، ورئيس شعبة اللسانيات العربية، الذي أشرف على بحثي هذا، الأستاذ الدكتور المهدي بوروبة، الذي أوجّه له عظيم الشكر والتقدير على ما قدّمه لي من يد العون والتوجيه والنصائح دونما كلل أو ملل، وعلى جهده المبذول لإنجاح هذه الدفعة، داعياً له بالشفاء العاجل، ليعود إلى العطاء العلميّ والمعرفيّ، فيفيد الطلبة من علمه وتواضعه؛ كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض، على قبوله متابعة الإشراف عليّ في إعداد هذه

الأطروحة، ولئن كان لهذا البحث نصيب من النجاح فلأنه أشرف عليه، فله الفضل والشكر بعد الله تعالى على كل ما بذله من جهد ورعاية لإنجاح هذا العمل.

ولا يفوتني أن أتوجه بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من غدّى روحي وعقلي بالعلم والمعرفة والأخلاق والأدب، بدءاً بمعلمي التعليم الابتدائي ووصولاً إلى أساتذة التعليم العالي؛ وفي مقدمتهم الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ورئيسها، الذين تحمّلوا عناء ومشقة السفر لحضور هذه الجلسة العلمية ومناقشة محتوى هذه الأطروحة وتقييمها وتقييمها. والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل.

الطالب: راشد شقوفي

تلمسان، مساء يوم الاثنين 16 ربيع الأول 1437هـ

28 ديسمبر 2015م

الموافق

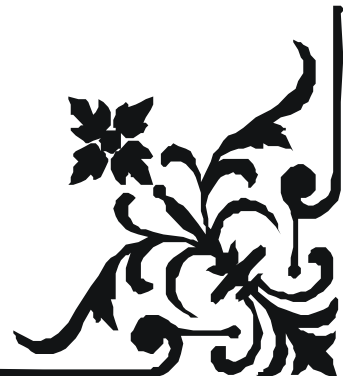




المدخل

دواعي نشوء الظواهر الصوتية

في اللغة العربية



تُعتبر اللغة إحدى العناصر المكوّنة لشخصية المرء ، فهي وسيلته في التعبير عن خواطره والتخاطب مع أبناء جنسه؛ ولذلك اهتمت كل أمة من الأمم السابقة بلغتها وعكفت على خدمتها ودراسة خصائصها والحفاظ عليها؛ فقد اعتنى الصينيون بلغتهم، وكذلك فعل العبرانيون والإغريقيون والهنود وغيرهم. أمّا علماء العربية فقد تعاضمت قيمة اللغة العربية عندهم وازداد تقديسها لديهم، بعد أن اختارها الله تعالى لكتابه العظيم، ونزول القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين؛ وبذلك كانت اللغة ركناً أساساً من أركان الحضارة العربية الإسلامية¹؛ وهي بذلك ظاهرة اجتماعية لها دور كبير ومحوريّ في الرقيّ بالمجتمع العربيّ الإسلامي وتقدّمه؛ يقول الدكتور تمام حسان : «اللغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق، وكلّ تقدّم اجتماعيّ كُتب له الكمال إنّما تمّ لوجود اللغة»².

من أجل ذلك كلّاهم أسلافنا وعلمائنا القدامى بلغة التريل وجمعها وتدوين مفرداتها وتوضيح سننها وقواعدها، ليسهل استخدامها ويسلم من الاختلال والضلال والفساد. فضبطوا اللغة العربية وقننوا قواعدها في علوم الأصوات والصرف والنحو والدلالة والبلاغة وغيرها، لتيسير فهم النصوص القرآنية والوقوف على محتواها الظاهر وأسرارها الباطنية، معتمدين في ذلك على منهج عربيّ خالص في جمع اللغة واستقراء نصوصها عن طريق الرواية والمشافهة³، وبذلك حفظوا لنا ذلك الموروث العربيّ في مراحلها المتقدّمة.

¹ يُنظر: دراسات لسانية تطبيقية: مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق-سوريا، ط1، 1989م، ص28.

² مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب، 1407هـ- 1986م، ص09.

³ يُنظر: التنوعات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمّان-الأردن، ط 1، 1417هـ-1997م،

ولقد فطن علماء العربية القدماء إلى أهمية النظام الصوتي باعتباره الجانب العملي للغة، كون اللغة في مجملها ترجع إلى أربعة أنظمة¹ هي: **النظام الصوتي**؛ **والصّرفي**؛ **والنحوي**؛ **والدّلالي**. وكان اهتمامهم بالنظام الصوتي واضحاً جلياً؛ لأنّ تطوّر اللّغات في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعاً من تطوورها في جوانب الصّيغ والنحو والمفردات والأساليب² وليقينهم أنّ اللّغة هي في الأصل نظام من الرّموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها الإنسان، وقد تعامل الإنسان باللّغة منذ آلاف السنين قبل أن يكتبها³، فالكلام المسموع أدخل في الحياة من الكتابة وأوغل في سلوك الفرد والمجتمع؛ كما أنّ اختصاص النطق بالظواهر الصوتية يجعل الكلام المسموع أغنى وأكثر تنوعاً من الكلام المكتوب⁴. ولذلك عرف ابن جنّي (ت392هـ) اللّغة بقوله: «أمّا حدّها **فإنّها أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم**»⁵. وهذا ليس انتقاصاً من أهمية الكتابة، فهي كما يقول الدكتور **محمود فهمي حجازي**: «ظاهرة حضارية لها أهميتها»⁶، فلا غنى لأحدهما عن الآخر في الدراسات اللغوية الحديثة؛ إلا أنّي لست هنا في هذا المقام لشرح كيف تتم الكتابة ولا لتحليل منحنيات الرّموز الكتابية وزواياها، لأنّ هذا من تخصّص

¹ يُنظر: المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة-: صلاح الدّين صالح حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة-القاهرة، ط 1، 1981م، ص03. يُنظر أيضاً: المستوى الصوتي - من الظواهر الصوتية عند الزركشي في البرهان -: تارا فرهاد شاكر، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2013م، ص07.

² يُنظر: دراسة الصّوت اللغوي: أحمد عمر مختار، مطبعة عالم الكتب-القاهرة، ط3، 1405هـ-1985م، ص317.

³ يُنظر: مدخل إلى علم اللّغة : محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقّحة، 1997م، ص29.

⁴ يُنظر: اللّغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب-القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م، ص46-47.

⁵ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط2، 1424هـ-2003م، ص87/1.

⁶ (مدخل إلى علم اللّغة: محمود فهمي حجازي، ص29.

نوع آخر من الدراسات ليس هذا مقامها، وسأركز على الجانب الصوتي فقط للأسباب التي ذكرتها آنفاً ولطبيعة هذا البحث.

والمؤاخذ على علماء العربية القدماء أنهم لم يدرسوا أصوات العربية دراسة مستقلة، حيث تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث الصرفية والتحويلية والبلاغية أو في مقدمات معاجمهم¹، وهم معذورون في ذلك لعدم توفرهم على الوسائل العلمية السريعة والدقيقة لفحص وتحليل اللغة كما هو الحال في العصر الحديث، عصر التكنولوجيا والمعلوماتية، فقد كانوا يعتمدون في غالب الأحيان على إحسان السمع بأذانهم، وهي ملكة يفتقدها كثير من الناس في عصرنا الحديث².

يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن أحد عظماء علماء العربية القدامى: « فالخليل ولا شك مرهف الأذن، دقيق الحسّ بالأصوات [...] اعتمد في وصفه للأصوات على ما يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضلية التي يقوم بها المرء لدى صدور كل صوت، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السّامع، دون أن يكون لديه شيء من الإمكانيات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التّشريح»³. وهكذا استطاع أولئك العلماء الأجلاء أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية **بالملاحظة فقط**، ودون أن يكون لهم حظّ من الوسائل الآلية والأجهزة المخبرية التي يستخدمها المحدثون⁴.

¹ يُنظر: مدخل إلى علم اللغة: محمد حسن عبد العزيز، ملتزم الطبع والتّشريح-دار الفكر العربي-القاهرة، 1420هـ-2000م، ص260.

² يُنظر: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّمران، ملتزم الطّبع والتّشريح-دار الفكر العربي-القاهرة، ط 2، 1417هـ-1997م، ص88.

³ الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ملتزم الطبع والتّشريح-مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة، ط4، 1971م، ص106.

⁴ يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص49.

و كما يقول الفرزدق [من الطويل]:¹

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعنا يا جرير الجامعُ

بل نكاد نجزم أن كثيراً من المباحث الصوتية الحديثة عُرِفَت عند العرب قديماً، وذلك بشهادة بعض علماء الغرب أنفسهم. يقول الدكتور مازن الوعر: «لقد أثبت باحثون لسانيون غربيون معتدلون أمثال روبرت (Robbins) وتشومسكي (Chomsky) تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي وذلك عن طريق وسائل مختلفة سواء أكانت مباشرة (بالإطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية) أم غير مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة، وخاصة اللغة الألمانية)»². كما شهد بذلك عالمان غربيان آخران هما برجشتراسر (Bergstrasser) الألماني (1886م-1933م) وفيرث (Firth) الإنجليزي (1890م-1960م)، حيث أقرّا بأن فضل السبق في علم الأصوات كان للعرب والهنود قبل الأوربيين³.

وهذا ما أشار إليه جورج مونان (Georges Mounin) الفرنسي (1910م-1993م) في كتابه " تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين " حيث أشاد بالقيمة العلمية للفكر اللغوي العربي القديم، فقال: «منذ القرن الثامن الميلادي كان علماء اللغة في البصرة، يسعون إلى وصف لغتهم وصفاً صوتياً ، وسواء أكانوا قد أوجدوا تلقائياً علماً للأصوات جديراً بأن يُذكرنا بالعلامة بانيني، أم أنهم اقتبسوا هذا العلم عنه، فتلك مشكلة على حدة، ولكن لا بدّ لنا

¹ يُنظر: ديوان الفرزدق: شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1407هـ-1987م، ص360.

² دراسات لسانية تطبيقية: مازن الوعر، ص31-32.

³ يُنظر: مفاهيم في علم اللسان : التواتي بن التواتي ، سلسلة دراسات وأبحاث لغوية، دار الوعي للنشر والتوزيع-الروبية-الجزائر، 2008م، ص130.

بادئ ذي بدء أن نعرف بوجود هذا العلم في الأصوات وأنه علمٌ فذُّ ممتاز»¹ ولعلّ حديث المستشرق الألماني أرتور شاده (Arthur Shaade) (1883م-1952م) عن سيوييه وطريقة تناوله للإدغام، تُثبت أن فضل السِّبق في مثل هذه الدراسات الصوتية كان للعرب منذ آلاف السنين، حيث قال: «إنّه (أي سيوييه) اكتشف قانوناً (يعني الإدغام) لم يوفّق علم الأصوات العصري إلى معرفته منذ خمسين سنة على الأكثر. وقد بلغ في تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحّة والدقّة ما يعسر الزيادة عليه والإصلاح فيه»².

وإذا كان العلماء اليوم يفرّقون بين علمين متكاملين أو بين فرعين أساسيين للدراسة الصوتية للغة³، فإن العلماء المسلمين في القرون الهجرية الأولى قد تناولوا مباحث ذات صلة مباشرة بهذين الفرعين، إلا أن معلوماتهم تلك جاءت مبعثة لا يجمعها منهج ونموذج واحد متماسك⁴؛ فقد درسوا الظاهرة الصوتية دراسةً نطقيةً فيزيولوجيةً، ويظهر ذلك جلياً في مؤلّفات الخليل (ت175هـ)، وسيوييه (ت188هـ)، وابن جنّي (ت392هـ)، وابن سينا (ت428هـ) وغيرهم من علماء النحو والطب؛ ودرسوها دراسةً فيزيائيةً كدراسات علماء الرياضيات العرب أمثال الخوارزمي (ت387هـ) وابن الهيثم (ت430هـ) وغيرهما؛ ثم دراسةً سمعيةً ودماغيةً مثلما جاء في أبحاث ومؤلّفات علماء الموسيقى أمثال زرياب (ت238هـ) و الفارابيّ (ت339هـ)؛ وكذا علماء القراءات والتجويد

¹ نقلاً عن: مباحث في اللسانيات-مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبّي : أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، 1999م، ص64.

² نقلاً عن: "علم الأصوات عند سيوييه للمستشرق الألماني أرتور شادة (1883م-1952م) - محاضرة بروية استشرافية مراجعة حديثة" : أ.د. صبيح حمود التميمي ، مجلة "آداب الرفادين"-كلية الآداب بجامعة الموصل-العراق، العدد (58)، 1432هـ/2010م.

³ يُنظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة، 1987م، ص101.

⁴ يُنظر: دراسات لسانية تطبيقية: مازن الوعر، ص28.

أمثال مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) والشاطبيّ (ت590هـ) وغيرهما؛ وهذا كلّ من صميم الفرع الأوّل " علم الأصوات العامّ " أو " الفونيتيكا " (La phonétique). كما نجد لعلماء العربية القدامى ملاحظات وإشارات هي في مجملها من لبّ المباحث المتعلقة بالفرع الثاني " علم وظائف الأصوات " (La phonologie)، ومن ذلك حديثهم عمّا يُستحسن من تراكيب الحروف وما يُستقبح، فنلفيهم يحكمون بعجمة كلمة (نرجس) وما شابهها، لأنها ألفت بين أصواتٍ لا تؤلف العربية بينها في كلماتها ، فالنون والراء لا يجتمعان في صدر كلمة عربيّة¹. يقول الدكتور محمد الأنطاكيّ : «فقولنا إنّ " علم وظائف الأصوات " حديث النشأة لا يُقصد منه أنّه خُلِق حديثاً من العدم، بل المقصود أنّ جمع هذه المباحث النابعة من وجهة نظر لغويّة إلى الأصوات تحت اسم واحد هو الأمر الحديث، أمّا المباحث نفسها فهي قديمة، عند العرب على الأقلّ»².

وبمقارنة بسيطة بين دراسات علماء العربية القدامى وعلم الأصوات اللغويّة في صورته الحاضرة يتبيّن لنا- بشكل واضح- التكامل والتناسق بين هذا وذاك؛ فعلم الأصوات اللغويّة في العصر الحديث يدرس ثلاث مسائل رئيسة³ : أولاها حركات المتكلم التي تُحدثُ الصّوت، وهذا الفرع يُسمّى " الدراسة الصوتية الفيزيولوجية"؛ و ثانيها انتقال الصّوت في الهواء عبر موجات صوتيّة وهي "الدراسة الصوتية الفيزيائية"؛ أمّا ثالثها فهو استقبال أذن السّامع للصّوت والدور الذي تقوم به طبلة الأذن لاستقبال الصّوت، وهو ما يُعرف اليوم باسم "الدراسة الصوتية السّميّة".

¹ يُنظر: الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق-شارع سوريا-بيروت، ط2، (د ت)، صص150-151.

² نفسه، ص151.

³ يُنظر: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعوان، ص85.

ويُقابل هذا العلم في العصر الحديث علمٌ آخر حديث النشأة نسبياً بالنسبة لعلم الأصوات اللغوية (La phonétique) وهو ما يُعرف باسم علم وظائف الأصوات¹ أو علم الأصوات اللغوية الوظيفي² أو علم التشكيل الصوتي³، وقد فضّل الدكتور محمود السّعران استعمال الفونولوجيا و فونولوجي أو فونولوجية (La phonologie) إلى حين ظهور مصطلح عربيّ محدّد مرّن⁴. ذلك أنّ العلماء قد استطاعوا، مع تقدّم الدرس الصوتيّ من الناحيتين النظرية والعملية، أن يقفوا على حقائق صوتية لم تكن معروفة من قبل، فاكتشفوا أنّ للصّوت اللغويّ خصائص لغوية أخرى بجانب خصائصه النطقية والفيزيائية والسّمعية تكمن في وظيفة الصّوت في البنية وعلاقة هذه الوظيفة بالمعنى، وهو ما يختصّ به علم وظائف الأصوات.

ومن هنا كان الفرق بين العلمين في الدرس الحديث، أنّ الفونيتيكا (La phonétique) يدرس الأصوات اللغوية البسيطة كوحدات صوتية مجردة منعزلة عن السياق الصوتيّ الذي ترد فيه، فيدرس الجهاز النطقيّ عند الإنسان، ويسجّل الحركات العضوية التي يقوم بها هذا الجهاز أثناء النطق، ومن ثمّ الأصوات المصاحبة لهذه الحركات. بينما تدرس " الفونولوجيا " (La phonologie) الأصوات اللغوية من ناحية وظيفتها في بنية اللغة، وتوضّح ما يربط بينها من علاقات وما يفرّق بينها من قيم خلافية. يقول الدكتور محمد الأنطاكيّ : «والفرق بين العلمين أنّ الأوّل يدرس الأصوات اللغوية وكأنّها مجرد حوادث

¹ هذا المصطلح استعمله بعض الباحثين العرب أمثال د. محمد الأنطاكيّ في كتابه: الوجيز في فقه اللغة، ص150.

² هذا المصطلح استعمله بعض الباحثين العرب أمثال د. محمود السّعران في كتابه: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ، ص161.

³ استعمل هذا المصطلح بعض الباحثين العرب أمثال د. تمام حسان في كتابه: مناهج البحث في اللغة، ص139.

⁴ يُنظر: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ: محمود السّعران، ص161.

فيزيائية لا علاقة لها باللغة التي هي أحد عناصرها، فيهتم بمخارجها وصفاتها ومقادير شدتها وعدد ذبذباتها وأطوالها وما إلى ذلك؛ بينما يهتم **الثاني بوظيفة** كل صوت في اللغة، فيتساءل عن كثرة ورود هذا الصوت أو قلته في هذا اللسان، وعن إمكان وجوده في هذا المقطع أو ذاك، وعن قبول مجاورته لذلك الصوت أو عدم ذلك... إلى آخر ما هنالك من المباحث التي ترمي إلى وضع القواعد الصوتية التي تجري عليها الأصوات في لسان ما، من غير إلحاح على الطبيعة الفيزيائية للأصوات، هذا الإلحاح الذي يُميّز (علم الأصوات) من (علم وظائف الأصوات)¹.

وهذا لا يعني انفصال العلمين عن بعضهما أثناء الدراسة الصوتية، فكل واحد منهما يشكّل مرحلة من مراحل هذه الدراسة، بحسب هدفها ومنهجها؛ ذلك أننا في **التحليل الفونولوجي** لأي لغة لا بد لنا من الاستعانة بالتحليل **الفوناتيكي**، وهكذا تتكوّن حركة مستمرة بين التحليلين. ويذهب بعض الباحثين إلى أن علم **الأصوات العام** (La phonétique) بمثابة مقدّمة هامة لا غنى عنها **لعلم** **الأصوات التشكيلي** (La phonologie)².

وهذا ما أدركه - كما أسلفت - علماء العربية القدماء، إذ نلاحظ ذلك في دراساتهم ومؤلفاتهم، إلا أن تلك الدراسات اللغوية القديمة خلطت بين مستويات التحليل اللغوي، ولم تفرزها عن بعضها³، فكانت أبحاثهم كثيرة ومتشعبة، ودقيقة في نفس الوقت، وليس من السهل تحديد كل مستويات التحليل اللغوي فيها إلا بالسبر الدقيق والقراءة المعمّقة والمعرفة الجيدة بنيته.

¹ (الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، ص150).

² يُنظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة، 1987م، ص102.

³ يُنظر: المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية : عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشيشكي-القاهرة، 1951م،

لكنّ الواضح الجليّ أنّ علماء العربية القدامى كانوا على وعي كبير بالقيمة الصوتية للدراسات اللغوية؛ والدليل على ذلك ما نجده في مصنفاتهم من إشارات وتلميحات إلى عنصر الصوت وإلى بعض الظواهر الصوتية. وقد كان ذلك مبكراً جداً، حيث تذكر الروايات أنّ أبا الأسود الدؤليّ (ت69هـ): حاول شكّل المصحف الشريف، فاستعان بكاتب من هذيل، وقال له: «خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ شفّي فأنقطُ نقطةً واحدةً فوقَ الحرف ؛ وإذا ضممتُها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ؛ فإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف؛ فإن أتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غنّةً فأنقطُ نقطتين»¹.

والملاحظ هنا أنّ مصطلح " الحرف " عند علماء العربية القدامى، من قبيل اللفظ المشترك، له دلالات كثيرة، فقد يعنون به الرمز الخطي : (Graphème)، وقد يراد به الصوت المسموع المنطوق ، وقد يراد به الصوئيت أو الفونيم (Phonème)، وهذا ما أشار إليه العلامة ابن تيمية (ت728هـ) - رحمه الله - حيث قال: «وأيضاً فلفظ الحروف مجمل يراد به الحروف المنطوقة المسموعة التي هي مباني الكلام، ويراد به الحروف المكتوبة، ويراد به الحروف المتخيلة في النفس»². وقد ورد مصطلح الحرف في كثير من الأحيان عند علماء القراءات وغيرهم. بمعنى الوجه في القراءة، كما في قول ابن جني: «وأخبرنا أبو بكر محمد

¹ سبب وضع علم العربية : جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة-دمشق، ط 1، 1988م، ص39.

² مجموع الفتاوى : ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحارثي ، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزائر، دار الوفاء، ط3، 1426هـ-2005م، ص69/12.

بن الحسن أن بعضهم قرأ ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (آل عمران 176) بكسر الضاد في أحرف سوى هذه»¹.

وأول ما يمكن استخلاصه من نصّ أبي الأسود الدؤليّ أعلاه، هو تلك العناية الكبيرة التي أولّاهها هذا العالم الفذّ للصوائت القصيرة، والتي اصطلحَ عليها قديماً باسم الحركات، حيث صنّفها إلى ثلاثة أقسام بالنظر إلى وضع الشفتين في أثناء النطق، وهذا ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث ، إذ نجد أنّ علماء الأصوات المحدثين قد صنّفوا الأصوات الصائتة إلى ثلاث مجموعات وفق أسس ثلاث ، وهي:²

- 1 - المجموعة الأولى : تضمّ المصوّتات الأمامية (الكسرة بأنواعها، والفتحة الممالة، والفتحة المرقّقة)؛ و المصوّتات الخلفية (الضمّة بأنواعها، والفتحة المفخّمة)؛ والمصوّتات المركزية (الفتحة بين المفخّمة والمرقّقة)؛ وذلك بالنظر إلى الجزء المرتفع من اللسان والذي يفوق غيره في الارتفاع.
- 2 - المجموعة الثانية : تضمّ المصوّتات الضيقة (الكسرة والضمّة المرقّقتين)؛ والمصوّتات المتسعة (الفتحة بأنواعها)؛ و المصوّتات النصف ضيقة (الكسرة والضمّة المفخّمتين)؛ وذلك بالنظر إلى درجة الارتفاع لذلك الجزء من اللسان نحو الطبّق.

¹ (الختسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق: عليّ التّجديّ ناصف وعبد الحليم النّجّار وعبد الفتاح إسماعيل سبلي، دار سزكين للطباعة والنّشر-استانبول، ط2، 1406هـ-1986م، ص136/01.

² يُنظر: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللّغوية في القرآن الكريم : فدوى محمّد حسّان، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 1432هـ-2011م، ص60-61. يُنظر أيضاً: الألسنية العربية (1): ريمون طحّان ، دار الكتاب اللّبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1981م، ص39-41.

3 - المجموعة الثالثة: بالنظر إلى وضع الشفتين أثناء النطق بها، حيث ينتج ثلاثة أقسام، وهي: الكسرة عندما تكون الشفاه منفرجة؛ والضمة عندما تكون الشفاه مضمومة؛ والفتحة عندما تكون الشفاه محايدة. والملاحظ أيضاً في قصة أبي الأسود المشهورة هذه، أن مصطلح " الحركات " اعتمد في الدراسات العربية القديمة نسبةً إلى حركات الشفتين، وذلك واضح في قوله: (فإذا أتبع هذه الحركات غنة).

بل إن المصطلحات التي استعملها القدماء للدلالة على الصوائت القصيرة (الفتحة؛ والضمة؛ والكسرة)، أساسها تلك الأوضاع التي تتخذها الشفتان في أثناء إصدار هذه الأصوات، من ضم وفتح وكسر¹، وذلك في قوله (فإذا فتحت شفتي)؛ (وإذا ضممتها)؛ (وإذا كسرتها)؛ أي أن تلك المصطلحات أساسها الجانب الفيزيولوجي من الظاهرة الصوتية².

ومن الواضح أيضاً أن هذا العالم الفذ قد استطاع تحديد مواقع رموز هذه الأصوات من الصوامت بما يناسب صفاتها من استعلاء واستفال³، بقوله: (فوق الحرف)؛ و(إلى جانب الحرف)؛ و(أسفله). يقول الدكتور المهدي بوروية: «كاد (أبو الأسود الدؤلي) ينطق بمخارج الصوائت القصيرة، ولم ينقصه إلا وصف هذه العمليات العضوية المنتجة لهذه الأصوات»⁴. وبذلك اعتبر عمل هذا العالم الجليل من أوليات الدرس الصوتي عند العرب.

¹ يُنظر: في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ العربية: غالب فاضل المطلي، سلسلة دراسات (364)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشؤون الثقافية والنشر-العراق، ط1، 1984م، ص68.

² يُنظر: مباحث في اللسانيات-مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيب: أحمد حساني، ص62.

³ يُنظر: في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ: غالب فاضل المطلي، ص98.

⁴ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللغة، قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2001-2002م، ص41.

ثم تبعه علماء عظام تناولوا علوم اللغة المختلفة من صرف ونحو ومعاجم وبلاغة وغيرها، وعلموا علم اليقين أن تلك الدراسات تحتاج إلى معرفة دقيقة بالأصوات اللغوية والاستفادة منها، فكان ذلك من الأسباب الرئيسة التي دعتهم لدراسة أصوات اللغة العربية؛ ويظهر إدراكهم لأهمية الأصوات في الدراسات اللغوية، أنهم كثيراً ما كانوا يُمهّدون في أبحاثهم اللغوية بملاحظات وإشارات ودراسات صوتية¹. وذلك ليقينهم أن الكلام المنطوق يعتمد على أساسين اثنين؛ أحدهما حركي يُسمّى **المخارج**؛ والثاني سمعي يُسمّى **الصفات**. فالدراسة الصوتية عندهم ذات أهمية جوهرية بالنسبة لسائر علوم اللغة؛ وهي كذلك في العصر الحديث. يقول الدكتور **محمود السّعران** في حديثه عن **علم الأصوات اللغوية**: «إنّه حجر الأساس بالنسبة لأيّ دراسة لغوية أخرى كالنحو، أو النحو المقارن، أو دراسة المعنى»².

ولعلّ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت175هـ) أوّل من خاض في هذا المجال، ووضع أسسه ووضّح معالمه، حيث انفرد برؤية واعية وعميقة لطبيعة الأصوات اللغوية، وكان بذلك مشكاة استهدى بها من جاء بعده. يقول الدكتور **محمد المختار ولد أباه** : «حينما نبحت في تطور علم من العلوم، نلاحظ أن نشأته تبرز نتيجة ظروف خاصة، ثم نجد رواه يضعون لبناته شيئاً فشيئاً، غير أن بناءه لا يكمل إلا على يد شخصية فذة تؤصل قواعده الأساسية، وتحكم طرق

¹ يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص47.

² علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعران، ص86.

استثمار فروعها، والذي يقوم بهذا العمل يسمى عادة " إمام هذا العلم "، وإمام علوم اللغة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي¹.
لقد رتب الخليل معجمه (العين) ترتيباً صوتياً على أساس مخارج الحروف، ذاهباً من الصدر إلى الشفتين، فبدأ معجمه بأعمق الحروف مخرجاً وهو صوت " العين" وبه سمى كتابه، وضمّن هذا الكتاب مقدّمة تناول فيها دراسة لأصوات العربية، لتكون سراجاً يُنير طريق الباحث في معجمه عن الكلمة المبتغاة، فأوضح فيها أنّ في العربية تسعة وعشرين حرفاً، ثمّ مضى يحدّد مخارج هذه الحروف حرفاً حرفاً، ثمّ ذكر صفات الأصوات اللغوية، وبيّن الفرق بين الأصوات المتقاربة المخرج؛ ووضّح الصوامت المستحسنة من المستقبحة². يقول الخليل بن أحمد: «بدأنا في مؤلّفنا هذا بالعين، وهو أقصى الحروف، ونضمّ إليه ما بعده حتّى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب»³، وكان ترتيب معجمه على النحو التالي⁴:
(ع ح ه خ غ/ق ك/ج ش ض/ص س ز/ط د ت/ظ ذ ث/ر ل ن/ف ب م/و ا ي ء).

فبدأ بأبعد الحروف مخرجاً وهي الحلقية (ع ح ه خ غ)؛ ثمّ حروف أقصى اللسان مع ما يجاذيه من الحنك الأعلى (ق ك)؛ ثمّ حروف وسط اللسان مع ما يجاذيه من الحنك الأعلى (ج ش)؛ ثمّ الضاد (ض) على اختلاف في مخرجه؛ ثمّ

¹ يُنظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : محمّد المختار ولد أبيه ، دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط2، 1429هـ-2008م، ص72.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجريّ": المهدي بوروية، ص49. يُنظر أيضاً: مدخل إلى علم اللغة : محمّد حسن عبد العزيز ، ص261. وكذلك: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم: فدوى محمّد حسّان، ص01.

³ كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-بغداد-الجمهورية العراقية، 1975م ، ص60/1.

⁴ نفسه، ص53/1.

(ص س ز) وهي حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى ؛ ثم (ط د ت) وهي حروف طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ؛ ثم (ظ ذ ث) وهي حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ؛ ثم (ر ل ن) حروف طرف اللسان مع اللثة العليا؛ ثم حروف الشفتين (ف ب م)؛ وأخيراً الحروف الجوفية (و ا ي ء). وسمي كل حرف منها كتاباً (كتاب العين؛ وكتاب الحاء؛ وكتاب الهاء؛ وهكذا)¹.

وأتبع طريقة دقيقة لتحديد مخارج الأصوات ومعرفة كيفية صدورها، وأعانته في ذلك ذوقه السليم وحسه المرهف وشغفه بموسيقى اللغة وحبّه للمنطق الرياضي والحساب؛ وهي طريقة "التّطق بالصّوت ساكناً"؛ ما يضمن عدم اختلاط هذا الصوت بغيره؛ وقد وصف هذه الطريقة تلميذه اللّيث بن المظفر (ت190هـ)، فقال: «وإنّما كان ذوقه إيّاهاً²، أنّه كان يفتح فاه بالألف، ثمّ يُظهر الحرف، نحو: أب، أت، أح، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب»³. وهي طريقة اعتمدها الدّرس الصوتي الحديث⁴. وبهذا انفرد الخليل

بن أحمد الفراهيدي بهذه الرؤية الواعية والدقيقة لطبيعة الأصوات اللغوية، في زمن مبكر جداً من عصر الحضارة العربية الإسلامية. يقول الدكتور محمّد المختار ولد أباه: «ولهذا العمل صلة واضحة بالتفكير في دراسة مخارج الحروف كلها، واستظهار صفاتها، وهكذا لأول مرة، ضُبّطت مخارج الحروف وعُرف منها ما

¹ يُنظر: فقه اللغة-مفهومه موضوعاته وقضاياها: محمّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للتّشّير والتّوزيع-الرياض-المملكة العربية السّعوديّة، ط1، 1426هـ-2005م، ص322-323.

² أي ذوقه للحروف.

³ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص1/52.

⁴ يُنظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغويّ: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي للطباعة والتّشّير والتّوزيع-القاهرة، ط1، 1403هـ-1982م، ص15.

هو حلقي، ولهوي، وشفوي إلخ، وما يوسم بالجهر والهمس والاستعلاء والاستفال، والشدة والرخاوة ونحوها»¹.

وقد أتبع المنهج نفسه ابن دريد (ت321هـ) في صناعة معجمه (جمهرة اللغة)، حيث تعرض إلى قضايا صوتية كنسج الكلمة وبنائها، والأصوات التي تأتلف، والتي لا تأتلف، فبيّن أنّ القاف والكاف لا تأتلفان في كلمة إلا بوجود حواجز، وأشار إلى أنّ تباعد الحروف في المخرج يؤدي إلى خفة البناء، بخلاف التقارب الصوتي الذي يؤدي إلى ثقل الكلمة على اللسان؛ كما تعرّض إلى نسبة تردد الأصوات في اللغة العربية، إذ رأى أنّ أكثر الأصوات استعمالاً فيها هي: الواو والياء والهاء، وأقلها الظاء، ثم الذال ثم الثاء، ثم الشين، ثم الخاء، ثم النون، ثم اللام، ثم الراء، ثم الباء، ثم الميم². وكذلك فعل الأزهري (ت370هـ) في (تهذيب اللغة).

وبذلك أفاد علم المعاجم من الصوتيات العربية، لأنّ طريقة ترتيب المعاجم على أساس المخارج، تضمّنت عنصراً من عناصر الدراسة الصوتية التي لا يمكن أن يستغني عنها المعجم³، وأصبح من الضروريّ لمؤلّفي المعاجم دراسة أصوات العربية أولاً.

ثمّ جاء بعده تلميذه سيويه (ت188هـ)، الذي أكمل ما بدأه أستاذه في المجال الصوتي، حيث خصّص أبواباً من كتابه للمباحث الصوتية، فتناول في الجزء الرابع من "الكتاب" ظواهر صوتية لغوية كالإدغام والإعلال، وقدم للإدغام بدراسة لمخارج الحروف وصفاتها من أجل بيان التفاعل بين الأصوات، فحدّد

¹ يُنظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: محمد المختار ولد أباه، ص74.

² نقلاً عن: البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1982م، ص93.

³ يُنظر: مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، ص273.

صفة كل حرف ويّين مخرجه وأوضح مجراه¹، وذلك لإدراكه أنّ مثل تلك الظواهر لا تُفسَّرُ إلاّ في ضوء معطيات صوتية؛ يقول سيبويه: «إنّما وصفتُ لك حروف المعجم بهذه الصّفات ليُعرف ما يحسنُ فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسنُ فيه ولا يجوز فيه»².

ومثل ذلك فعل المبرّد (ت285هـ) في كتابه "المقتضب" حيث عالج الإدغام في الجزء الأوّل من كتابه وقدم له بدراسة للأصوات ومخارجها³؛ والسبيل نفسه سلكه ابن السراج (ت316هـ) حيث ختم أصوله بدراسة الإدغام وقدم له بدراسة صوتية⁴. وبذلك استثمر النّحاة مبادئ علم الأصوات لتفسير ظاهرة الإدغام وغيرها من القضايا اللّغوية، وهذا ما يُثبتُ فضلَ الدّراسات اللّغوية العربية القديمة في مجالِ الأصوات، فضلاً لا يُنكره إلاّ جاحد أو جاهل، فقد بحثَ النّحاة في الأصوات في إطار النّحو أو علم التّركيب العربي، وجعلوا مبحثَ الأصوات فرعاً من المباحث الصّرفية، فربطوا بذلك بين الصرف والأصوات مثلما فعلت الصوتيات الفونولوجية الحديث⁵.

ولم تستغنِ المصنّفات الأدبية عن المفاهيم الصوتية، شأنها في ذلك شأن مصنّفات المعاجم والصّرف والنّحو، وهذا ما فعله الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين، حيث تناول بعض المسائل الصوتية ذات الصّلة الوثيقة

¹ يُنظر: مدخل إلى علم اللّغة: محمّد حسن عبد العزيز، ص261.

² الكتاب: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب-بيروت-لبنان، ط 5، (د.ت)، ص449/1.

³ يُنظر: المقتضب: المبرّد محمّد بن يزيد، تحقيق محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب-بيروت-لبنان، (د.ت)، ص192/1.

⁴ يُنظر: الأصول في النّحو: ابن السراج النحوي البغدادي أبو بكر محمد بن سهل، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط3، 1988م، ص399-405.

⁵ يُنظر: التطبيق الصّرفي: عبده الرّاجحي، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع-الرياض-المملكة العربية السّعودية، ط 1، 1420هـ-1999م، ص07.

بالبيان والفصاحة، ومن ذلك إشارته إلى فكرة تجزئة الكلام إلى مقاطع، عند تعريفه للصوت، حيث قال: «والصوتُ هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منتوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف»¹. أي أن الأصوات تكون المقاطع، والمقاطع تكون الكلمات، والتأليف بين الكلمات يكون الجمل، وهكذا، والحقيقة أن هذا ما يُدندنُ حوله علماء اللسانيات المحدثون أمثال فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857م-1913م) السويسري؛ ونيكولاي تروبتسكوي (Nicolai Trubetzkoy) (1890م-1938م) الروسي؛ وليونار بلومفيلد (Leonard Bloomfield) (1887م-1949م) الأمريكي؛ و أندري مارتيني (André Martinet) (1908م-1999م) الفرنسي؛ وغيرهم، عند حديثهم عن مفهوم الفونيم (Phonème) والمونيم أو المورفيم (Monème ou Morphème). بل ذهب أبعد من ذلك عندما نبّه إلى دور أعضاء النطق في تحديد مخارج الأصوات وصفاتها، وذلك أثناء حديثه عن أمراض الكلام، فنبّه إلى أهمية الأسنان والشفيتين في عملية النطق، ونقل بعض أقوال الصحابة والتابعين عن عيوب النطق الناتجة بسبب عضويّ، مثل سقوط الأسنان، فذكر أن عمر بن الخطاب قال في سهيل بن عمرو الخطيب²: «يا

¹ البيان والتبيين: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، 1425هـ-2004م، ص58.

² سهيل بن عمرو الخطيب: أحد مشركي قريش، كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بخطبه، وكان يعدّب ابنه الذي أسلم عذاباً شديداً. أسره المسلمون في غزوة بدر الكبرى، وعندما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم أن يترع ثيابه حتى لا يقوم ضد النبي خطيباً، أبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «لا أمثلُ فيمَثَلُ الله بي وإن كنتُ نبياً»، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على إنسانية النبي الفاتقة. أسلم سهيل بن عمرو يوم فتح مكة ثم حسن إسلامه، وجاء ذلك اليوم عندما عزم أقوام من مكة الردّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف فيهم سهيل خطيباً وتبّتهم. يُنظر: الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن أبي بكر، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م، ص195/2.

رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع¹ لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً²، ثم علّق الجاحظ على قول عمر رضي الله عنه، فقال: «وإنّما قال ذلك لأنّ سهيلاً كان أعلم³ من شفته السفلى»⁴.

ثمّ جاء العلامة المعجزة أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، الذي ظهرت عنده قيمة الفكر الصوتي بصورة واضحة، فجمع شتات القضايا الصوتية وضم متفرقاتها، بتأليفه كتابين عظيمين في علم الأصوات اللغوية، هما: سرّ صناعة الإعراب، و الخصائص؛ حيث تناول في الأوّل مباحث متنوّعة، بين خلالها صفات الأصوات وأصنافها، وحدّد حروف المعجم وطريقة ترتيبها، ووصف مخارجها؛ وبين ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير؛ كما أثبت نظريّة الفصاحة في اللفظ المفرد المؤلّف من أصوات متباعدة المخارج⁵. ولقد وصف ابن جني جهاز النطق عند الإنسان بطريقة عجيبة، دلّت على عظّمته وعبقريّته، فقال: «ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصداؤها، ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوفة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسُمع لكل خرق منها صوتٌ لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا

¹ يدلّع لسانه: أي يخرج. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر-بيروت، ط1، (د.ت)، مادة (د ل ع)، ص90/8.

² البيان والتبيين: الجاحظ، ص47.

³ الأعلام: المشقوق الشفة العليا؛ يقال للرجل المشقوق الشفة السفلى أفلح، وفي العُليا أعلم، وفي الأنف أخرم، وفي الأذن أخرب، وفي الجفن أشتر، ويقال فيه كُله أشرم. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ش ر م)، ص321/12.

⁴ البيان والتبيين: الجاحظ، ص47.

⁵ يُنظر: سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1985م، ص04/1-05. ويُنظر أيضاً: مدخل إلى علم اللغة: محمد حسن عبد العزيز، ص262.

قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة. ونظير ذلك أيضا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر، فإن أداها قليلا سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداً مختلفة، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخففة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا؛ وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صناعة الأصوات والنغم»¹.

وكذلك فعل علماء البلاغة الذين أدركوا العلاقة الوثيقة بين البلاغة والأصوات؛ فقد ضمت مصنفات البلاغة وإعجاز القرآن الكريم بين ثناياها كلاماً عن الأصوات، يرتبط بتصميم الميدانين الفوناتيكي والفونولوجي، وخاصة في حديثهم عن الفصاحة، وما يرتبط بتنافر وائتلاف الحروف. وقد أعجبت كثيراً وأدهشني كلام ابن سنان الحفاجي (ت466هـ) عندما شبه الأصوات بالألوان، وأثبت أن تباعد مخارج الحروف اللفظة يفضي إلى حسن وقعها على السمع؛

¹ يُنظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني، ص1/08-09.

فقال: «إنَّ الحروف وهي أصوات، تجري مجرى الألوان من البصر؛ ولا شك في أنَّ الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبعد ما بينه وبين الأسود؛ وإذا كان هذا موجود على هذه الصفة لا يحسن التزاع فيه، فكانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة»¹.

واستطاع الفلاسفة المسلمون استثمار الدرس الصوتي إلى أقصى حدٍّ ممكن في زمانهم، ومن أولئك الفلاسفة الذين كان لهم باع مهمٌّ في مجال الدراسات الصوتية أبو نصر الفارابي (ت339هـ)، وذلك من خلال أعماله الجليلية التي من ضمنها كتابه الضخم بعنوان الموسيقى الكبير الذي بلغت صفحاته ألفاً ومئتين تقريباً، والذي تناول فيه مفهوم الصوت اللغويِّ الإنساني؛ وذكر المقطع الصوتيَّ وعرفه تعريفاً دقيقاً يتقاطع إلى حدٍّ كبير مع المفاهيم التي جاء به الدرس الصوتيَّ الحديث²؛ كما أنه ذكر أهمَّ المقاطع التي يتشكّل منها النسيج المقطعي في اللغة العربية، وهي المقطع القصير؛ والمقطع الطويل؛ ونوعاً ثالثاً لم يسمّه مقطعاً بل دعاه السبب المفرد وهو تتابع صامتين يتوسّطهما مصوّت قصير. يقول الفارابي: «كلّ حرف غير مصوّت أُتبع بمصوّت قصير قرن به، فإنّه يُسمّى المقطع القصير [...] وكلّ حرف غير مصوّت قرن به مصوّت طويل، فإنّا نُسمّيه المقطع

¹ سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1402هـ-1982م، ص64.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص277، وكذا: مجلة "التراث العربي"، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق، العدد 98، جمادى الأولى 1426هـ-حزيران 2005، ص3.

الطويل»¹. والملاحظ هنا أن المقاطع الثلاثة التي ذكرها الفارابي هي أكثر المقاطع تردداً في النسيج العربي، حيث أثبتت الإحصاءات والدراسات الحديثة أن نسبة جريانها تزيد عن تسعة وتسعين بالمئة (99%)².

ثم جاء تلميذه ابن سينا (ت428هـ) ذو النظر الثاقب والحدس الصائب، فشرح الجهاز الصوتي عند الإنسان بطريق عجيبة في كتابه أسباب حدوث الحروف، وقدّم وصفاً تشريحياً فسيولوجياً لبعض أعضاء النطق، قبل أن يعرض لمخارج الأصوات وصفاتها؛ وكشف عن أسرار غامضة مازالت من صميم الدراسات المعاصرة كظاهرة التموج الفيزيائية وكثافة الهواء في كل موجة وما يترتب عنه. وبحكم تخصصه الذي اشتهر به والثقافة التي نهل منها، ركّز ابن سينا في هذه الرسالة الثمينة على الجانب الفيزيائي والتشريحي، فقد كان فيلسوفاً حكيماً وطبيباً خبيراً، استثمر علم الطبيعة في خدمة اللغة العربية. ومما تميّز به ابن سينا عن سابقه، هو الإيجاز في الوصف والدقة في التعبير، وقد تميّزت لغته بالأسلوب العلمي المنطقي³. حدّد ابن سينا أسباب حدوث الصوت، فذكر أن لحدوثه سببين، سبب قريب وآخر بعيد، فقال: «أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعةً بسرعة وبقوة، من أيّ سبب كان. والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سبباً كلياً للصوت، بل كأنه سببٌ أكثرى؛ ثم إن كان سبباً كلياً فهو سببٌ بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت»⁴. وهذا من صميم ما

¹ الموسيقى الكبير: الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة: د. محمود أحمد الحنفي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص1075.

² يُنظر: هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي-رؤية لسانية حديثة (سلسلة الدراسات اللغوية 7): عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمّان-الأردن، ط1، 1419هـ-1998م، ص28.

³ يُنظر: علم الأصوات عند ابن سينا: محمد صالح الضالع، دار المعرفة الجامعية-إسكندرية-مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص16.

⁴ أسباب حدوث الحروف: ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفخّام وأحمد راتب النّفاّح، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، ط1، 1403هـ-1983م، ص56.

تتناوله الصوتيات الفيزيائية الحديثة فيما يُسمى **الموجات الصوتية**. ثم ميّز بين مفهومي الصوت والحرف، فقال: «والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع»¹.

ولم تكن دراسة الظواهر الصوتية في اللغة العربية حكراً على النحاة واللغويين والفلاسفة المسلمين فقط، بل يكاد يُجمع العلماء أن الحظّ الأوفر والنصيب الأكبر من هكذا دراسات كان لعلماء القراءات القرآنية وعلماء التجويد، كابن مجاهد (ت324هـ)؛ وأبي علي الفارسي (ت377هـ)؛ ومكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)؛ وأبي عمرو الداني (ت444هـ)؛ وابن علي الأنصاري المعروف بابن الباذش (ت450هـ)؛ وابن محمد الطبري (ت478هـ)؛ وأبي القاسم الشاطبي (ت590هـ)؛ وابن الجزري (ت833هـ)؛ وغيرهم؛ فلقد كانت إسهاماتهم في الدراسات الصوتية عظيمة جليلة، حيث أضافوا تفصيلات صوتية وتوسّعوا في وصف القراءات المختلفة وسجّلوا خصائص صوتية متعدّدة تميّز بها التلاوة القرآنية²؛ ولقد تناولت علوم القراءات والتجويد أهمّ الظواهر الصوتية التي من شأنها الحفاظ على تلاوة القرآن العظيم تلاوة صحيحة كما أنزل، وبذلك يسلم من اللحن؛ فاهتمّ العلماء ببيان الوجوه التي قرئت بها أيّ الذكر الحكيم؛ وتناولوا مسائل كثيرة، تعلق بعضها باللّهجات العربية، وأغلبها بعنصر الصوت في اللسان العربي؛ فبلغت دراساتهم الصوتية منزلة في الدقّة والكمال لم يعرفها تاريخ الدراسات اللغوية حتى ذلك العهد، وقد لا نكون

¹ أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، ص60.

² يُنظر: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعران ، ص82. وكذلك: مفاهيم في علم اللسان : التواتي بن التواتي ، ص127.

مبالغين إذا قلنا إنها تصلح أساساً للدراسات الصوتية الحديثة، فعنصر الأصوات - كما بيّنته سابقاً¹ - من أهم عناصر اللغة المنطوقة. إن المتأخرين من أهل الأداء القرآني²، استطاعوا استثمار قواعد ودراسات الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن جاء بعده، وألفوا كتب التجويد في حدود القرن الرابع الهجري ليتعلم الناس كيف يؤدون تلاوة القرآن الكريم أداءً صحيحاً، وأضافوا زيادات وتفصيلات كثيرة وأحكاماً تطبيقية في كتبهم الخاصة، فحافظوا على سلامة اللغة والنطق الفصيح؛ وجعلوا من علم التجويد علماً قائماً بذاته، مستقلاً عن غيره من العلوم، فتميّز عن علوم القرآن والصرف والنحو والبلاغة والدلالة وغيرها، بل وتميّز عن علم القراءات الذي يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فكلاهما يهتمان بكيفية نطق ألفاظ القرآن الكريم نطقاً سليماً، إلا أن لكل منهما منهجه الخاص وموضوعه الذي يُعنى به، فإذا كانت كتب القراءات تعتمد على الرواية فتُعنى برواية وجوه القراءات في نطق كلمات القرآن الكريم، فإن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشاهدة ورياضة الألسن، فتُعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها مما لا اختلاف في أكثره بين القراء؛ وهذا ما أثبتته حديث مكي بن أبي طالب

¹ يُنظر: ص02 من هذا البحث.

² المقصود بأهل الأداء القرآني، هم القراء وعلماء التجويد، فالأداء لغة مصدر أدى الشيء أي قام به، وأدى الدين أي قضاه، وأدى الصلاة أي قام بها لوقتها، وأدى الشهادة بمعنى أدل بها، وأدى إليه الشيء أي أوصله إليه؛ وفي اصطلاح علماء القراءات (الأداء) هو التأدية والتلاوة، وهو النطق بحروف القرآن كما نطق بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ و فن الأداء هو فن التأثير في المستمع لينجذب إلى المؤدّي بكلّ حواسه السّمعية والبصريّة والشعوريّة، عن طريق اللفظ والعبارة والأسلوب وجهازة الصّوت والتّبر والتنغيم، وسلامة النطق من العيوب المخلة بفصاحة الكلام، بحيث يُمكن للجهاز النطقي أن يقوم بإخراج الحروف سليمة ناصعة. يُنظر: معجم علم القراءات القرآنية: عبد العلي المسؤل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م، ص49-54. يُنظر أيضاً: "الأداء الصوتي في العربية": رشاد محمد سالم، مجلة "جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية"، كلية الآداب والعلوم-جامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة، المجلد 2، العدد (2)، ربيع الثاني 1426هـ-يونيو 2005م، ص214.

القيسي (ت437هـ) عن تجويد حرف الذال عندما قال: «وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال وغيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب؛ فتلک الكتب تُحفظ منها الرواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يُحفظ فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها؛ فتلک كتب رواية، وهذا كتاب دراية»¹؛ وبذلك كان منهج علماء التجويد في كتبهم منهجاً صوتياً خالصاً، وقد وصف رشاد محمد سالم كتاب الرعاية لمكي بن أبي طالب، فقال: «أول عمل علمي، يجمع صاحبه فيه بين الدراسات الصوتية النظرية لعلماء اللغة والدراسات التطبيقية العملية لعلماء القراءات والتجويد، مضيفاً إلى كل ذلك من تجاربه الشخصية ما يدعمه ويؤيده»².

ولذلك جاءت نظرة علماء القراءات والتجويد للأصوات أوفق وأسد من نظرة غيرهم، وخير دليل على ذلك هو الجهد الذي تقدّم به الإمام الداني (ت444هـ) في كتابه التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد؛ وإن تلك النظرة الصوتية التي تميزوا بها تُبرز مدى دقة إدراكهم وسلامة طريقة تناولهم للظواهر الصوتية في الأداء القرآني، حيث بينوا كيفية تلاوة القرآن الكريم اعتماداً على مقاييس صوتية دقيقة أساسها معرفة مخارج الحروف وصفاتها؛ يقول ابن الجزري (ت833هـ): «أول ما يجب على مرید إتقان القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه؛ وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه؛ يُعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً

¹ الرعاية لتجويد القراءة وتحققي لفظ التلاوة: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار - الأردن، 1973م، ص199.

² «الأداء الصوتي في العربية»: رشاد محمد سالم، مجلة «جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية»، كلية الآداب والعلوم - جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة، المجلد 2، العدد (2)، ربيع الثاني 1426هـ - يونيو 2005م، ص221.

يصير ذلك له طبعاً وسليقة ؛ فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركته إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج. كالهزمة و الهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستفالا وانفردت الهزمة بالجهر والشدّة. والعين والحاء اشتركا مخرجاً واستفالا وانفتاحا، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة»¹. ولم يكتفِ علماء التجويد بوصف كيفية أداء كل صوت على حدة، بل تحدّثوا عن حالة تركيب الأصوات، وأثبتوا كيف تتأثر الأصوات ببعضها إذا تجاوزت، يقول ابن الجزري: «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدة، موفِّ حقّه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنّه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب ؛ فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»².

ولعلّ حديث ابن الجزري عن التجويد يُبرز بوضوح ماهية هذا العلم وغايته وعلاقته المتينة بعلم الأصوات، حيث يقول: «فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على صيغته وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسّف، ولا إفراط ولا تكلف»³.

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، قدّم له الأستاذ: محمد علي الضبّاع، خرّج آياته الشيخ: زكريّا عميرات، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ص241/1.

² (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص242/1.

³ يُنظر: نفسه، ص239/1.

وبذلك استطاع علماء القراءات والتجويد، وقبلهم علماء الصّرف والنحو كاخليل وسيبويه وغيرهم، أن يُوفّروا لنا مادّة ثرية في مجال الأصوات. وقد درجت الدّراسات الصوتية والصرفية على ما بناه هؤلاء العلماء قرونا طويلة، حيث استمرّ الاهتمام بالحركات والسّواكن (أو الصوائت والصوامت) إلى أن ظهرت الدّراسات الصوتية الحديثة فأخذت تدخل مفاهيم لسانية صوتية جديدة إلى مجال الدّراسات الصوتية العربية.

إنّ ذلك الكمّ الهائل من الدراسات؛ والجهد العظيم الذي بذله علماء المسلمين من لغويين ونحويين وفلاسفة وعلماء تجويد وغيرهم؛ واهتمامهم الكبير الذي أولوه لأصوات اللغة العربية؛ كان من أجل تقويم السنة القارئ للقرآن الكريم حتى يُعطوا حروف القرآن حقّها ومستحقّها؛ حرصاً منهم على النطق الفصيح لأصوات العربية، ومن ثمّ سلامة تلاوة القرآن الكريم كما أنزل؛ فعملوا على المحافظة على جوهر اللفظ القرآني، ومراعاة شكله، وعدم الإخلال بأصول تجويده¹؛ ذلك أنّ جلّ علماء العربيّة القدامى كانوا رجال دين، فلا تكاد ترى علماً من أعلام العربيّة القدامى، إلّا كان مقرّناً، أو مفسّراً، أو محدّثاً، أو متكلّماً، أو فقيهاً²؛ وبذلك ربطوا ربطاً حكيماً بين اللّغة العربيّة والدين الإسلاميّ، فاتّصلت اللّغة بالدين اتّصلاً وثيقاً؛ يقول أبو منصور الثعالبيّ (ت430هـ) عن العربيّة: «والإقبال على تفهّمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في

¹ (مراعاة شكله: كمرعاة الضم والفتح والكسر والسكون والتشديد والتخفيف وغير ذلك. أمّا أصول التجويد فمنها: الإظهار والإدغام والإخفاء والقصر والمدّ والتفخيم والترقيق، وغير ذلك ممّا وضعه القراء وعلماء العربية في كتبهم ومؤلفاتهم. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ضبط نصّه وعلّق عليه: محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر- بيروت-لبنان، ط3، 1412هـ-1997م، ص41.

² (يُنظر: التنوّعات اللّغويّة: عبد القادر عبد الجليل، ص20. يُنظر أيضاً: المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللّغات السّامية: عبد المجيد عابدين، ص02.

الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب، كاليُبوع¹ للماء، والزَّند² للتَّار³. وقد أجمع العلماء على أنه لا تصحَّ صلاة قارئ خلف أمِّي لا يُحسنُ القراءة؛ وذهب بعضهم إلى عدم صحَّة صلاة من يُبدلُ صوتاً بغيره تجانساً أو تقارباً، كمن قرأ (الحمد) بالعين، أو المغضوب (بالحاء)⁴. كما اشترط العلماء على العالم المجتهد الذي يستنبط الأحكام الشرعية أن يكون عالماً بالعربية؛ يقول الشاطبي (ت790هـ): «الاجتهاد إن تَعَلَّقَ بالاستنباط من المنصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية»⁵. ثم إنَّ تعلُّمها وتعليمها يُبعدان المرء عن أهمِّ آفات اللسان وهو اللحن؛ يقول ابن تيمية (ت728هـ): «ومعلوم أن تعلُّم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدّبون أولادهم عن اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب، أو أمر استحباب، أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والافتداء بالعرب في خطابها»⁶. وتحدّث ابن الجزري (ت833هـ) عن فائدة وأهمية علم التجويد فقال: «ولا شك أن الأمة كما هم مُتعبّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، متعبّدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حدوده، على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المتصلة

¹ اليُبوع هو العينُ أو الجدول الكثير الماء. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن ب ع)، ص345/8.

² الزَّند هو العود الذي يُقدَحُ به التَّار. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ز ن د)، ص196/3.

³ فقه اللغة وأسرار العربية: أبو منصور النعاليّ عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل، شرحه وقدم له ووضع فهرسه: ياسين الآيوي، المكتبة العصرية-صيدا-لبنان، 1425هـ-2004م، ص29.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص238/1.

⁵ الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع-الخبر-المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ-1997م، ص124/5.

⁶ مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ص252/32.

بالحضرة النبوية الأفضحية العربية، التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم أو معذور»¹. وهكذا كان الباعث الأساس على اهتمام العلماء بتقعيد اللغة وجمع شواهدا، باعثاً دينياً، من أجل ضبط نصوص القرآن الكريم وتعليم لغته²؛ فكان القرآن الكريم الحافظ القوي والدافع المحرك للحياة العلمية والدراسات اللغوية والصوتية في القرون الهجرية الأولى؛ يقول الدكتور صبري الأشوح: «إن القرآن الكريم قد شكّل حافزاً أبدياً وتحدياً للعقل المسلم لمحاولة الفهم والتفسير، فتشكّل العقل العربي المسلم، ثمّ طوّره ليبدع للإنسانية هذه الحضارة العظيمة»³؛ فللقرآن العظيم غنيّ بتلك المادّة الوفيرة التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة اللغة العربية الفصحى، وفيه من التطبيقات للدراسات الصوتية ما لا يوجد في غيره؛ ثمّ إنّ نسخة تاريخية موثوقة، ونصوصه هي النصوص الوحيدة التي وصلتنا منطوقة، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمة؛ يقول ابن الجزري: «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب؛ وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة»⁴؛ وبذلك يتبيّن أنّ تناول الأصوات بالدراسة عند القراء وعلماء العربية القدامى، كان لغاية سامية تمثلت في الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف والتبديل؛ القرآن العظيم الذي نزل على الرسول الكريم عذبا مستقيماً يؤنّس النفس ويطمئن القلوب، ويُعجز

¹ (التمهيد في علم التجويد: بن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م، ص10.

² يُنظر: المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية: عبد المجيد عابدين، ص02.

³ يُنظر: إعجاز القراءات القرآنية - دراسة في تاريخ القراءات وأتجاهات القراء : صبري الأشوح، مكتبة وهبية - القاهرة - مصر، ط1، 1419هـ - 1998م، ص08.

⁴ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص14/1.

بتراكيه أفصح العرب وبلغائهم، كيف لا وهو كلام رب العالمين. وقد كانت دواعي وأسباب تلك العناية بالأصوات عديدة، منها: ظهور اللحن؛ واختلاف القراءات القرآنية؛ و غرابة بعض ألفاظ القرآن الكريم؛ و النضج العلمي والحضاري بعد الفتوحات الإسلامية؛ و الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وسحر ألفاظه العذبة ومعانيه الجزلة؛ وكذا أهمية الدرس الصوتي بالنسبة إلى علوم اللغة؛ وغيرها من الأسباب الكثيرة التي يتعذر التفصيل فيها كلها بهذا المقام، فطبيعة هذا البحث تفرض عليّ منهجياً الاقتصار على سببين اثنين، كانا أساس نشوء الظواهر الصوتية، وهما: ظهور اللحن و اختلاف القراءات القرآنية؛ اللحن الذي نشأ بسبب انتشار رقعة الإسلام واللغة العربية معها، ودخول الأعاجم في دين الإسلام، واختلاف المسلمين وتفاوتهم في الإمام باللغة الحاملة له؛ وكان ذلك سبباً في نشأة ظواهر صوتية لا تتناسب مع طبيعة اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ ثم اختلاف القراءات القرآنية، التي تتصل من خلال أسبابها وأنواعها باللهاجات العربية القديمة المختلفة، والتي تُعدُّ من أهم دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية.

أولاً: ظهور اللحن.

تكاد تُجمع الدراسات القديمة والحديثة أن اللحن كان من أبرز الدوافع التي أدت بالعلماء المسلمين في القرون الهجرية الأولى إلى الاهتمام بالظواهر الصوتية في اللغة العربية؛ حيث سارعوا إلى تحديد أصول العربية خشيةً على كتاب الله عز وجل من التحريف والتأويل¹، وقد بلغت تلك الدراسات مبلغاً عظيماً بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مُبين،

¹ يُنظر: إنباه الرواة على إنباه التحاة: القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع-دار الفكر العربي-القاهرة، ط1، 1406هـ-1986م، ص39/1.

ودخول مَنْ ليس مِنَ العرب في دين الإسلام وتعلّمهم اللّغة العربيّة لغة القرآن، وقيام دولة إسلامية موحّدة يعيش في كنفها أقوامٌ لغاتهم الأصليّة مختلفة، يُظلمهم دينٌ واحدٌ ويتلون قرآناً واحداً؛ فذاع اللّحن في أواخر القرن الهجريّ الأوّل على ألسنة الأعاجم عند أداء الصلوات وتلاوة القرآن العظيم الذي نزل بلغةٍ تحتوي على عدد من الوحدات الصوتية التي لا توجد في اللغة الأم للمسلمين الجدد كاللغة الفارسية والهندية والعبرية والسريانية والرومية والقبطية وغيرها، وتصرّفوا -دون قصد- في بعض ألفاظه، وشاعت الأخطاء اللّغوية بينهم، بل وأصاب عدواها ألسنة بعض العرب؛ فحشي علماء الإسلام على اللّغة العربية الفصحى وعلى القرآن الكريم، وحرّصوا على ضبط تلاوته وفهم نصوصه، وتعليم اللّغة العربيّة لغير العرب؛ فكان ذلك سبباً في بحوثهم ودراساتهم للظواهر الصوتيّة ضمن علوم أخرى كالصّرف والنحو وعلوم البلاغة والقراءات وتاريخ الأدب والنقد والمعاجم، واستفادوا من علم الرّجال والحديث وغيرها، وقام علماء اللغة ومن بعدهم علماء القراءات برصد التغيرات الصوتية وعيوب النطق كاللثغة وغيرها ممّا يُعرّض مستخدمي اللّغة العربيّة من المسلمين للحن في القرآن الكريم، وما يترتب على ذلك من تغيير في معاني كلمات الترتيل؛ يقول الدكتور أحمد محمد قدّور: «لقد اتّسمت علوم اللّغة عندهم بالتنوّع والغنى، حيث ازدهرت الدراسات الصوتيّة والنحويّة والمعجميّة على أيدي أجدادنا في البصرة والكوفة [...] كما وُصفت الأصوات وصفاً فذاً مع قلة الوسائل العلمية المعينة، وحادثة هذه البحوث عندهم أصلاً»¹.

¹ مصتفات اللّحن والتثقيب اللّغويّ حتى القرن العاشر الهجريّ : أحمد محمد قدّور ، منشورات وزارة الثقافة-دمشق-سوريا، 1996م، ص05.

واللَّحْنُ في كلام العرب هو: «الصوتُ الموزون؛ وَلَحَنَ لَهُ: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره؛ و لَحَنَ إِلَيْهِ: مال؛ و لَحِنَ: فَطِنَ لِحَجَّتِهِ؛ و لَحْنُ الْقَوْلِ: فحواه ومعناه»¹؛ وبذلك جاءت معانيه اللغوية متعددة.

يقول ابن منظور (ت711هـ): «اللَّحْنُ: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه أَلْحَانٌ ولُحُونٌ. وَلَحَّنَ فِي قِرَاءَتِهِ إِذَا غَرَّدَ وَطَرَّبَ فِيهَا بِاللَّحَانِ»². وهذا هو لحن الغناء و الإيقاع الذي ذكره بعض علماء القراءات³، حيث اعتبروا أن استحداث أصوات الغناء في قراءة القرآن يُعدُّ تغييراً وتحريفاً له؛ يقول ابن الجزري (ت833هـ): «إنَّ مما ابتدَع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء، وهي التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ستكون بعده، ونهى عنها»⁴.

ويأتي اللَّحْنُ بمعنى الخطأ، لقول ابن منظور: «وَاللَّحْنُ وَاللَّحْنُ وَاللَّحَانُ وَاللَّحَانَةُ وَاللَّحَانِيَّةُ: تركُّ الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك ... أَلْحَنَ فِي كَلَامِهِ أَي أَخْطَأَ»⁵.

و عرفه المناوي (ت1031هـ) بقوله: «اللحنُ صرف الكلام عن سننه الجاري عليها»⁶، ثم قسّم اللحنَ إلى مذموم وممدوح، فالمذموم هو إزالة الإعراب أو التصحيف، أمّا الممدوح فهو إزالة التصريح و صرفه إلى تعريض وفحوى.

¹ يُنظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ-2005م، مادة (ل ح ن)، ص1/1587.

² لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل ح ن)، ص13/379.

³ يُنظر: التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري، ص1/55.

⁴ نفسه، ص1/55.

⁵ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل ح ن)، ص13/379.

⁶ التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي محمد عبد الرؤوف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ، ص1/618.

وعلماء القراءات إذا تكلموا عن اللحن فإنما يعنون به النوع الأول المذموم . وكثيرا ما نبهوا إلى أنه يُخرج الأصوات عن طبيعتها العربية من فصاحة ونصاعة، وأنه ليس من القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربيّ مبين. وهو الذي عناه ابن الجزري في قوله: «اللحن: الخطأ ومخالفة الصواب»¹.

ويتحقق اللحن بالعدول عن الإعراب والبعد عن الصواب. يقول ابن الجزريّ: «وبه سُمِّيَ الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحناً، وسمي فعله اللحن، لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب، والعاقل عن قصد الاستقامة»¹.

وقد قسم العلماء اللحن إلى ضربين: لحن جليّ ولحن خفيّ².

أ - اللحن الجليّ: وهو الذي يقع على الألفاظ بتغيير بنية الكلمة وحروفها التي تتركب منها، كأن يُبدل القارئ الطاء ضادا، والذال زايًا، وما إلى ذلك؛ أو بتغيير بعض الحركات عما ينبغي، كتغيير الضمة إلى الفتحة أو الفتحة إلى الكسرة، أو تسكين المتحرك وغير ذلك. واللحن الجليّ قسمان:

- لحنٌ فيه إخلالٌ بالمعنى والعرف؛ ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾³ فلو غيرنا فتحة الهاء من لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ إلى

ضمّ، وضمّ همزة ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ إلى فتح، لوقع اللحن.

- ولحنٌ يُخلُّ بالعرف دون المعنى، وهو أخفّ ضررا من القسم الأول؛

ومثاله: رفع الهاء ونصبها من قوله تعالى: ﴿إِلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹.

¹ ﴿١﴾

¹ التمهيد في علم التجويد: ابن الجزريّ، ص 75/1.

² يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ص 238/1.

³ سورة فاطر: الآية 28.

وعدَّ محمود خليل الحصريّ (ت1401هـ) صور اللحن الجليّ سبعة²، وهي: إبدال حرف بحرف؛ إسكان المتحرّك؛ تحريك الساكن؛ إشباع الحركة بحيث يتولّد منها حرف مدّ؛ حذف أحرف المدّ؛ تخفيف المشدّد؛ وتشديد المخفف.

ب - اللحن الخفيّ: وهو الذي يقع على الألفاظ فيخلّ بطلاوتها ويُفسد رونقها وحسنها وبهاءها دون التقصير بها، ودون الإخلال باللغة والإعراب. ومن ظواهره ما ذكره ابن الجزريّ في قوله: «واللحن الخفيّ هو مثل تكرير الرءاء؛ وتطين النونات؛ وتغليظ اللامات وإسماؤها وتشريبها الغنة؛ وإظهار المخفى؛ وتشديد الملين؛ وتلين المشدّد؛ والوقف بالحركات كوامل»³.

ويشترك اللحن الخفيّ مع القسم الثاني من الجليّ في أنّهما يُخلّان بالعرف دون المعنى، إلاّ أن الخفيّ لا ينجو منه إلاّ القارئ الضابط الجود، الذي جالس العلماء الموثوق بعربيّتهم، فتلقّى من أفواههم اللفظ وأعطاه حقّه، ومرّن لسانه على النطق الفصيح وعوده، وتحفّظ من طبعه القبيح وغيره. ولذلك سُمّي خفيّاً².

ومن صور لحن الأعاجم في الأصوات العربيّة وانحرافهم عن طباع العرب في نطقها، أنّهم كانوا يقلّبون أصوات العربيّة فيبدلون صوتاً بآخر، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ (ت255هـ) بقوله: «ألا ترى أنّ السنديّ إذا جلب كبيراً فإنّه لا يستطيع إلاّ أن يجعل "الجيم" "زايّاً" ولو أقام في علياء تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً. وكذلك النبطيّ القحّ خلاف المغلق الذي نشأ في بلاد النبط لأنّ النبطيّ القحّ يجعل "الزاي" "سيناً" فإذا أراد أن يقول: (زورق)، قال:

¹ سورة الفاتحة: الآية 01.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص35 (الهامش).

³ التمهيد في علم التجويد: ابن الجزريّ، ص76/1.

(سورق)، ويجعل " العين " همزةً فإذا أراد أن يقول: (مشمعل)، قال: (مشمئل)¹.

ومن الظواهر الصوتية التي أثبتها الباحثون، والتي نشأت بسبب ظهور اللحن، التبادل بين صوتي السين والشين؛ فعلى الرغم من أن بعض الباحثين حاول إرجاع هذا التبادل للعلاقة بين الصوتين، وهي الاشتراك في الهمس والرخاوة وقرب المخرج، إلا أن الأرجح هو إرجاعه إلى أمراض الكلام²، ومن ذلك قول ابن جنّي: « وأما ما يحكى عن سحيم³ من قوله: (فلو كنت وردا لونه لعسقتني ... ولكن ربي ساني بسواديا)؛ فإنما قلب الشين سينا لسواده وضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة وإنما هو كاللثغ⁴.

وقد استطاع الجاحظ أن يحدّد أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى اللحن، نظراً لاهتمامه الكبير بعيوب النطق عند الأعاجم وغيرهم؛ ويظهر ذلك الاهتمام بشكل واضح في كتابه البيان والتبيين، حيث حدّد بأنّ اللحن يتحقّق بثلاثة أمور هي⁵: اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشأوا؛ ثمّ استرخاء الحنك وارتفاع اللثة لدى الشيخ الهرم الذي يمجّ ريقه ولا يقدر على ردّه لكبر سنّه؛ وكذلك أصحاب اللكن من الأعاجم ومن نشأ معهم من العرب.

¹ (البيان والتبيين: الجاحظ، ص53/1.

² يُنظر: اللهجات العربية في التراث-القسم الثاني النظام التحويّ: أحمد علم الدّين الجندي، الدار العربية للكتاب-طرابلس-لبنان، 1983م، ص455.

³ هو سحيم عبد بني الحسحاس ابن هند بن سفيان بن نوفل بن عصاب بن كعب بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن مروان بن أسد بن خزيمه، يكنى أبا عبد الله. وهو شاعر زنجي أسود فصيح وكان في لسانه عجمة، توفي في حدود الأربعين للهجرة (ت40هـ). يُنظر: فوات الوفيات: محمد بن شاکر الكتيبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 1974، ص42/2-44.

⁴ (سر صناعة الإعراب: ابن جنّي، ص203/01.

⁵ يُنظر: البيان والتبيين: الجاحظ، ص53/1.

وهكذا أدرك علماء العربية **خطر اللحن** الذي لم يسلم منه حتى العرب بسبب مخالطتهم العجم، بل لم يسلم منه حتى بعض الشعراء والبلغاء؛ وللملاحظ لفظة طريفة وظريفة لأحد البلغاء وقد كانت له **لكنة نبطية** فكان يُبدلُ صوت الحاء هاءً، يقول عنه **الجاحظ**: «وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال له: اكتب: "الهاصل ألف كر" فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها؛ فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب؛ فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال: "أنت لا تُهَسِّنُ أن تكتب وأنا لا أُهَسِّنُ أن أملِي، فاكتب: "الجاصل ألف كر" فكتبها بالجيم معجمة»¹.

ولم يسلم من ذلك حتى بعض صحابة رسول الله رضوان الله عليهم، ومنهم الصحابيُّ الجليل **صُهيب الرومي**² رضي الله عنه الذي تمكّنت منه **لكنة رومية** فلا يستطيع التخلص منها ولو حاول، وذلك بسبب اختطاف الروم له وهو صغير، حيث شبَّ بينهم وتربَّى على عاداتهم النبطية، فكان يُبدلُ الحاء هاءً، وعُرفَ عنه رضي الله عنه أنه كان يقول: **(إِنَّكَ لِهَائِن)** يُريد: **(إِنَّكَ لِحَائِن)**¹.

بل إنَّ اللحن قد مسَّ بعض أصوات العربية عند بعض القراء أنفسهم، حيث تظهر على ألسنتهم بعض الأخطاء الصوتية، ومن ذلك ما ذكره **ابن الجزري** بقوله: «إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريق ألفتها الطباعات، تُلقيت من العجم، واعتادتها النبط، واكتسبتها بعض العرب»³. ويكون **التفخيم** عند علماء

¹ البيان والبيان: الجاحظ، ص54/1.

² هو **صُهيب بن سنان بن مالك**، من بني التمر بن قاسط: صحابيٌّ، من أرمى العرب سهماً، وله بأسٌ وهو أحد السابقين إلى الإسلام. سبَّ طفلاً صغيراً، فاشتراه أحد بني كلب من الروم، فابتاعه عبد الله بن جدعان التميمي، ثم أعتقه. أسلم فُعرفَ بصهيب الرومي. يُنظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد محمد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 1، 1421هـ-2001م، 161/3. يُنظر أيضاً: البيان والبيان: الجاحظ، ص54/1.

³ التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص242/1.

القراءات في صوت الراء بينما يكون التخليط في اللام، وضدهما الترفيق من الرقة، وهو عبارة عن إنحاف ذات الحرف ونحوه؛ وقد عرف علي محمد الضباع الترفيق والتفخيم والتخليط، فقال: « الترفيق من الرقة بمعنى النحافة، فهو عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأ صداه الفم، فهو ضد التفخيم والتخليط، وقد يُطلق على الإمالة بنوعيتها؛ و التفخيم من الفخامة وهي العظمة والكبر، فهو عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والتخليط مرادف له»¹.

ثانياً: اختلاف القراءات القرآنية.

إن اختلاف القراءات ووجوه الأداء القرآني كان بمثابة المادة الغزيرة الثرية بين أيدي علماء العربية القدامى عموماً وعلماء القراءات القرآنية خصوصاً، لتناول الظواهر الصوتية المتعددة، فقد حثهم ذلك على البحث في أسباب اختلاف بعض ألفاظ القرآن الكريم في قراءتها وأدائها الصوتية، والتحقيق في دوافعه ومحاولة تقصي حقائقه ومعرفة إعجازه اللساني والتشريعي، يقول صبري الأشوح: «شكّلت القراءات القرآنية المختلفة حافزاً لا ينضب معينه لتذوق اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم»²؛ خاصة وأن الاختلاف في الأداء القرآني الذي أجمع العلماء على صحته، قد أقره النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد ثبت

¹ الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضباع ، عني بقراءته وأذن بتدريسه محمد خلف الحسيني، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة-مصر، ط1، 1420هـ-1999م، ص30.

² يُنظر: إعجاز القراءات القرآنية-دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء: صبري الأشوح، ص08.

في الأحاديث النبوية الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بعض آيات القرآن العظيم بأوجهٍ مختلفة ولما سُئِلَ عن ذلك أجازها جميعاً¹.
والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ فالقرآن هو الوحي المتزل للإعجاز والبيان؛ والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما². فمن حكمة الله تعالى أن راعى حال المجتمع العربي آنذاك، إذ لا يخفى ما كان للغتهم من وجوه مختلفة في بعض الأصوات والألفاظ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف بعض ألفاظ القرآن الكريم في القراءة والأداء بما يناسب فطرتهم اللغوية ولهجاتهم القومية، وليسهل عليهم فهمه وحفظه وتلاوته والعمل به. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه»³.

وقد اختلف العلماء في المقصود بالأحرف السبعة، إلا أنّ الرأي الغالب هو أنّ المراد بها اللغات أو اللهجات. يقول الزركشي: «المراد بهذه الأحرف اللغات؛ وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم من الإظهار والتفخيم، والهمز والتلين... وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة؛ فإنّ الحرف هو الطرف والوجه»⁴.

¹ يُنظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م، ص36/1.

² يُنظر: إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ويسمى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات): شهاب الدين الدميّاطي أحمد بن محمد بن عبد الغني، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية-لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص07. يُنظر أيضاً: البرهان في علوم القرآن: الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة-بيروت-لبنان، 1391هـ، ص318/1.

³ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقيرواه، دار إحياء التراث العربي-بيروت، رقم الحديث (818)، ص560/1.

⁴ يُنظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ص227/2.

وعلى الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فإن الله تعالى ألهمه وآتاه من العلم والحكمة ما لم يُؤتِه أحدًا من العالمين، فقد أُوتِيَ عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم، وكان كلامه وحياً من الله تعالى إن حديثاً أو قرآناً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾¹. بل لقد آتاه الله العلم بوجوه لغات العرب المختلفة؛ فكان عز وجل يوحى إليه أن يُقرئ كل قوم بما يُناسب لهجتهم بتغيير بعض الأصوات في القراءة والأداء؛ روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك، فكدتُ أساوره في الصلاة فصبرتُ حتى سلم، فلما سلم لببته بردائه² فقلتُ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: كذبتُ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة. فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسول الله، إنني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها، وأنت أقرأني سورة الفرقان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها، فقال: هكذا نزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا نزلت، ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»³.

¹ سورة النجم: الآيتان (03-04).

² أي: جمع ثيابه عند صدره ونحره ثم جرّه، يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل ب ب)، ص1/729.

³ صحيح مسلم: رقم الحديث (818)، ص1/560.

وليس هذا الاختلاف في وجوه القراءات اختلاف تناقض أو تضاد، وإنما اختلاف تنوع وتغاير كما بينا آنفاً؛ بل إن في نزول القرآن على سبعة أحرف وبهذه الكيفية وهذا الاختلاف إعجازاً وتحدياً للفطرة اللغوية عامة؛ قال الجصاص (ت370هـ): «إن الاختلاف على ثلاثة أوجه: اختلاف تناقض بأن يدعوا أحد الشيعيين إلى فساد الآخر؛ واختلاف تفاوت وهو أن يكون بعضه بليغاً وبعضه مردوفاً ساقطاً؛ وهذان الضربان من الاختلاف منفيان عن القرآن، وهو إحدى دلالات إعجازه؛ لأن كلام سائر الفصحاء والبُلغاء إذا طال مثل السور الطوال من القرآن لا يخلو من أن يختلف اختلاف التفاوت. والثالث: اختلاف التلاوم، وهو أن يكون الجميع متلائماً في الحسن، كاختلاف وجوه القراءات ومقادير الآيات واختلاف الأحكام في النسخ والمنسوخ»¹.

وهكذا تم الكمال للقرآن الكريم بهذا الاختلاف في بعض صور ألفاظه؛ يقول الرافعي: «إذا تم هذا النظم للقرآن مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به، ومع اليأس من معارضته، على ما يكون في نظمه من تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات بحسب ما يلائم تلك الأحوال في مناطق العرب، فقد تم له التمام كله»².

وقد حدّد ابن الجزري رحمه الله (751هـ-833هـ) ثلاثة أحوال لاختلاف القراءات، وهي:³

¹ أحكام القرآن: أبو بكر الرازي الجصاص أحمد بن علي الحنفي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان، 1405هـ، ص456/4.

² تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، 6ط، 1422هـ-2001م، ص48/2.

³ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص44-46.

● اختلاف اللفظ والمعنى واحد: كقوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾¹ بالصاد في قراءة، و﴿الزَّرَّاطُ﴾² بالزاي في قراءة أخرى؛ فالمعنى واحد وإنما الاختلاف في اللفظ.

● اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد: كما جاء في رواية ورش لقراءة نافع قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾³ بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال؛ ويُقصد بها تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أما برواية حفص عن عاصم فقد وردت: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال؛ ويُقصد بها الكذب في الأخبار؛ فهما يختلفان في اللفظ والمعنى، ويجتمعان في شيء واحد؛ إذ يُراد بهما (المنافقون).

● اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد: كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾⁴ ففي رواية ورش لقراءة نافع: ﴿كُذِّبُوا﴾ بتشديد الذال؛ معناه أن الرسل قد تيقنوا أن قومهم قد كذبوهم. أما في رواية حفص عن عاصم: ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتخفيف فمعناه أن المرسل إليهم قد توهموا أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به. فاللفظان مختلفان والمعنيان مختلفان أيضاً، إذ (الظن) في القراءة الأولى (يقين) وفي الثانية (شك)، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لأن الضمائر الثلاثة في القراءة الأولى تعود للرسل، وفي القراءة الثانية تعود للمرسل إليهم، وليس في القراءتين تناف أو تضاد أو تناقض.

¹ (سورة الفاتحة: الآية 05).

² رواها الأصمعي عن أبي عمرو بالزاي، وهي قراءة حمزة. يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 44/1.

³ (سورة البقرة: الآية 09).

⁴ (سورة يوسف: الآية 110).

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون القرآن الكريم من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم غصاً طريا كما أنزل ويحفظونه مشافهة، فلم يُهملوا منه حرفاً ولا حركة ولا سكوناً؛ وكان حفظهم للقرآن الكريم متفاوتاً؛ يقول ابن الجزري: «منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه»¹. وكانوا يتلونه بجودة وإتقان، وكان بعض الصحابة يكتب ما يتزل من القرآن على عظام الأكتاف والأضلاع من الشاة والإبل وغيرها²؛ بل منهم من جمع القرآن كله³ وقرأه وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وبذلك كان لهم سبق الشرف في العناية بكلام رب العالمين تلاوة وحفظاً وفهماً وتجميعاً.

ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن الكريم محفوظاً كله في صدور الصحابة رضوان الله عليهم، ثم خلفه من بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت حروب الردة فتوفي جمع كبير من حملة القرآن؛ عندها خشي عمر بن الخطاب وبعض الصحابة رضي الله عنهم من ضياع القرآن الكريم بموت حامله، وطلبوا من أبي بكر رضي الله عنه أن يأمر بجمع القرآن ممن بقي من حفظته، فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمعه وكتابته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعُسب⁴، فكان أبو بكر رضي الله عنه أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف⁵.

¹ التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/13.

² يُنظر: تاريخ آداب العرب: الرافي، ص2/34.

³ نفسه، ص2/35.

⁴ العسب: جمع عسيب، وهو جريدة النخل. يُنظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي، باب (الباء)، فصل (العين)، مادة: (ع س ب)، ص147. يُنظر أيضاً: تاريخ آداب العرب: الرافي، ص2/36.

⁵ يُنظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال، ص1/146. يُنظر أيضاً: "أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي": مزيد إسماعيل نعيم وروفاثيل أنيس مرجان، مجلة "جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية"، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (28) العدد (1)، 2006م، ص04.

بقيت تلك الصحف عند **أبي بكر رضي الله عنه**، حتى إذا توفي صارت بعده إلى **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، ولما توفي عمر بقيت عند ابنته **حفصة رضي الله عنها**. وبقي القراء من الصحابة رضوان الله عليهم يتلون كلام الله ويتدارسونه ويحفظونه لغيرهم كما تلقوه من **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فأخذ عنهم القراءة بعض الصحابة المتأخرين والتابعين.

ولما اتسعت الفتوحات في عهد **عثمان رضي الله عنه** وتفرقت الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار، أخذ أهل كل مصر بقراءة الصحابي الذي حلّ فيهم. يقول **الرافعي**: «فأهل دمشق وحمص أخذوا عن المقداد بن الأسود، وأهل الكوفة عن ابن مسعود، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري- وكانوا يُسمّون مصحفه لباب القلوب- وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب»¹. فكانت قراءات الأمصار مختلفة في بعض أصواتها، حتى إذا التقى أهل تلك الأمصار في الغزوات وغيرها ثارت ثائرتهم بدافع غيرتهم على القرآن والدين، تماماً كما حدث للصحابة رضي الله عنهم في بداية الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما لاحظوا ذلك الاختلاف في القراءات، غير أن أولئك كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقرّهم على قراءتهم ويصوّب أخطاءهم وكانوا سليقي الألسن لم يشب لغتهم شيء دخيل، أمّا هؤلاء فهم حديثو عهد بالإسلام، بعيدون عن عهد النبوة، غير ملمين بلغات العرب، خالطوا الأعاجم فاضطربت ألسنتهم. رأى **عثمان رضي الله عنه** أن هذا الاختلاف قد أحدث في قلوب بعض هؤلاء المتأخرين شيئاً من الريبة والشكّ، ولاحظ ما طرأ على ألسنتهم في قراءة القرآن من تصرف ببعض ألفاظه، فخشي على القرآن الكريم من التحريف والتبديل،

¹ يُنظر: تاريخ آداب العرب: الرافعي، ص 36/2.

وأرسل إلى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعمد إلى تلك الصحف التي كانت عند أبي بكر رضي الله عنه، وأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، ثم وزّعها على سبعة أمصار¹؛ قال أبو حاتم السجستاني (ت255هـ): «كتب عثمان سبعة مصاحف بعث واحدا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا»²؛ ثم أمر بما عدا ذلك من صحيفة أو مصحف أن يُحرق³. وبذلك وحّد عثمان مصاحف المسلمين، وجعلها على رسم واحد، وسمّيت بالمصاحف العثمانية؛ فقرأ كلّ أهل مصر بما في مصحفهم وبما سمعوه من قرّاء الصحابة الذين حلّوا فيهم⁴. إلا أنّ القرّاء وعلماء المسلمين لاحظوا بعد ذلك أنّ الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجّه بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، قد جعل أهل الأهواء والبدع يقرؤون القرآن بما لا يحل تلاوته وفاقا لبدعتهم ، فلجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم فاخترتوا من كل بلد وجه إليها مصحفٌ أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم ، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء. فلُحِذتْ القراءة عنهم دون غيرهم⁵. فظهر من تلك الأمصار قرّاء حُذِّقوا أحبّوا كتاب الله فاخترتهم الله لحفظه فحفظوه وعرضوه على من سبقهم من القرّاء؛ اعتنوا بالقراءة فصارتوا أئمة يؤخذ

¹ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص14/1.

² يُنظر: التبيان في آداب حملة القرآن : النووي أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، الوكالة العامة للتوزيع-دمشق، ط 1، 1403هـ-1983م، ص97/1.

³ يُنظر: تاريخ آداب العرب: الرافعي، ص39/2.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص14/1.

⁵ يُنظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدميطي، ص07.

عنهم؛ وتجردوا لها فنُسبت إليهم¹، فأنت تراهم يقولون (قراءة نافع) و(قراءة عاصم) وغيرها، وقد كان ذلك مكروها فيمن سبقهم، قال الرافي: «وكانوا يكرهون أن ينسبوا القراءات لمن يقرأ بها نظرا لمكان الفطرة اللغوية منهم، فلما فسدت هذه الفطرة في المتأخرين نَسَبوا كلَّ قراءة لرأس أهلها²؛ وفي عهدهم أصبحت القراءة عِلما تميّز به عن باقي العلوم، عدّهم الذهبي (ت748هـ) من الطبقة الثالثة وهم التابعون. وفي الجدول التالي ذكر لأولئك القراء الأفاضل وكيف توزّعوا في الأمصار:³

الأمصار	القراء	الأمصار	القراء
المدينة المنورة	- أبو جعفر يزيد بن القعقاع؛ - ثم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم؛ - ثم شيبه بن نصح.	البصرة	- عبد الله بن أبي إسحق؛ - وعيسى بن عمر؛ - وأبو عمرو بن العلاء؛ - ثم عاصم الجحدري؛ - ثم يعقوب الحضرمي.
	مكة المكرمة		- عبد الله بن كثير؛ - وحميد بن قيس الأعرج؛ - ومحمد بن مُحِيسِن.
الكوفة	- يحيى بن وثاب؛ - وعاصم بن أبي النجود الأسدي؛ - وسليمان الأعمش؛ - ثم حمزة بن حبيب؛ - ثم عليُّ بن حمزة الكسائي.	الشام	- عبد الله بن عامر؛ - وعطية بن قيس الكلابي؛ - وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر؛ - ثم يحيى بن الحارث الذمّاري؛ - ثم شريح بن زيد الحضرمي.

¹ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/14.

² تاريخ آداب العرب: الرافي، ص2/49 (الهامش).

³ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/36-46.

وقد وضع أئمة القراءات ميزانا لقبول القراءات القرآنية، تمثل في أربعة شروط، وهي: السند والرسم والعربية والتواتر؛ فكل ما صح سنده؛ ووافق وجهها من وجوه النحو؛ ووافق خط مصحف من المصاحف العثمانية ولو احتمالاً؛ وكان متواتراً؛ فهو من السبعة الأحرف المنصوصة في الحديث الشريف؛ فإذا اجتمعت هذه الأربعة في قراءة وجب قبولها؛ والمراد بالتواتر ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداءة إلى المنتهى. وعكس التواتر الآحاد، فما جاء بجيء الآحاد لا يثبت به قرآن¹.

ولما جاء الإمام أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد (ت324هـ)، أفرد القراءات السبع المعروفة، فدونها في كتابه (السبعة في القراءات)، ولم يأخذ إلا عن إمام اشتهر بالضبط والأمانة وملازمة الإقراء طوال العمر؛ وممن رأى فيهم مثل ذلك من القراء، السبعة المشهورون الذين توفرت في قراءاتهم الشروط الأربعة، وقبلت الأمة قراءاتهم؛ وهم: عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (ت118هـ)؛ عبد الله بن كثير الدارمي المكي (ت120هـ)؛ عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي (ت128هـ)؛ أبو عمرو بن العلاء البصري (ت154هـ)؛ حمزة بن حبيب الزيات العجلي الكوفي (ت156هـ)؛ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ)؛ وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي (ت189هـ).

ثم أضاف العلماء بعد ذلك ثلاث قراءات لثلاثة أئمة، ثبت تواترها، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت130هـ)؛ ويعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي (ت205هـ)؛ وخلف بن هشام بن طالب (ت229هـ).

¹ يُنظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدمياطي، ص08.

فأصبح مجموع المتواتر من القراءات عشر؛ أصحابها كلهم من الطبقة الثالثة والرابعة؛ اتفق العلماء المحققون على أنها متواترة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على قبولها، وما عداها فهو شاذ لا يُقرأ به. يقول شهاب الدين الديماطي (ت1117هـ): «والحاصل أن السبع متواترة اتفاقاً وكذا الثلاثة أبو جعفر ويعقوب وخلف، على الأصح؛ بل الصحيح المختار وهو الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم وبه نأخذ، أن الأربعة بعدها ابن محيصة واليزيدي والحسن والأعمش شاذة اتفاقاً»¹. و نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ)، أحد القراء السبعة المشهورين الذين تُنسب إليهم القراءات اليوم، عدّه الذهبي من الطبقة الرابعة. وقد أخذ نافع القراءة عن بعض قراء الطبقة الثالثة، ذكر الذهبي بعضهم، فقال: «قرأ على الأعرج، و أبي جعفر القارئ، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان، و صالح بن خوات»². تصدّى نافع للقراءة، وأقرأ الناس دهرا طويلا، فقرأ عليه جمع غفير، ذكر الذهبي بعضهم في كتابه²، منهم الإمام ورش (ت197هـ)، وعن ورش أخذ جمع كثير منهم: أبو يعقوب الأزرق (ت240هـ).

وهكذا انتهت إلينا اليوم القراءات القرآنية المتواترة في سبع قراءات لسبعة قراء مشهورين، لكلّ منهم سند في روايته، وطريق الرواية منه. فيقال: (قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق)؛ و (قراءة نافع برواية ورش من طريق الأصبهاني)؛ و (قراءة نافع برواية قالون من طريق أبي نُشَيْط)؛ و (قراءة عاصم

¹ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الديماطي، ص09.

² معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ، ص108/1.

برواية حفص من طريق عبيد¹؛ وهكذا¹، حيث تُنسبُ القراءة إلى إمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه الرواة عنه من أوجه الخلاف بين القراء، وتُنسبُ الرواية إلى الراوي عن الإمام ولو بواسطة، و **الطريق** لمن أخذ عن الرواة وإن سفل².

وبذلك فإنَّ علم القراءات هو العلم الذي يُعرف منه اتّفاق الناقلين لكتاب الله عزّ وجلّ واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع³. وكانت هذه الاختلافات الصوتية وتنوعها حافزاً قوياً لتناول الظواهر الصوتية العربية بالدراسة والتعليل من أجل معرفة حقيقة ذلك التباين وبيان إعجازه، ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن مجاهد (ت324هـ) عن كلمة (مُصَيِّطِر) التي وردت في القرآن الكريم بالصاد بدل السين: «إنّما كُتبت بالصاد ليقربوها من الطاء، لأنّ الطاء لها تصعد في الحنك، وهي مطبقة والسين مهموسة، وهي من حروف الصّفير، فنقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضاً ومستعلياً في كلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصّاد، لأنّها مؤاخية للطاء في الإطباق، ومناسبة للسين في الصّفير»⁴.

وبهذا يتبيّن أنّ اختلاف القراءات القرآنية، واختلاف الأداء في الآيات القرآنية، مرده إلى اختلاف اللهجات العربية، من أجل التيسير على هذه الأمة؛ وهذا هو معنى الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهي سبعة أوجه فصيحة من لغات العرب، وليس المقصود بها القراءات السبع المشهورة؛ فللقرآن الكريم نزل بسبع

¹ لمن أراد الاستزادة فقد جاء ذكر القراءات برواياتها وطرقها وسننها بالتفصيل في كتب القراءات وعلوم القرآن ككتاب: طبقات القراء السبعة: لابن السلاّ، وكذا: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدمياطي، ص11.

² يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قلون وورش من طريق الشاطبية: أحمد خالد شكري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع-الجزائر، ط2004، ص15-17. وكذلك: الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضبّاع، ص05.

³ يُنظر: الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضبّاع، ص05.

⁴ السبعة في القراءات: ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف-القاهرة، ط2، 1400هـ، ص49.

لهجات ولم يتزل بلهجة واحدة، وهي اللهجات التي كانت في البطون والقبائل بالجزيرة العربية. وهذا يعني أن الله أنزل القرآن على سبع لغات مراعيًا ما بينها من فوارق لم يألفها بعض العرب ؛ ولذلك عرّف أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) القراءات القرآنية بأنها: «الوجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة نصّ المصحف بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية»¹.

واللهجة في تعريفها اللغوي، من لهج بالأمر لهجاً ولهوج وألهج أي: أولع به واعتاده؛ واللهجة واللهجة: طرف اللسان، وجرس الكلام؛ يقال: (فلان فصيح اللهجة واللهجة)، ويُقال (لهجة فلان) أي: لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها².

أمّا في الاصطلاح العلمي الحديث، فاللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة؛ أو هي قيود صوتية تظهر عند أداء الألفاظ في بيئة معينة؛ ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض³.

وقد أثبت الباحثون أنّ اللغة العربية كانت عند نزول القرآن لغة قبائل معينة؛ فكانت لربيعة في شمال جزيرة العرب لهجة؛ ولتميم وقيس ومن انضاف إليهم في وسط الجزيرة لهجة؛ ولكنانة وهذيل وثقيف وخزاعة وأسد وضبة وألفافها

¹ ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة الخانجي-القاهرة، 1998م، صفحات المحقق، ص47/1.

² يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل هـ ج)، ص359/2.

³ يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م، ص16.

من عرب الحجاز و قمامة لهجة؛ فضلاً عن لغة اليمانيين في جنوب الجزيرة¹؛ يقول القلقشندي (ت821هـ): «واعلم أن اللغة العربية قد تنوعت واختلقت بحسب تنوع العرب و اختلاف ألسنتهم، والذي اعتمده حذاق اللغة وجهابذة العربية من ذلك ما نطق به فصحاء العرب، وهم الذين حلوا أوساط بلاد العرب و لم يخالطهم من سواهم من الأمم كثير مخالطة، و لم يصاقبوا بلاد العجم، فبقيت ألفاظهم سالمة من التغيير و الاختلاط بلغة غيرهم، كقريش و هذيل و كنانة و بعض تميم و قيس عيلان و نحوهم من عرب الحجاز و أوساط نجد؛ بخلاف الذين حلوا في أطراف بلاد العرب و جاوروا الأعاجم فتغيرت ألفاظهم بمخالطتهم، كحمير و همدان و خولان و الأزدي لجاورتهم بلاد الحبشة، و طيء و غسان لجاورتهم بلاد الروم بالشام، و بعض تميم و عبد القيس لجاورتهم أهل الجزيرة و فارس»². و لذلك كان علماء العربية يعتمدون في جمع مادّتهم و التععيد للغتهم على قبائل معينة عُرفت بالفصاحة؛ و هذا ما نلحظه من إجابة الخليل بن أحمد الفراهيدي عن سؤال الكسائي (ت189هـ)، و هو رأس مدرسة الكوفة، و قد كان يُلازم مجلس الخليل و يُعجبُ به أيما إعجاب، فسأله: من أين علمك هذا؟ فأجابه الخليل: «من بوادي الحجاز و نجد و قمامة»³.

و الحقيقة أن البحث في اللهجات العربية القديمة ليس بالأمر الهين، فهو وعر المسالك لتشعب موضوعاته، و لا يستطيع المرء أن يلتم بكل جوانبه، و لا أن

¹ يُنظر: الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي، الموسوعة الإسلامية العربية (10)، دار الكتاب اللبناني-بيروت لبنان، و دار الكتاب المصري-القاهرة، (د.ت)، ص25.

² صحب الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر-دمشق-سوريا، ط1، 1987م، ص1/196.

³ يُنظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ن ثابت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1417هـ، ص404/11. وكذلك: التنوعات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل، ص16.

يكشف عن كل غوامضه وأسراره¹؛ إلا أن للعلماء المحدثين، من العرب ومن غير العرب، جهودات جبّارة في هذا المجال، فقد حاول بعض المستشرقين من علماء أوروبا المحدثين دراسة اللهجات العربية، ومنهم الدكتور الألماني تشيم رابين (Chaim Rabin) (1915م-1996م) من جامعة أكسفورد (Oxford)، في كتابه (Ancient west-Arabian)، الذي رأى أن غرب الجزيرة العربية قد انتظمت في العصور الجاهلية لغة مستقلة في خصائصها وظواهرها وتطوراتها².

وقد حدّد الدكتور شوقي حمادة القبائل العربية التي قبل العلماء لغاتهم، فقال: «إن الذين أخذ عنهم اللسان العربيّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، وعليهم إتكّل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثمّ هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين؛ ولم تؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم؛ وبالجملة فإنّه لم يؤخذ عن حضريّ قطّ ولا عن سكان البراريّ ممّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم»³.

ويؤكّد الباحثون أن لغة قريش كانت أرقى لهجات اللغة العربية، وهي التي نزل بها القرآن الكريم؛ ولعلّ سبب تهذيب لغة قريش ورفقيها يرجع إلى أن القبائل العربية كانت تتوارد إلى مكّة في موسم الحجّ، باعتبار أن قريش كانت قائمة على سدانة الكعبة، وكان القرشيون يختلطون بهم فيأخذون من لغاتهم ما رقى وسهل؛ ثمّ إن قريشا كانت ترحل إلى الشام واليمن وفارس والحبشة للتجارة، ممّا سمح لهم بتهذيب أسلوب لغتهم حتّى أصبحت من أعذب اللهجات العربية ألفاظاً،

¹ يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ص 09.

² يُنظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان، ط1، 2002م، ص 36.

³ معجم عجائب اللغة: شوقي حمادة، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ص 07.

وأشملها لجميع المعاني والتصوّرات¹. وقد كانت الأسواق التي تقيمها العرب للتعامل والتفاخر وتناشد الأشعار، ومنها سوق عكاظ²، من أهمّ العوامل في تهذيب اللغة؛ يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «واستأثرت (قريش) بميادين الأدب شعرها وخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية، فأصبح العربيّ، أيّاً كانت قبيلته، يؤلّف شعره وخطابته ونثره الأدبيّ بلهجة قريش»³، وبذلك كانت لهجة قريش هي اللغة العربية النموذجية⁴ لدى الشعراء والأدباء. والثابت أنّ اللهجة تتولّد من اللغة وتتفرّع منها، و العكس صحيح، أي أنّ اللهجة متى قهّيات لها الأسباب لتنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه، أصبحت لغة مستقلة⁵.

ولمّا كان أصل اللهجات العربية القديمة واحداً⁶، فإنّ الاختلاف الظاهر بينها لم يكن إلاّ نتيجة إسقاط بعض الكلمات في استعمال قبيلة، وبقيائها في استعمال أخرى، أو العكس؛ ثمّ نتيجة لما يعترى الكلمات من القلب والإبدال؛ ومما يطرأ

¹ الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي، ص23-24.

² عكاظ: اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كلّ سنة شهراً ويتناشدون ويتفاخرون ثمّ يفترون فهدمه الإسلام وكانت فيها وقائع [...] وهو من مكّة على مرحلتين أو ثلاث، بين نخلة والطائف [...] وسُمّي به لأنّ العرب كانت تجع كل سنة فيعكظ بعضها بعضاً (أي يدعك ويَعزكُ بعضها بعضاً) بالمفاخرة والتناشد، وفلان يعكظُ خصمه بالخصومة: يَمعكُهُ. يُنظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، (باب العين والكاف والتاء معهما)، ص195/1-196. يُنظر أيضاً: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت، 1385هـ-1965م، مادة (ع ك ظ)، ص5062/1.

³ فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، أطراف مجمع اللغة العربية وتقرّر تدريسه بجامعة القاهرة، مُضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- مصر، ط3، 2004م، ص87.

⁴ يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ص11.

⁵ يُنظر: المقتضب في لهجات العرب: محمّد رياض كريم، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفسيت-طنطا-مصر، 1417هـ-1996م، ص57-58.

⁶ يُنظر: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص85.

على اللغات من تغييرٍ بمعاملة الأجنبي¹. يقول الدكتور أنور الجندي: «وكانت لهجة القبيلة الواحدة تفترق عن لهجة غيرها في مادة اللغة وفي كيفية النطق بها»². وهكذا تميّزت اللهجات العربية بعضها عن بعض في بعض الصفات، والتي تكاد تنحصر في الأصوات³، ومن ذلك أن قبيلة تميم كانت تقلب (التاء) (دالاً) فتقول في كلمة (فُزْتُ) (فُزْدُ)؛ يقول ابن السراج البغدادي (ت316هـ): «وبعض بني تميم إذا كانت الزاي لأمًا قلبوا التاء في (فَعَلْتُ) دالاً وقالوا (فُزْدُ) يُريدون (فُزْتُ)»⁴. إلا أن تلك الصفات الخاصة التي تميّزت بها اللهجات العربية عن بعضها كانت قليلة جداً بالمقارنة مع الصفات المشتركة، وإلا لاستقلت كل لهجة وأصبحت لغة قائمة بذاتها⁵.

وقد لخص الدكتور إبراهيم أنيس الصفات الصوتية التي تميّزت بها اللهجات العربية بعضها عن بعض، بخمس صفات، وهي⁶:

- 1 - الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية؛
- 2 - الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات؛
- 3 - الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين؛
- 4 - التباين في النغمة الموسيقية للكلام؛
- 5 - الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة، حين يتأثر بعضها ببعض.

¹ يُنظر: الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي، ص28.

² نفسه، ص25.

³ المقتضب في لهجات العرب: محمد رياض كريم، ص55.

⁴ الأصول في النحو: ابن السراج النحوي البغدادي، ص3/271.

⁵ يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ص17.

⁶ نفسه، ص19.

- وبذلك ظهرت تلك الظواهر الصوتية التي ميّزت بين اللهجات العربية، ومنها:¹
- عنعنة تميم: وهي إبدال همزة (أن) عينا؛ في لغة تميم؛ وذلك في قولهم: (عَنُ توست) بدلا من (أَنُ توست)؛
 - قُطعة طيء: بقطع اللفظ قبل تمامه في لغة طيء، فيقولون: (يا أبا الحك) في (يا أبا الحكم)؛ ولم يكن هذا مقصورا عندهم على المنادى؛
 - وكذلك إبدال الهمزة هاء أحيانا، في لغة طيء؛ فيقولون (لهنك) بدلا من (لأنك)؛
 - كشكشة أسد: وهي إبدال الكاف شيئا؛ ولاسيما في الوقف؛ في لغة أسد؛ فينطقون (عليك) (عليش)؛
 - شنشنة اليمن: وهي إبدال الكاف شيئا مطلقا؛ في لغة اليمن؛ فيقولون: (لَبَّيشَ اللهم لبيش) مكان (لبيك اللهم لبيك)؛
 - كسكسة ربيعة: وهي إلحاق سين بكاف المخاطب المذكر أو استبدالها بها في حالة الوقف؛ في لهجة ربيعة للفرقة بين المذكر والمؤنث؛ فيقولون: (عليكس) مكان (عليك)؛
 - استنطاء هذيل: بإبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء؛ عند هذيل وقيس والأنصار وسعد ابن بكر؛ فينطقون كلمة (أعطى) (أنطى)؛
 - الوتم: وهو إبدال السين تاء في بعض الكلمات؛ في لغة اليمن؛ فيقولون: (النات) بدل (الناس)؛

¹ يُنظر: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص 98-99.

- **الطُّمُطْمَانِيَّة**: وهي إبدال لام التعريف ميماً في لغة حمير، ومن ذلك قولهم: (طَابَ امْهَوَاءُ) يُرِيدُونَ (طَابَ الهَوَاءُ)¹؛ وقول الشاعر: (ذَاكَ خَلِيلِي وَدُو يُوَاصِلِي ... يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلَمَةَ) بدل: (بِالسَّهْمِ وَالسَّلْمَةِ)²؛ وقد ذكر ابن هشام (ت761هـ) أن هذه اللهجة نُقلت عن طيِّ وعن حمير، وهي من اللهجات المذمومة والمستقبحة³؛

- **تلتلة بهراء**: وهي كسر حرف المضارعة؛ وهي لهجة احتضت بها قبيلة بهراء، فيقولون (أنت تعلم)، ويقولون (تعلمون) و(تفعلون) بكسر أوائل الحروف⁴؛ يقول صاحب القاموس: «وَتَلْتَلَةُ بُهْرَاءَ، كَسْرُهُمْ تَاءِ تَفْعُلُونَ»⁵؛

- **عجرفية ضبة**: وهي صفة أقرب إلى الشدة والغلظة والجفوة، يميل متحدثوها إلى تفخيم الأصوات وتغليظها، حتى يملأ صداها الحنك والفم، فتسمع لها صدى قويا، يؤذي الأسماع؛ وأكثر من يتّصف بها هم الأعراب؛ وقد نُسبت هذه اللهجة إلى قبيل ضبة كونها من القبائل البدوية، التي حافظت على طباعها ونطقها القديم، فهي لم تتأثر بغيرها، ولم يتأثر غيرها بها؛ فهي من القبائل الداخلية في قبائل الجمرات⁶ التي اتفقت على ألا تخرج أحداً منها إلى غيرها، ولا تدخل من غيرها أحداً فيها؛

¹ يُنظر: فقه اللغة وأسرار العربية: أبو منصور الثعالبي، ص402.

² السَّلْمَةُ: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها؛ ويسمى ورقها القَرْطُ؛ لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء؛ طيبة الريح؛ تؤكل في الشتاء؛ وهي في الصيف تَحْضَرُ. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س ل م)، ص289/12.

³ نقلاً عن: "اللهجات العربية في كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)": صادق فوزي دباس العبادي، مجلة "القادسية للعلوم الإنسانية"، جامعة الكوفة-العراق، المجلد (10)، العددان (3-4)، 2007م، ص52.

⁴ يُنظر: خزنة الأدب لب لباب لسان العرب: البغدادي عبد القادر بن عمر، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ص251/11.

⁵ القاموس الخيط: الفيروزآبادي، مادة (ت ل ت ل)، ص970.

⁶ يُنظر: تاريخ آداب العرب: الراجعي، ص128.

- **عَجَعَجَة قضاة:** وهي إبدال الياء جيما، وقد اشتهرت نسبة هذه الظاهرة إلى قضاة؛ يقول ابن منظور: «العَجَعَجَة فِي قضاة كالعَنَعنة فِي تميم، يَحْوُلُون الياءَ جِيمًا مَعَ العين، يَقُولون: (هذا رَاعِج) (خَرَجَ مَعِج)، بدلاً من (هذا رَاعِي) (خَرَجَ مَعِي)»¹؛

- **الغمغمة:** وهي لهجة تنسب إلى قضاة أيضاً، و الغمغمة أن تسمع الصوت ولا يبين لك معناه، حيث يكون الاختلاط، وعدم التمييز والإفصاح في نطق الكلام، حتى أن السامع لا يكاد يفهم ما يريد المتحدث؛ يقول **المبرد** (ت285هـ): «وأما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره، لأنه صوت لا يفهم تقطيع حروفه»²؛

- وكذلك فتح باء الجر وكسر لامه في حالة جرهما لضمير المفرد الغائب، في لغة قضاة؛ فيقولون (مررت به) و(المال له)؛

- **لخخانية العراق:** وهي لكنة في الكلام، وعجمة في المنطق؛ يقول ابن منظور: «اللَّخْخَانِيَّةُ العجمة فِي المنطق، رجل لَخْخَانِيٌّ وامرأة لَخْخَانِيَّةٌ إِذَا كانا لا يفصحان [...] وفي حديث معاوية قال: أَيُّ الناس أَفصح؟ فقال رجل: قوم ارتفعوا عن لَخْخَانِيَّةِ العراق»³. وقد نُسبت هذه اللهجة إلى أعراب **شحر** و**عُمان**؛ يقول **الثعالبي** (ت430هـ): «اللَّخْخَانِيَّةُ تَعْرِضُ فِي لُغَاتِ أَعْرَابِ الشَّحْرِ وَعُمانَ كَقَوْلِهِمْ: (مَشَا اللهُ كان) يُرِيدُونَ (مَا شَاءَ اللهُ كان)»⁴؛

¹ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع ج ج)، ص2814.

² الكامل في اللغة والأدب: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة-مصر، ط3، 1417هـ-1997م، ص165/2.

³ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل خ خ)، ص50/3.

⁴ فقه اللغة وأسرار العربية: أبو منصور الثعالبي، ص402.

والثابت لدى الباحثين أن تلك الظواهر الصوتية التي ثبتت في اللهجات العربية المختلفة ليست كلها راقية¹؛ بل منها الهابطة ومنها الراقية، فمن الهابطة: العنينة والكشكشة و الفخفخة و العجعة و الاستنطاء، وغيرها؛ وقد آل أغلبها إلى الانقراض بفضل القرآن الكريم؛ يقول ابن عمر البغدادي (ت1093هـ): «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشه ربيعة وكسكسة هوزان وتضع قيس وعجرفية ضبة وتلتله بهراء»². ولم تشمل القراءات القرآنية، على اختلافها، إلا على الظواهر الصوتية الراقية التي تتناسب و فصاحة اللسان العربي، وقداسة القرآن العظيم؛ ومن ذلك: الإمالة و الإدغام، و الهمز و التفخيم والإبدال و الإسكان وغيرها، وهي ظواهر تناولها علماء القراءات، ووصفها الباحثون بأنها «ظواهر فصحي امتصتها لهجة قريش أو بعضها من تقاليد اللهجات المجاورة، التي كانت تنازعها السيطرة على لسان العرب، وبخاصة لهجة تميم»³؛ ومن هذه الظواهر الراقية:⁴

- ظاهرة الهمز: كهمز ياء (الني) في بعض اللهجات (النيء)؛ وبها جاءت قراءة نافع؛ وهمز ياء (ضياء) (ضياء) في قراءة ابن كثير؛
- وتسكين ذال (أذن) في بعض اللهجات؛ وبها جاءت كذلك قراءة نافع؛
- وإبدال الهمزة التالية لهمزة الاستفهام هاءً مع مد همزة الاستفهام أو عدم مدها؛ وبذلك جاءت قراءة نافع؛ في مثل (ءأنذرتهم) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ

¹ يُنظر: إعجاز القراءات القرآنية-دراسة في تاريخ القراءات وأتجاهات القراء: صبري الأشوح، ص121.

² - ينظر: خزانة الأدب لب باب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، ص250/11.

³ أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي-أبو عمرو بن العلاء : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، ط 1، 1408هـ-1987م، ص09.

⁴ يُنظر: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي ، ص99؛ (إلا أن الدكتور علي عبد الواحد وافي لم يفصل بين الصفات الراقية والهابطة في كتابه؛ وإنما ذكرها جملة واحدة).

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾¹؛

حيث تُقرأ برواية قالون (آهذرتهم)، وتُقرأ برواية ورش (أهذرتهم)؛

- وإمالة ألف المقصور اليائي؛ وبذلك جاءت قراءة نافع؛

- وتفخيم اللام بعد الصاد والضاد والطاء والظاء، وهو ما نصت عليه رواية

ورش في قراءة نافع؛

- وإدغام الصوتين المتحدين في المخرج والمتقاربان فيه إذا تجاوزا، في مثل

(سَلَكُكُمْ) و(اتَّخَذْتُمْ)، حيث جاءت في قراءة أبي عمرو (سَلَكُكُمْ) و(اتَّخَضْتُمْ)؛

- ومن ذلك أيضاً إبدال الفاء من الثاء، كما في قوله تعالى: ﴿بَادِعُ لَنَا رَبِّكَ

يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ مِنْ بَفْلِحِهَا وَفِثَائِبِهَا وَفُؤْمِهَا وَعَدَسِهَا

وَبَصَلِهَا﴾²، والأصل (تُؤْمِهَا) بالثاء؛

- ومن ذلك تحوّل التاء إلى الفاء في لغة تميم، فالقبر هو (الجدث) بلغة أهل

الحجاز، و(الجَدْفُ) بلغة تميم، وقد ورد نصُّ لها في القرآن الكريم، قال الله

تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ

﴾³؛ يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي: «يُلاحظُ أنَّ بين الحرفين

علاقة تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر، فالفاء رِخْوٌ مهموس، والتاء

كذلك، وهما متقاربان مخرجاً وصفةً [...] والحقُّ أنَّ إبدال الفاء من الثاء

كثير في تاريخ اللغات»⁴.

¹ سورة البقرة: الآية 05.

² سورة البقرة: الآية 60.

³ سورة يس: الآية 50.

⁴ يُنظر: اللهجات العربية في التراث - القسم الثاني النظام التحويلي: أحمد علم الدين الجندي، ص 417.

وإذا ما تتبعنا أسباب اختلاف اللهجات العربية القديمة ، وتمييزها بعضها عن بعض بتلك الصفات الصوتية، وجدناها لا تخرج في مجملها عن تسعة أسباب، هي:¹

- انتشار اللغة في مناطق واسعة ، فمتى انتشرت وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات؛
 - العوامل الاجتماعية السياسية ، كانقسام الدولة إلى دويلات، واستقلالها بعضها عن بعض؛
 - العوامل الاجتماعية النفسية الأدبية ، كالاختلاف في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات والتفكير الوجدان ووسائل الثقافة؛
 - العوامل الجغرافية وطبيعة الإقليم ، كالبيئة والتضاريس والطقس والموقع وغير ذلك؛
 - العوامل الشعبية، من فروق الأجناس والفصائل الإنسانية والأصول؛
 - اختلاف أعضاء النطق وتطورها؛
 - الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة؛
 - موقع الصوت من الكلمة، وخاصة الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات؛
 - تناوب الأصوات المتحددة النوع القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض.
- وليس من الضروري أن تجتمع هذه الأسباب في الظواهر الصوتية كلها، بل يكفي السبب والسببان في الظاهرة الصوتية الواحدة؛ ومثال ذلك ظاهرة الهمز، وهو من

¹ يُنظر: المقتضب في لهجات العرب: محمد رياض كريم، ص62-68. يُنظر أيضاً: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص86.

الظواهر الصوتية المهمة في اللغة العربية لما له من علاقة وثيقة بالقراءات القرآنية واللهجات العربية القديمة التي يذهب بعضها إلى تحقيق الهمزة وبعضها الآخر إلى تخفيفها أو تسهيلها؛ فقد ثبت عن بعض القبائل العربية البدوية، مثل: تميم، وقيس، وأسد، أنهم كانوا ينطقون الهمزة محققةً؛ بينما تميل الحواضر إلى تخفيفها، ومنها قريش وأهل الحجاز¹. ولعلّ السبب في ذلك هو أنّ البدو قد جُبلوا وتعودوا على السرعة في الكلام، فكانوا يُحاولون التقليل من تلك السرعة بتحقيق الهمز، من خلال سكتة لطيفة بحس الهواء عند النطق بالهمزة²، وهو ما يُعرف في الدراسات الحديثة باسم التبر³؛ يقول د. عبد الصبور شاهين: «إنّ الناطق البدويّ تعود التبر في موضع الهمزة، وفيما يُقابل موقعها في الكلمات الخالية منها، وهي عادة أملتتها ضرورة انتظام الإيقاع النطقي، كما حتمتها ضرورة الإبانة عمّا يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة، السريعة الانطلاق على لسانه، فموقع التبر في نطقه كان دائماً أبرز المقاطع، وهو ما كان يمنحه كلّ اهتمامه وضغطه»⁴.

كما تميّز أهل البدو قديماً بتفخيم الأصوات، ومن ذلك قول تميم (أفلطني) بدلاً من (أفلتني)؛ يقول ابن منظور: «أفلطني الرجل إفلاطاً مثل (أفلتني)، وقيل لغة في (أفلتني) تميمية قبيحة»⁵. ومثلهم قبيلة أسد، وهي من القبائل البدوية،

¹ يُنظر: الكتاب: سيويه، ص 304/1.

² يُنظر: حجة القراءات لأبي زُرعة-دراسة تحليلية: هشام سعيد محمود التميمي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1426هـ-2005م، ص 16.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 293-295. يُنظر أيضاً: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين، دراسات في القرآن والعربية، مكتبة الخانجي-القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 25.

⁴ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين، ص 30.

⁵ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف ل ط)، ص 372/7.

يُفخّمون صوت الكاف ليصبح قافاً، يقول ابن منظور: «كشَطَ الغِطاءَ عن الشيء، والجِلدَ عن الجَزُور، والجُلَّ عن ظهر الفرس، يَكشِطُه كَشِطاً، قَلَعَه ونَزَعَه وكشَفه عنه؛ واسم ذلك الشيء الكِشَاطُ؛ والقَشِطُ لغة فيه؛ قيسٌ تقول كَشِطْتُ؛ وتميمٌ تقول قَشِطْتُ بالقاف؛ قال ابن سيده: وليست الكاف في هذا بدلاً من القاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين»¹.

وظاهرة الإمالة من الظواهر المعروفة في اللهجات العربية القديمة، وقد رويت عن القبائل البدوية كأسد وقيس وتميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد؛ وعكس الإمالة الفتح وهي لغة أهل الحجاز؛ يقول الإمام الداني: «الفتح والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم»². ونقل السيوطي (ت911هـ) حديثاً عن الصحابيِّ صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ﴿يَيْحِيى﴾³؛ ف قيل له: يا رسول الله قميل وليس هي لغة قريش!؛ فقال: «هي لغة الأخوال بني سعد»⁴. والإمالة أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، ويُقال له الكسر والتقليل⁵؛ أمّا الفتح فهو فتح الفم بلفظ الحرف، ويُقال النَّصَب⁶؛ ولعلَّ تميّز أهل البادية بالإمالة بالإمالة مردّه أنّهم كانوا يميلون في كلامهم إلى الاجتهاد في الجهد العضلي، فاستعانوا بالإمالة لأنها تُحقِّق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات⁷؛ يقول

¹ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ك ش ط)، ص387/7.

² نقلاً عن: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص36/2.

³ سورة مريم: الآية11.

⁴ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ص244/1.

⁵ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص36/2.

⁶ يُنظر: نفسه، ص35/2.

⁷ يُنظر: المقتضب في لهجات العرب: محمد رياض كريم، ص170.

يقول ابن الجزري: «وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ؛ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة؛ والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال؛ وأما من فَتَحَ فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل والله أعلم»¹. وكذلك الإدغام، وهو نوع من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، وهي ظاهرة تندرج ضمن ما اصطُح عليه في الصوتيات الحديثة باسم المماثلة². وقد عرفه علماء العربية القدماء بأنه «اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا وينقسم إلى كبير وصغير»³. ويُراد بالإدغام تخفيف النطق واختصار الجهد العضلي في إحداث بعض الأصوات⁴. ويُنسب الإدغام إلى تميم وأسد وطيء وغيرهم من أهل البادية، وهم قبائل رحل لا يكادون يستقرون على حال، ميزتهم السرعة في نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض؛ وعكس ذلك أهل البيئة الحضرية، بيئة الاستقرار، حيث يميل أهلها إلى التأتّي في نطق الأصوات وعدم الخلط بينها، فأثروا الإظهار على الإدغام في أغلب كلامهم⁵. وبهذا نلاحظ أن البيئة وطبيعة التضاريس والطقس وطبيعة الحياة التي كانت تعيشها القبائل العربية القديمة، وكذا العوامل النفسية والاجتماعية وغيرها، قد فرضت على تلك القبائل بعض الخصوصيات والطباع، كالتأتّي أو السرعة في النطق؛ والاقتصاد في الجهد العضلي عند الكلام؛ وكذا الحرص على بروز

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 42/2).

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري" : المهدي بوروية، 185-186.

³ (الإنتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ص 250/1).

⁴ يُنظر: محاضرات في فقه اللغة: زبير دراقي، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون-الجزائر، ط 2، 1994م، ص 74.

⁵ يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ص 63.

ووضوح الأصوات وتمييزها بعضها عن بعض بظاهرة النبر مثلاً؛ وغيرها من الطّباع التي جُبلوا عليها، والتي تردّد صداها في أداة التعبير، فأسهمت بشكل مباشر في نشوء الظواهر الصوتية- الراقية منها والهابطة- في اللغة العربية. غير أنّ تخصيص القبائل البدوية ببعض الظواهر الصوتية، وتخصيص أهل الحضر بما يُقابلها من ظواهر صوتية، ليس على إطلاقه؛ فقد نجد من أهل البادية من يميل إلى تسهيل الهمز وتخفيفها في بعض الكلمات، وكذا إظهار بعض الأصوات في بعض الكلمات بدل إدغامها؛ كما قد نجد من أهل الحضر من يُحقّق الهمزة في بعض الكلمات، وكذا إدغام بعض الأصوات في بعضها؛ ومن ذلك ما نقله ابن الأثير (ت606هـ) عن سيبويه أنّه قال: «ليس أحدٌ من العرب إلا ويقول: (تَنبأً مُسَيْلَمَةً) بالهمز، غير أنّهم تركوا الهمز في (النبي) كما تركوه في الذرية والبرية والخابية، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويُخالفون العرب في ذلك»¹؛ إلا أنّ هذا قليل جداً ولم يثبت إلا في بعض الحالات الخاصة، ولذلك فضّل بعض الباحثين المعاصرين تسمية العوامل التي تحقق تلك الظواهر الصوتية باسم (الاتجاهات التي تحكم الأنظمة الصوتية)² وليس باسم (القوانين الصوتية)؛ ومن هذه الاتجاهات:³

-قانون الأقوى، أي أنّ الصوت القويّ يؤثر في الصوت الضعيف، وهذا لا يخلو من وجود حالات خاصة حيث يحدث العكس فيخضع الصوت الأقوى للأضعف، ممّا يؤدي مثلاً إلى همس المجهور أو ترقيق المفخم؛

¹ (النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م، ص08/5.

² يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد عمر مختار، مطبعة عالم الكتب-القاهرة، ط3، 1405هـ-1985م، ص317.

³ يُنظر: نفسه، ص319.

- **قانون الجهد الأقل** ، بمحاولة تجنب التحركات النطقية التي يُمكنُ الاستغناء عنها؛ وليست نزعة اللغات هذه إلى توفير الجهد الذي يُبذلُ في النطق على إطلاقها، لأنَّ عمليَّة السهولة والعسر أمر نسبيّ، وقد لا يكون إلاَّ أثرًا من آثار العادات اللغويَّة؛

- **قانون التردّد النسبي** ، ذلك أنَّ الكلمات الكثيرة التردّد في كلِّ يوم تتحمّل تأثيرات صوتيَّة أكثر من كلمة نادرة؛

- **عامل السرعة** ، أيّ التحدّث بسرعة وهو ما يؤديّ إلى عدم تأكيد مقاطع الكلمة؛ أو التحدّث بأناة وتؤدّة في الأداء؛ والسرعة والأناة في الأداء مردّهما إلى الشخص المتكلّم نفسه¹؛

- **عامل التوازن** ، حيث أنَّ حلول الأصوات المنفصلة محلّ أصوات أخرى يُقابله حلول نظام محلّ نظام آخر ذو تركيب مختلف؛

- **العامل الخارجي** ، ذلك أنَّ اللغات تؤثرُ أصواتها في أصوات بعض، وكثيراً ما يكون التأثير والتأثر بين اللغات في أصواتها بطريق الجوار والاحتكاك.

ولكلّ ظاهرة صوتيَّة قانونها الذي يحكمها أو مجموعة من هذه القوانين، وليس بالضرورة أن يتحكّم أحد هذه العوامل أو القوانين في الظواهر الصوتيَّة كلّها، بل إنَّ ذلك متعذّر، وهذا ما أثبتته العلم الحديث² ، ومثال ذلك القانون الأوّل (الأقوى) فقد يؤثرُ الصّوت الضّعيف في الصّوت القويّ في بعض الأحيان؛ كما أنَّ هذه الاتّجاهات والعوامل ليست على إطلاقها؛ حيث تصحّ في بعض الحالات

¹ يُنظر: أصوات اللّغة: عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب-المنيرة-مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص148.

² يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد عمر مختار، ص319-320.

وتتنفي في حالات أخرى، فقد يصلح قانون لبعض الظواهر الصوتية ولا ينطبق على بعضها الآخر¹، ومثال ذلك القانون الثاني (الجهد الأقل).
 وخلاصة القول أنّ هذه العوامل والقوانين كانت من أهمّ دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية، وأنّ هذه الظواهر هي التي ميّزت بين اللهجات العربية القديمة، وأنّ اختلاف تلك اللهجات كان سبباً في اختلاف القراءات القرآنية، وأنّ هذا الاختلاف كان من أهمّ دواعي تناول علماء العربية أصوات اللغة العربية بالدراسة، ومن ثم سبباً مباشراً في تطوّر اللغة العربية وازدهارها؛ يقول الدكتور صبري الأشوح: «لو جاءت القراءات قراءة واحدة محكمة، لماتت اللغة العربية جموداً ولحق بها، بعد حين، التفكير العربيّ أيضاً؛ ذلك أنّ الإنسان يُفكّر بلغته، فالتفكير واللغة وجهان لعملة واحدة»²؛ وقد شهد بذلك المستشرقون أنفسهم؛ يقول المستشرق الألماني تيودور نولدك (Theodor Noldeke) (1836م-1930م): «إنّ العربية لم تصر لغة عالميّة حقاً، إلاّ بسبب القرآن والإسلام»³. وقد كان اختلاف القراءات القرآنية تسهياً وتيسيراً على هذه الأمة.

ونخلص من هذا كلّه إلى معادلة رياضية مفادها:

عوامل وقوانين واتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية نشوء الظواهر الصوتية
 المختلفة أشكال اللهجات العربية اختلاف اختلاف القراءات
 القرآنية عصية العلماء بالأصوات .

¹ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد عمر مختار، ص319-320.

² يُنظر: إعجاز القراءات القرآنية-دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء: صبري الأشوح، ص08.

³ اللغات السامية: تيودور نولدكه، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة دار النهضة العربية-القاهرة، 1963م، ص79.

ونخلص من هذا أيضاً إلى أن من الظواهر الصوتية، ما هو قديم قدم اللغة العربية نفسها، كظاهرة الإدغام مثلاً؛ ومنها ما نشأ بسبب الاختلافات النطقية التي تميّزت بها القبائل العربية في لهجاتها، وكان منها الراقية ومنها الهابطة، فأقرّ القرآن الكريم الراقية منها، بثبوتها على سبعة أحرف، ليناسب تلك اللهجات العربية الفصيحة؛ ومنها ما ظهر بسبب ظهور اللحن على ألسنة المسلمين من العرب وغيرهم، بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، ومن ذلك تلك الظواهر الصوتية التي نُعتت بعيوب النطق.

وتعدُّ الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية من الظواهر اللصيقة باللغة العربية، التي تحدث نتيجة مجاورة الأصوات بعضها لبعض، وتأثر بعضها ببعض، وهذا ما أقرّته القراءات القرآنية المختلفة، ومنها قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق؛ ويظهر ذلك بوضوح من خلال ما أثبتته العلماء في مؤلفاتهم التي تناولت أحكام قراءة القرآن الكريم وتجويده.

واستناداً إلى ما تقدّم، وقبل تحديد مواطن ظهور هذه الظواهر الصوتية في قراءة نافع، وللضرورة العلمية، أستبق الموضوع بدراسة وصفية للظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية كما تناولها الدرس الصوتي الحديث، وعلماء القراءات وأهل الأداء، وقبلهم اللغويون والنحاة العرب القدامى.



المبایج الأول

الظواهر الصوتية التماثلية

في قراءة نافع

الفصل الأول

المفهوم والتفسير الصوتي

للظواهر التماثلية



تندرج الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية ضمن التغييرات التركيبية للأصوات؛ ذلك أن التغيير الصوتي نوعان:¹

- تاريخي يحدث خلال فترات زمنية متتابعة، فيتغير الصوت ويتزاح مخرجه ويتحوّل من حيز إلى آخر، أو تتبدّل بعض صفاته من جهر وهمس وشدة ورخاوة وغير ذلك؛ حيث تُدرّس تلك التبدلات التي تحدث للأصوات وهي منفردة، فينتج من ذلك أصوات لغوية جديدة غير معروفة في اللغة نفسها.²
- وتركيبي، يعرض لبعض أصوات الكلمة في نسق معيّن؛ أيّ أنّه يصيب الأصوات من جهة الصّلات التي تربطها بعضها ببعض في كلمة واحدة؛ ذلك أنّ اللغة هي في حقيقتها نظام مترابط من الأصوات اللغوية التي لا تحلّل بانفراد إلاّ بنوع من التجريد، ولا توجد مستقلة، ولا تُستعمل على انفراد؛ لأنّ الجملة أو الكلمة البسيطة ما هي إلاّ مجموعة أصوات لغوية مركّبة؛ يقول اللغويّ اللسانيّ الفرنسي جوزيف فنديريس (Joseph Vendryes) (1875م-1960م): «أقلّ جملة، وأقلّ كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة وقد تركيبت فيما بينها، ومن هذه المركبات تنتج أفعال متبادلة تؤدي إلى أنواع مختلفة من التحوير. والتغييرات التي تُصيب الأصوات من جهة الصّلات التي تربط الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة هي ما يُمكن أن نسمّيها بالتغييرات التركيبية»³؛

¹ يُنظر: التطوّر اللغويّ- مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التوّاب ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، ط2، 1989م، ص24. يُنظر أيضاً: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نموّ المعجم : أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزّهران- القاهرة، 1989م، ص10-11.

² يُنظر: اللّغة : جوزيف فنديريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمّد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة- مصر، 1370هـ-1950م، ص95.

³ اللّغة: جوزيف فنديريس، ص83.



وينشأ عن ذلك مفردات جديدة في اللغة ، وليس أصوات جديدة، لم تكن معروفة من قبل¹.

إن هذا التغيير الصوتي الذي يحدث للأصوات سواء كانت مفردة أو داخل تركيب²، يتناسب مع طبيعة اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، لا تكون إلا حيث يكون تجمع بشري، وبواسطتها تتواصل التجمعات وتتعاون على قضاء حوائجها، وهذا ما أشار إليه ابن جنّي (ت392هـ) بقوله: «أما حدّها فإنّها أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»³. ولم يبتعد علم الأصوات الحديث عن ذلك كثيرا، يقول ج. فنديريس (J. Vendryes): «في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة، ووُجدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم؛ وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم»⁴، ثم حدّد تلك الوسائل فذكر: الكلمة والإشارة؛ والنظرة.

ولذلك كانت اللغة ولازالت تتطوّر وتتغيّر بتطوّر وتغيّر المجتمعات⁵، فهذه سنّة الله الكونية وسنّة الحياة، فإذا ما نظرنا إلى عوامل التطوّر الاجتماعي، وجدناها لا تبتعد في مجملها عن العوامل التي تتأثر بها اللغة في تطوّرها، إذ أنّ اللغة تنتقل من السلف إلى الخلف، وهي أثناء نقلها تتبدّل وتتغيّر وتتطوّر؛ واللغة تتأثر باللغات الأخرى، فيحدث التغيير والتطوّر؛ وتتأثر اللغة أيضاً بالعوامل الاجتماعية

¹ يُنظر: نفسه، ص95.

² يُنظر: Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR, Ellipse Editions Marketing

S.A-Paris, 2008, p97.

³ الخصائص: ابن جنّي، ص87/1.

⁴ اللغة: ج. فنديريس، ص35.

⁵ يُنظر: التطوّر اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التّواب، ص15.



والنفسية والجغرافية؛ كما تتأثر أيضاً بما يُنتجه أفراد المجتمع من نشاط أدبيّ ولغوي¹.

وبما أن اللغة مستويات، فإن ذلك التغيير قد يحدث على المستوى الصوتي، أو على المستوى الصرفي، أو التحويي أو الدلالي، وقد يحدث في تلك المستويات كلها أو في بعض منها؛ إلا أن تطوّر اللغات وتغيّرها في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعاً من تطوورها في جوانبها الأخرى².

ومن أهم أشكال التطوّر والتغيّر في أصوات العربية³ وهي مركبة: المماثلة والمخالفة؛ الإدغام؛ القلب؛ إعادة التوازن؛ والميل نحو الأيسر فونيميا⁴، وغيرها.

يقول أحمد مختار عمر: «ولهذا نجد بعض اللغويين ينظرون إلى التطوّر اللغويّ - بصورة عامّة - على أنه نتيجة الصّراع المستمرّ بين حاجات الإنسان الاتّصالية، وميله إلى تخفيض نشاطه العضليّ والعقليّ»⁵؛ ذلك أن الله تعالى قد فطر الإنسان الإنسان على تلمّس أسهل السبل وأقصر الطرق في تحقيق أهدافه وبلوغ غاياته في هذه الحياة، ولم تكن أخطر الظواهر الاجتماعية والإنسانية، وهي اللّغة، ومنها اللّغة العربيّة، بمنأى عن هذه القاعدة، فالإنسان بطبعه يميل في نطقه لأصوات لغته إلى الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول، وتلمّس أسهل السبل، باستعمال أسهل الأصوات في كلامه، من أجل بلوغ غايته في التّواصل مع غيره، وإبراز المعاني إليهم؛ ومن الظواهر التي تلجأ إليها العربيّة للتخفيض من هذا النشاط،

¹ يُنظر: علم اللّغة: علي عبد الواحد وافي، نخبة مصر للطباعة والتّشريح والتوزيع - القاهرة - مصر، ط9، 2004م، ص236.

² يُنظر: دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد عمر مختار، ص317.

³ يُنظر: نفسه، ص324.

⁴ يُنظر: لحن العامّة والتطوّر اللغويّ: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة زهراء الشّرق - القاهرة - مصر، ط2، 2000، ص50.

⁵ دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد عمر مختار، ص331.



ظاهرتا التّماثل والتّخالف الصّوتي¹؛ اللّتان يتمّ بهما الانسجام الصوتي داخل بنية الكلمة.

أوّلاً: تركيب الأصوات اللّغويّة.

1 - مفهومه عند علماء العربيّة القدامى.

إنّ تحديد هوية العنصر الصوتي وتشخيصه تستند أساساً إلى تحديد مخرجه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره من العناصر الأخرى. وقد تفتّن علماء العربيّة القدامى إلى هذه المسألة، وتناولوها بتفصيل كبير، وخاصة علماء القراءات والتجويد من خلال تناولهم الجانب الصوتي في تأدية القرآن الكريم؛ وهي حقائق أكّدها الدراسات الصوتية الحديثة؛ غير أن دراسة الأصوات اللغوية منفردة خارج مدرج الكلام باعتبارها العناصر الأساسية المكونة للسلسلة الكلامية، تبقى قاصرة؛ لأن عملية التبليغ إنما تتم باتصال هذه العناصر بعضها ببعض وفق نظام خاص، فالكلام البشري ما هو إلا سلاسل متتابعة من الأصوات، ولا يتم التبليغ بعنصر منفرد وحده؛ ومن ثمّ فإنّ دراسة العناصر الصوتية مركبة في مدرج الكلام، ضرورة تُمليها الحاجة إلى اكتشاف أسرار وحقائق لا تتجلى عندما تكون العناصر الصوتية بمعزل بعضها عن بعض. والثابت أنّ لهذا التركيب قوانينه ومعايره التي تتحدّد من خلال الاستعمال اللغوي بمستوياته المختلفة.

لقد ترك لنا علماء العربيّة القدامى كتباً ومؤلفات متعدّدة، غنيّة بالمباحث الصوتية؛ فوصفوا أصوات اللغة العربية مفردة خارج مدرج الكلام، ولم يكتفوا

¹ يُنظر: Introduction à la phonétique historique du français: Annick ENGLEBERT, champs linguistiques de boeck duculot-editions université-Bruxelles-Belgique, 1^{ère} édition, 2009, p.p17,20.



بذلك بل تتبعوا هذه الأصوات داخل سياق الكلام، اعتماداً على **القراءات القرآنية المختلفة**، ثم على شواهد اللغة من **كلام العرب**. وحاولوا، معتمدين على فكرهم اللغوي وعلى ذوقهم وحسهم الصوتي، أن يستنبطوا أصول هذا التركيب ومعايره وقوانينه؛ وأول ما يلفت الانتباه هو تعريفهم للكلام وما يتألف منه، ومن ذلك قول ابن مالك:

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقَمَ وَاسْمٌ وَفَعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمَ
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَمٌّ وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمُّ

أي أن الكلام هو في اصطلاح النحاة، ذلك اللفظ المفيد، أي ذلك الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، بخلاف الإشارة، والكتابة، ونحو ذلك؛ والمراد بالمفيد ما يفهم منه معنى يحسن السكوت عليه، بحيث لا يبقى السامع منتظراً لشيء آخر؛ وقد أشار الناظم هنا إلى التركيب الذي يخص الجملة، حيث استغنى بقوله (استقم) عن التركيب والوضع، لأنه مركب من فعل أمر وفاعله المستتر فيه وجوباً، وقد وضعت العرب دليلاً على المعنى وهو الأمر بالاستقامة؛ غير أنه قد صرح قبل ذلك بأن الكلمات التي تتركب منها الجمل، هي في حقيقتها مجموع أصوات لغوية مركبة؛ فالجملة إذاً مكونة من وحدات صغيرة اسمها (الكلمات)، وهذه الكلمات يمكن تقسيمها هي الأخرى إلى وحدات أصغر منها تُسمى المقاطع الصوتية، وهذه المقاطع مكونة من أصغر وحدات الكلام اللغوي وهو الصوت سواء أكان صوتاً ساكناً (Consonne) أم صوت علة (Voyelles)، أو كما اصطلح عليه قدماء العربية القدامى باسم الحروف والحركات¹. وقد أشار إلى أهميتها وخصائص التركيب اللغوي الكثير من علماء

¹ يُنظر: لحن العامة والتطور اللغوي: رمضان عبد التواب، ص39.



العربيّة القدامى، ومنهم جلال الدّين السيّوطي، الذي نقل كلاماً لابن دريد في الجمهرة، جاء فيه: «اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجُها كانت أثقل على اللّسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الدّلاقة كلّفته جرّساً واحداً وحركاتٍ مختلفة، ألا ترى أنك لو ألّفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن، لوجدت الهمزة تتحوّل هاء في بعض اللغات لقربها منها، نحو قولهم في (هم والله) وكما قالوا في (أراق) (هراق)، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء، وإذا تباعدت مخارجُ الحروف حسّن التأليف»¹.

ومن ذلك أيضاً كلامهم عن خصائص التركيب اللّغويّ، بحيث لا يكاد يجيء في الكلام العربي ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على اللسان العربيّ، وأصعبها حروف الحلق، وقد استثنوا من ذلك إمكانية اجتماع حرفين فقط، نحو (أخ)؛ (أحد)؛ (أهل)؛ و(عهد)؛ و(نخع)²؛ وإذا فعلوا ذلك بدؤوا بالأقوى من الحرفين ويؤخّروا الألين، ومثال ذلك: (ورل)³ و(وتد)؛ يقول السيوطي: «فبدؤوا بالتاء مع الدّال، وبالراء مع اللام؛ فذق التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بجرّس قويّ، وكذلك اللام تنقطع بعنّة، ويدلّك على ذلك أيضاً أن اعتياص اللام على الألسن أقلّ من اعتياص الراء وذلك للين اللام»⁴.

¹ المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: جلال الدّين السيّوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط 1، 1998م، ص148/1.

² التّخع: من التّخاع والتّخاع والتّخاع، وهو عرق أبيض في داخل العنق ينقاد في فقار الصّلب حتى يبلّغ عَجَب الدّنب، وهو يَسْتَفِي العظام. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن خ ع)، ص348/8.

³ (الورل): دابة على خِلقة الصّبب إلا أنه أعظم منه، يكون في الرّمال والصّحاريّ، والجمع (أورال) في العدد، و(ورلان) و(أرؤل) بالهمز، قال ابن بري: (أرؤل مقلوب من أورؤل، وقلبت الواو همزة لانضمامها). يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (و ر ل)، ص724/11.

⁴ المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: جلال الدّين السيّوطي، ص149/1.



وقد ذكر الخليل أن العين والحاء لم يأتلفا في كلمة واحدة، وكذلك الهاء، لقرب مخارجها، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو: (حَيْهَل)، و(حَيْهاوه) و(حَيْهالا)؛ فكلمة (حَيّ) معناها (هَلْم)، و(هَلّا) معناها (حَيْثاً ومسرعاً)؛ يقول الخليل: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بَحَّة في الحاء لأشَبَّهت العينَ لُقُربَ مَخْرَجِها من العَيْنِ، ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاء، وقال مرة (هَهَّة) لأشَبَّهت الحاءَ لُقُربَ مَخْرَجِ الهاء من الحاء؛ فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الحاءُ والعَيْنُ في حيز واحد كَلَّهِنَّ حلقية [...] إن العَيْنَ لا تَأْتَلِفُ مع الحاءِ في كلمة واحدة لُقُربَ مَخْرَجَيْهِما، إِلَّا أَنْ يُشْتَقَّ فِعْلٌ من جَمْعِ بَيْنِ كَلِمَتَيْنِ، مثل [...] (حَيْعَلَة) [...] فهذه كلمة جُمِعَتْ من (حَيّ) ومن (على)، وتقول منه: (حَيْعَل) يُحَيْعِلُ حَيْعَلَة، و(قد أَكْثَرَتْ من الحَيْعَلَة)، أي من قولك: (حَيّ على) وهذا يشبه قولهم: (تَعَبَّشَمَ الرجلُ) و(تَعَبَّقَسَ)، و(رجل عَبْشَمِيّ) إذا كان من (عَبْد شَمْس) أو من (عَبْد قَيْس)، فأخذوا من كَلِمَتَيْنِ مُتَعاقِبَتَيْنِ كلمة واشتقُّوا فعلاً [...] وما وُجِدَ من ذلك فهذا بأبه، وإلا فإِنَّ العَيْنَ مع هذه الحُرُوفِ: الغَيْنِ والهاءِ والحاءِ والخاءِ مُهْمَلَاتٌ»¹.

ولم يكن ذلك خاصاً بعلماء اللغة والتحو، بل كان الفضل البارز لعلماء القراءات وأهل الأداء القرآنيّ الذين أثبتوا ذلك في مؤلّفات جليّة في علمي القراءات والتجويد، غايتهم من ذلك كلّ تحديد معايير نطقية أدائية للقارئ؛ يقول ابن الجزري: «أول ما يجب على مريد إتقان القرآن الكريم تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه؛ و توفية

¹ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 57/1-60.



كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه»¹، ثمّ أثبت أنّ معرفة ذلك لا تكفي وحدها، بل لا بدّ من مراعاة الأصوات حال تركيبها، فقال: «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدة موف حقه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»². ثمّ أوضح أنّ سلامة اللسان من اللحن والخطأ تكون باتّباع قوانين ومعايير وموازين معيّنة، فقال: «فلا بد من قانون صحيح يرجع إليه، وميزان مستقيم يعول عليه، نوضحه مستوفياً إن شاء الله في أبواب الإمالة والترقيق»².

الواضح الذي لا جدال فيه من كلام ابن الجزري أنّ علماء القراءات والتّجويد كانوا على يقين من أنّ دراسة الأصوات اللغوية حال إفرادها لا تكفي وحدها لتحقيق التجويد، بل لا بدّ من دراستها حال تركيبها؛ لأنّ الأصوات حينما تتركب يؤثّر بعضها في بعض؛ واشتراطوا لإتقان ذلك تدريب ورياضة اللسان. إنّ ذلك الإيقاع الموسيقي الجميل وذلك الانسجام الصوّتي الرّفيع، إنّما يتحقّق باحترام قواعد التّجويد والإتقان التي تُراعي كثيراً حالات النّطق بالأصوات وهي مركّبة، ولذلك كان علماء القراءات يستحسنون قراءة القرآن ممّن يجيدون الأداء، ولو لم يكونوا من ذوي الأصوات الحسان، ويُفضّلونها على قراءة غيرهم

¹ التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/169.

² نفسه، ص1/170.



مَنْ يتعدون عن قواعد التجويد، وإن كانوا عارفين بالمقامات والألحان؛ يقول ابن الجزري: «فمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل ، تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الأبواب؛ سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه؛ ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسنُ صوتٍ ولا معرفةٌ بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء؛ قيماً باللفظ؛ فكان إذا قرأ أطرب المسامع؛ وأخذ من القلوب بالجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام ، مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان»¹.

وبذلك يتبين أن المتقدمين من علماء القراءات والتجويد، لم يكتفوا بوصف أصوات العربية وصفاً دقيقاً فحسب؛ فقد حدّدوا المخارج، ووصفوا هيئات النطق المختلفة من جهر، وهمس، واستعلاء، وإطباق، وترقيق، وشدة، ورخاوة، وتوسط، وغير ذلك، ومن ثمّ جعلوا تلك الدراسات سبيلاً إلى فهم التأثير والتأثر اللذين يجريان على أصوات الكلمة الواحدة والكلمات المتجاورة، وجعلوا دراسة الأصوات سبيلاً إلى تفسير التغيرات الصرفية؛ يقول سمير شريف استيتية : «هم أول من وضع قواعد علم النظم الصوتية (Phonologie)، وعلم الصرف الصوتي (Morphophonemics)، وأكثر مما قالوه في ذلك صحيح لا تنقصه المعرفة الحديثة في هذين العلمين ، ولا يجري عليه كبير استدرار، إلا في زيادات

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/168).



تقتضيها كشف حديثه ، وهفوات يُعذرون عليها، فما كان للقوم من وسيلة يدرسون بها اللغة إلا التأمل والنظر»¹.

ومن حديث علماء التجويد والقراءات عمّا يتجدّد للأصوات من أحكام بسبب التركيب، ما ذكره أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت454هـ) بقوله: «ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يُحدثُ بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف في التّجاور، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج»²؛ ولذلك حرص العرب في بناء كَلِمِهم على أن يَفرّوا لها التناغم والتناسب وخفة الأداء، فأحدثوا ضرولاً من التغيير والتحول في أصوات حروفها، وكانوا يقلّبون بين الأصوات، أو يُبدلون صوتاً بصوت، وقد يحدّثون بعضها أحياناً، ليتحقّق الانسجام الصوتي للكلمات.

2 - مفهومه عند المحدثين.

يرى علم الأصوات الحديث أن وصف الوحدات الصوتية الدنيا في لغةٍ ما غيرُ كافٍ لمعرفة الخصائص الصوتية لتلك اللغة؛ ويعتقدون أن ذلك الوصف من شأنه تسهيل الدراسة والتفريق بين العناصر الأولية للغة؛ فلا بدّ إذاً من دراسة هذه الأصوات عند تركيبها، ومن ثمّ تحديد القوانين والقواعد الخاصّة بهذا التركيب³؛ لأنّ الأصوات تتبدل عند تركيبها بعامل التأثير والتأثر، وبموجب هذا العامل يكتسب الصوت بعضاً من صفات الصوت المجاور له، أو يفقد بعض

¹ (اللّسانيات-المجال، والوظيفة، والمنهج: سمير شريف استيتية ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط 2، 1429هـ-2008م، ص18.

² (نقلاً عن: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: غانم قدوري الحمد، دار عمار-عمّان-الأردن، ط2، 2007م، ص58-59.

³ يُنظر: .96p Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR,



صفاته¹؛ ولذلك كان نهج علماء الصوتيات المحدثين أن يتناولوا الصوت مفرداً، ويهتموا بخصائصه الذاتية، ثم يتناولوه مرة أخرى في سياق الكلام مركزين على بيان ما يعرض له من تغييرات وتبدلات في صورته الفسيولوجية، أو الأكوستيكية، أو الإدراكية، عندما يلتقي بغيره من الأصوات في وحدات الكلام. يقول عالم اللغة السويدي برتيل مالبرج (BERTIL MALMBERG) (1889م-1958م): «إن الوصف الذي قدمناه حتى الآن لأصوات اللغة قد قدّمها على أنها وحدات مستقلة بعضها عن بعض، قليلاً أو كثيراً، وربما كان خطأ كبيراً أن نتصور الحركات والصوامت وحدات ثابتة، وغير قابلة للتغيير، مرصوصا بعضها إلى جوار بعض، كما ترص لآلى العقد. إن وصفنا لمجموعة من الوحدات الصوتية والمخرجية المنفردة كان ذا هدف تربوي خالص، إذ يجب أن نعرف أجزاء الكل قبل أن نستطيع دراسة المجموع، ومن النادر جدا في اللغات الواقعية أن يظهر صوت في حالة منفردة، فاللغة مبنية من وحدات صغيرة تتجمع لتشكيل وحدات أخرى أكبر منها، والذي نسمعه حين نصت، والذي ننتجه حين نتكلم، هو سلاسل من الأصوات، تتفاوت طولاً، ولكنها مركبة دائماً، أو قابلة للتحليل إلى وحدات أصغر. إن الصوامت تتجمع مع الحركات لتكون المقاطع، والمقاطع تشكل معاً مجموعات وجملاً ودوائر كلامية، فإذا تجمعت الأصوات على هذا النحو أثار بعضها في بعض، وتعذلت من وجوه

¹ وهي المبادئ نفسها التي حددها علماء القراءات القرآنية، وقبلهم علماء العربية من نحويين ولغويين وفلاسفة. يُنظر: اللسانيات- المجال، الوظيفة والمنهج: سمير شريف استيتية، ص18.



كثيرة، وقد سبق أن بينا بشكل عارض، أن الصوامت تخضع للتأثير الصوتي للحركات، وأن الصور الطيفية الحركية تتعدّل عند الاتصال بالصوامت¹. وهذا الميدان هو ما اصطلح عليه في الدراسات الصوّتيّة الحديث باسم الصوتيات التركيبية (Phonétique Combinatoire)²، الذي يهتم بدراسة العلاقة بين العناصر الصوتية في مدرج أو سلسلة الكلام (La chaine parlée)³؛ من حيث إن الأصوات عند استعمالها قد يؤثر بعضها في بعض فتفقد أو تكسب صفات لم تكن من خصائصها المميزة، كأن يُدغم صوت في صوت آخر، أو أن يُضعّف ذات الصوت بسبب ما يجاوره من أصوات أو يتبع صوتاً آخر في بعض خصائصه، وغيرها من الظواهر الصوتية الناتجة عند الاستعمال اللغويّ، وهو بذلك مكملٌ لفرعيّ الصوتيات الفيسيولوجية والفيزيائية ولا غنى له عنهما⁴. كما تهتمّ الصوتيات الحديثة أيضاً بتصحيح النطق وتحديد المعايير النطقية الخاصة بلغة من اللغات، ضمن ما اصطلح عليه باسم الصوتيات المعيارية (Phonétique Normative) أو (L'Orthoépie) أي ضبط اللفظ⁵؛ وهذا ما كان ينشده علماء العربيّة القدامى من خلال تناولهم لأصوات العربيّة في دراساتهم المختلفة، وبخاصّة ضمن علم التجويد؛ والصوتيات المعيارية أحد فروع علم الأصوات⁶،

¹ علم الأصوات: برتيل مالبرج، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشّباب-القاهرة-مصر، 1984م، ص ص 87 و133.

² يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، منشورات جرّوس برس-طرابلس-لبنان، ط1، 1985م، مادة (Combinatoire)، ص40.

³ يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، مادة (Chaine parlée)، ص35.

⁴ يُنظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص ص 87 و133.

⁵ يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، مادة (Orthoépie)، ص149.

⁶ يُنظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص08.



تتمثل في مجموعة من القواعد التي تحدد النطق الأمثل للغة من اللغات، وتفترض وجود معيار نطقي سارٍ في مجموعة لسانية.

ثانياً: الظواهر الصوتية التماثلية.

1 - مفهومها عند علماء العربية القدامى.

تعني المماثلة في تعريفها اللغوي المساواة؛ يقول ابن منظور: «مثل: كلمة تُسَوِيَةٌ؛ يقال هذا مثله ومثله كما يقال شَبَّهه وشَبَّهه؛ قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص؛ وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين؛ تقول: نحوه كـنحوه؛ وفقهه كـفقهه؛ ولونه كلونه؛ وطعمه كـطعمه؛ فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدُّ مسدَّه، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ»¹.

أمّا اصطلاحاً، فهي تقريب صوت من صوت أو فناؤه فيه ؛ وهذا ما أشار إليه علماء العربية القدامى، فقد لاحظوا أن الأصوات المتجاورة أو المتتابعة قد تعمل بعضها في بعض، فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفة، أطلقوا عليها مصطلحات معينة ، ووضّحوا مفاهيمها وحدّدوا قوانينها؛ إلا أنّهم تناولوها موزّعة على أبواب متفرّقة من كتبهم، فكثيراً ما نجدهم يتناولون الإدغام مثلاً، ويُقدّمون له بدراسة وافية عن الأصوات، ولا يتناولون معه بعض الظواهر التي تُشاكله كالإعلال والإبدال والإمالة والقلب وغيرها، وإنّما يتناولونها متناثرة هنا وهناك؛ عكس اللسانيات الحديثة التي تُخصّصُ فرعاً من فروعها لتناول هذه

¹ (لسان العرب: ابن منظور، مادة (م ث ل)، ص 610/11.



الظواهر مشتركة؛ ولذلك وُصِفَ منهج علماء العربية بالافتقار إلى الضبط والشمولية في معالجتهم هذه الظواهر¹، ومنها الظواهر الصوتية التماثلية أو المماثلة؛ وعلى الرغم من أنهم لم يستعملوا هذا المصطلح في كتبهم إلا أنهم استخدموا ألفاظاً مرادفة له للدلالة على ما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض. ولم يقف علماء العربية القدامى عند حدّ تعيين الظواهر الصوتية، وإنما حدّدوا معها الأسباب التي دعت إليها، وبينوا علل ذلك، وفسّروها تفسيراً صوتياً، يقترب إلى حدّ كبير من التفسير الذي قدّمه اللسانيون المحدثون.

فقد استخدم سيبويه (ت180هـ) مصطلح التقريب للدلالة على المماثلة، ومن ذلك قوله: «إن كانت سينٌ في موضع الصاد وكانت ساكنةً لم يجز إلاّ الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في (التسدير) (التزدير)»².

ثمّ يكمل كلامه معللاً هذا التقريب و الإبدال، ليستعين بمصطلح آخر، هو المضارعة، قاصداً بها تقريب الأصوات المتجاورة بعضها من بعض؛ فيقول: «لأنها من موضع الزاي وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق. والبيان فيها أحسن؛ لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين، والبيان فيهما أكثر أيضاً»². وقد عقد سيبويه للمضارعة باباً سماه «باب الحرف الذي يضارعُ به حرفٌ من موضعه، والحرف الذي يضارعُ به ذلك الحرف وليس من موضعه»³.

ولم يستقرّ سيبويه على هذه المصطلحات فحسب، بل راح ينعتُ هذه الظاهرة بجملة من التسميات؛ ومن ذلك مصطلح الإدغام، الذي يعني عنده مطلق تقريب

¹ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري" : المهدي بوروية، ص161-162.

² الكتاب: سيبويه، ص1/461.

³ نفسه، ص1/460.



صوت من صوت ، فمصطلح الإدغام في نظره شاملٌ يستغرق كلّ أنواع التقريب الصوّتي؛ ومن ذلك قوله: «كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صَدَرَ، فجعلوها بين الزاي والصاد؛ فقربها من الزاي والصاد، التماس الخفة؛ لأن الصاد قريبةٌ من الدال، فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. وبيان ذلك في الإدغام. فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك»¹. إلا أنّ سيبويه يُفضّل الإظهار في هذه الحال على الإدغام، لوقوف صائت الفتح مانعاً من إدناء أحد الصوتين من الآخر؛ فيقول: «فإن تحركت الصاد لم تبدل، لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال، إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة، ولكنهم قد يضارعون بها نحو صادٍ (صدقت)؛ والبيان فيها أحسن»².

وقد تحدّث سيبويه في أكثر من موضع عن الإدغام، وحاول تفسيره تفسيراً صوتياً موضحاً العلة من حدوثه³، فتحدّث عن إبدال الواو الساكنة المسبوقة بكسر ياءٍ في نحو: ميزان وميعاد⁴، ولاحظ أنّ إبقاء حرف الواو فيهما على حاله أثقل، وعلل ذلك بأن هذا الثقل ناتج من أنّ الحرف ساكنٌ وليس يحجزه عن الكسر شيء. ثمّ بيّن أنّ إبدال الواو إلى صوت قريب من الكسرة وهو الياء يجعل اللسان يعمل من وجه واحد وذلك أخفّ؛ فرفع اللسان من موضع واحد أخفّ على المتكلم من رفعه من موضعين. ويظهر ذلك جلياً بالعودة إلى مخارج

¹ (الكتاب: سيبويه، ص361/1).

² نفسه، ص461/1.

³ يُنظر: نفسه، ص418/1.

⁴ (الأصل في وزنها مفعّال وقياسهما (موزان) من وَزَنَ، و(موعاد) من وَعَدَ، جمعها (موازين) و(مواعيد)؛ سُكِنَت الواو وكُسِر ما قبلها فقلبت ياء، وهي قاعدة صرفية معروفة، مبسّطة في كتب علم الصّرف العربيّ؛ يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، دار الفكر-دمشق، (د.ط.)، (د.ت.)، ص784/2.



وصفات هذه الأصوات الثلاثة الواو والياء والكسرة¹، وهذا ما قرّره الدرس الصوّتي الحديث، فحين النطق بالياء يكون اللسان تقريباً في موضع النطق بالكسرة، غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بالكسرة².

كما استخدم مصطلحات أخرى كالاتّباع؛ ومن ذلك حديثه عن المماثلة بين كسرة الميم وضمّة الهاء في كلمة (منهم) في لهجة ربيعة، حيث قال: «واعلم أن قوماً من ربيعة يقولون: منهم، أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكن حاجزاً حصيناً عندهم؛ وهذه لغة رديئة»³.

ومّا استعمله من المصطلحات أيضاً، القلب، حيث خصّص لها باباً سماًه: «باب ما تُقلبُ فيه السيّن صاداً في بعض اللّغات»⁴. ثمّ علّل هذا الاستعمال بعد أن ذكر بعض الأمثلة؛ فقال: «أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد، لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق، فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر والبدال في مزدجر، ولم يبالوا ما بين السين والقاف من الحواجز؛ وذلك لأنهما قلبتها على بعد المخرجين. فكما لم يبالوا بعد المخرجين لم يبالوا ما بينهما من الحروف، إذا كانت تقوى عليها والمخرجان متفاوتان»⁴.

ومن المماثلة أيضاً عند سيبويه، بعض صور الإمالة، نحو إمالة الألف إلى الكسرة، حيث قال: «فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور؛ وذلك

¹ الكسرة من أصوات اللين الضيقة، مثلها مثل الضمة، بخلاف الفتحة التي تُعدُّ من أصوات اللين المتسعة. يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 41.

² يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 42.

³ الكتاب: سيبويه، ص 382/1.

⁴ نفسه، ص 461/1.



قولك: عابدٌ، و عالمٌ، و مساجد، و مفاتيح، و عذافرٌ، و هابيل؛ وإنما أملوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها»¹.

والطريق نفسه اتّبعه أبو زكريّا الفراء (ت207هـ)، حيث تناول ظاهرة المماثلة وسّمّاها بمسمّيات مختلفة، ومن ذلك المقاربة، التي كان يقصد بها كلّ تقريب يقع بين صوتين في الاتّصال، حيث قال: «فأمّا الذين يقولون: يدّخر، ويدّكر، ومدّكر؛ فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالا، فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرفُ الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما في المقاربة، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال»².

وقد استخدم الفراء مصطلح الإدغام، معتبراً إياه مستوى من مستويات المقاربة، وأنه أقصى درجاتها، يُستعان به إذا لم يُحقق التقريب مبتغاه من دفع الثقل وتحقيق السهولة واليسر في التطق؛³ ومن ذلك حديثه عن قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُ﴾⁴، حيث قال: «وقد جرى الكلام بالإدغام للتاء إذا لقيت التاء وهي مجزومة. وفي قراءة عبد الله ﴿اتَّخِثُمُ الْعِجْلَ﴾⁵ و﴿إِنِّي عُتُّ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾⁶ فأدغمت الذال أيضا عند التاء. وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج؛ والتاء والذال مخرجهما ثقيل، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما؛ ألا ترى أن مخرجهما من

¹ (الكتاب: سيبويه، ص1/361).

² (معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق: محمّد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب-بيروت، ط 3، 1403هـ-1983م، ص1/194).

³ (يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري" : المهدي بوروية، ص168-169).

⁴ (سورة: البقرة، الآية258).

⁵ (سورة: البقرة، الآية51).

⁶ (سورة: غافر، الآية27).



طَرَف اللسان . وكذلك الظاء تشاركه في الثقل. فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم. وليس تركك الإدغام بخطأ، إنما هو استثقال. والطاء والذال يدغمان عند التاء أيضا إذا أسكنتا؛ كقوله: ﴿أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾¹ تخرج الطاء في اللفظ تاء، وهو أقرب إلى التاء من الأحرف الأول².

أمّا الأَخْفَش (ت215هـ)، فقد استعمل مصطلح الإدغام للدلالة على التقريب الذي يحدث بين صوتين، بحيث يتجرّد أحدهما من كلّ خصائصه ليفنى في غيره فناءً تاماً³؛ أي أنّ الإدغام لا يتحقّق إلّا إذا تحوّل أحد الصوتين ليصبحا الصوت نفسه؛ لأنّه كان مدركاً أنّ الإدغام لا يقع إلّا بين مثلين؛ وهو مفهوم يطابق بشكل كبير مفهوم المماثلة في العصر الحديث. ويظهر ذلك جلياً في تعليقه على قراءة كلمة (ادَارَأْتُمْ) من قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمْ نَفْسًا بَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾⁴ والتي أصلها (تَدَارَأْتُمْ) حيث قال: «ولكن التاء تدغم في الدال، لأن مخرجها من مخرجها. فلما أدغمت فيها حُوّلت فجعلت دالا مثلها، وسكّنت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها كما قالوا: (اضرب) فألحقوا الألف حين سكنت الضاد»⁵.

وعالج أبو عثمان المازني (ت248هـ) أيضاً ظاهرة المماثلة، في مستوياتها المختلفة، بدءاً من المستوى الأول الذي سمّاه الإبدال؛ ووُصُولاً إلى المستوى الأخير الذي يصله التماثل الصوتي وسمّاه الإدغام؛ إلّا أنّه لم يخصّ باقي

¹ سورة: التمل، الآية22.

² معاني القرآن: الفراء، ص157/1.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص169.

⁴ سورة: البقرة، الآية71.

⁵ معاني القرآن: الأَخْفَش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تحقيق: هدى محمود قراءة، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 1،

1411هـ-1990م، ص82/1.



المستويات بأسماء تُقيدها¹. والإبدال عنده هو الحَلّ الأمثل لإبعاد التباين والفرقة بين فاء الافتعال وتائه، ومن ذلك قوله: «هذا باب ما تُقلبُ فيه تاء (افتعل) عن أصلها، ولا يتكلم بها على الأصل البتة، كما لم يُتكلم بالفعل من (قال) و(باع) وما كان نحوهن على الأصل؛ وذلك أنك إذا قلت (افتعل) وما تصرّف منه، وكانت الفاء: صادًا، أو ضادًا، أو طاءً، أو ظاءً، فالتاء فيه مبدلة؛ وذلك قولك: (اصطبر)، و(يصطبر) و(مصطبر)؛ و(اضطرب)، و(يضطرب) فهو (مضطرب)؛ و(اطّلع) فهو (مطّلع)؛ و(اصطهر) فهو (مصطهر)، فهذا الكلام الصحيح»²؛ وقد فسّر هذه الحركة التغييرية للأصوات نحو التماثل، ووضّح العلة من ذلك بقوله: «أمّا (اصطبر) فأصله: (اصتبر)، فكرهوا استعلاء الصاد وبعدها حرفٌ غير مستعلٍ وهو التاء، إلّا أنّه من حيزٍ حرفٍ مستعلٍ وهو الطاء، فأبدلوا من التاء ما هو مستعلٍ من حيزها، وهو الطاء، فقالوا: (مصطبر) فاتفتت الصاد والطاء في الاستعلاء، ثم صرّفوه على ذلك فقالوا: (يَصْطَبِرُ) و(مصطبرٌ) لأن العلة قائمة»³. أمّا الإدغام عنده فهو ذوبان صوت ما في مجاوره ذوباناً كلياً، يلجأ إليه المتكلم طلباً لتلاؤمٍ وتوافقٍ وانسجامٍ بين الصّوتين أكثر ممّا حصل عليه من الإبدال، ورغبةً منه في تسهيل النطق والتقليل من الجهد المبذول في عملية الإنتاج الصوّتي؛ يقول المازني في باب (تاء الافتعال وقبلها صاد أو ضاد أو طاء): «ومن العرب من يبدل التاء على ما قبلها فيقول: (اصْبِر) و(مُصْبِر)؛ وقرأ بعض

¹ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 170.
² نقلاً عن: المُصنّف (شرح كتاب "التصريف" للإمام أبي عثمان المازنيّ النحويّ البصريّ): ابن جنيّ أبو الفتح عثمان التّحويّ، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التّراث القديم-وزارة المعارف العمومية-مصر، ط 1، 1373هـ-1954م، ص 324/2.

³ نفسه، ص 326/2-327.



القراء ﴿أن يَصْلِحَا﴾ يريد (يفتعلًا) من الصلح، وكذلك: (اضرب)، و(اظهر بجاحتي) والأول أجود وأكثر¹.

واستخدم المبرّد (ت285هـ) مصطلح الإدغام، واعتبره أحد مستويات المماثلة، فحصره في نطاق فناء صوت في صوت، بخلاف ما ذهب إليه سيبويه من أنه يستغرق كل أنواع التقريب الصوتي؛ ومن ذلك قوله: «اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني. وتأويل قولنا مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما، وإنما تعتمد لهما باللسان اعتماداً واحدة، لأن المخرج واحد، ولا فصل. وذلك قولك: قطع، وكسر، وكذلك: محمد، ومعد، ولم يذهب بكر، ولم يقم معك. فهذا معنى الإدغام»².

كما استخدم المبرّد مصطلح التقريب للدلالة على المماثلة في مستوى من مستوياتها الأخرى؛ ويتحقق التقريب عنده بظاهرة القلب أو الإمالة؛ فمن القلب قوله: «هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً؛ وتركها على لفظها أجود؛ وذلك لأنها الأصل؛ وإنما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد»³. وذكر التقريب بالمفهوم نفسه عندما عرف الإمالة فقال: «إنما معنى الإمالة: أن تقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء، فإن كان الذي يشاكل الحرف غير ذلك ملت بالحرف إليه»⁴. ولم يتميز ابن السراج (ت316هـ) عمّن سبقوه، فأشار إلى المماثلة باستخدام مصطلحين اثنين هما: المضارعة للدلالة على التماثل الجزئي؛ و الإدغام

¹ نقلاً عن: المصنف: ابن جنّي، ص2/327.

² المقتضب: المبرّد، ص1/44.

³ نفسه، ص1/51.

⁴ نفسه، ص1/142.



للدلالة على التماثل الكليّ؛ وقد ذكر المصطلحين أثناء حديثه عن الإبدال الذي يستعين به المتكلم لتحقيق ذلك؛ فقال عن إبدال بعض العرب الصاد بالزاي عند نطق كلمة التصدير (التزدير): «فأمّا الذي يُضارَعُ به الحرفُ الذي مِنْ مخرجه فالصادُ الساكنةُ إذا كانَ بعدها الدالُّ نحو: مَصْدَرٍ وَأَصْدَرٍ والصرديُّ؛ فما لم يمكن أن يُعلَّ ضارعوا بها أشبه الحروفِ بالدالِّ مِنْ مَوْضِعِهِ وهي الزاي»¹. ومن ذلك أيضاً حديثه عن السين الساكنة المتبوعة بالدالِّ في نطق بعض الكلمات مثل: التّسدير (التّزدير)، حيث تلجأ العربيّة إلى تقريب الصوتين بإبدال السين زايّاً للتخلّص من التنافر الحاصل بين السين المهموسة والدالِّ المجهورة، فيتحقّق التناسب و الانسجام بين الزاي والدال في الجهر؛ إلاّ أنّه يُفضّل عدم إبدالها وتركها على حالها؛ ومن ذلك قوله: «فإن كانَ موضعُ الصادِ سيناً ساكنةً أبدلتَ فقلتَ في التّسدير: (التّزدير) وفي يُسدلُّ ثوبُهُ: (يُزدلُّ ثوبُهُ) لأنّه ليسَ فيها إطباقٌ يذهبُ؛ والبيانُ فيها أحسنُ»².

وفي نظر ابن السراج أنّ المتكلم قد لا يكتفي بالمضارعة لتفادي ذلك التّباين والتّباعد الذي قد يحصل بين عناصر الوحدة اللّغويّة، وإتّما يلجأ إلى تقريب صوتيّ أكثر، يبلغ درجة فناء أحد الصّوتين في الآخر، وهو ما اصطاح عليه بالإدغام الذي عرفه بقوله: «وهو وصلك حرفاً ساكناً بحرفٍ مثله مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غيرِ حركةٍ تفصلُ بينهما ولا وقف، فيصيرانِ بتداخلهما كحرفٍ واحدٍ ترفعُ اللسانَ عنهما رفعةً واحدةً ويشتدُّ الحرفُ؛ ألا ترى أنّ كلّ حرفٍ شديدٍ يقومُ في العروضِ والوزنِ مقامَ حرفينِ، الأوّلُ مِنْهُما ساكنٌ»². فالإدغام هو أقصى ما تصل إليه المماثلة في مستوياتها المختلفة، بدءاً من التماثل والتقريب الجزئيّ،

¹ (الأصول في النحو: ابن السراج، ص429/3.

² نفسه، ص430/3.



ووصولاً إلى التماثل الكليّ؛ ومثال ذلك حديثه عن **فاء الافتعال** وتائه حيث قال: «إبدال الدال في افتعل وفعلت: تبدل من التاء في افتعل (قلباً مطرداً إذا كان قبل التاء حرفاً مجهوراً (زاي) أو (دال)، تقول في (افتعل) من الزينة: ازدان ازدياناً؛ ومن الزرع: ازدرع ازدرعاً؛ وذلك أن التاء كانت مهموسةً والزاي مجهورةً، فأبدلوا من التاء حرفاً من موضعها مجهوراً وهو الدال»¹ وهذا تقريب جزئيّ سمّاه المضارعة؛ ثم قال: «وكذلك: افتعل من الذكر وهو قولك: اذكر يذكُر اذكراً وهو مُذكّر، وهذه أكثر في كلام العرب؛ ويقول قوم: اذكر يذكُر وهو مذكّر؛ وكان الأصل: مذدكرٌ ثم أدغمت الدال في الدال لأنّ حقّ الإدغام أن يدغم الأول في الثاني وهو أكثر في كلام العرب؛ ومن العرب من يكره أن يدغم الأصلي فيما هو بدل من الزائد فيقول: مُذكّر وهي قليلة؛ فهذا لا تعدُّ فيه الدال بدلاً لأنه قلبٌ وبدلٌ لإدغام»² وهذا تقريب كليّ سمّاه الإدغام. وقد عبّر الدكتور المهدي بوروبة عن هذا التدرج في كلمة (اذكر) من التقريب الجزئيّ إلى الكليّ بقوله: «ظلت تنتقل من تقريب إلى آخر حتى استقرت صيغتها على ما هي عليه»³.

ولم يتعد أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) كثيراً عن مفهوم سابقه في تناول المماثلة بمستوياتها المختلفة؛ فهي عنده إما أن تكون جزئية بحيث يتنازل فيها صوت عن صفة من صفاته حتى ينسجم مع مجاوره، واستخدام لذلك مصطلحين اثنين هما: المقاربة والمشاكلية؛ أو تكون كلية بحيث يتجرّد الصوت من خصائصه ليذوب في مجاوره، واستخدام لذلك مصطلح الإدغام.

¹ الأصول في النحو: ابن السراج، ص270/3.

² نفسه، ص271/3.

³ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص174.



وقد تناول ابن خالويه (ت370هـ) ظاهرة المماثلة بمسمى الإدغام أيضاً؛ غير أنه أشار أنّ الإدغام يحدث بين التماثلين أو المتقاربين من الأصوات؛ فذكر أنّ قراءة (فِيهِ هُدًى) من قوله تعالى: ﴿بِهِ هُدًى لِّلْمُتَّفِينَ﴾¹ تكون بالإدغام والإظهار ثم قال: «فالحجة لمن أدغم مماثلة الحرفين؛ لأن الإدغام على وجهين: مماثلة الحرفين ومقاربتهما، فالمماثلة كونهما من جنس واحد، والمقاربة أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف والميم من الباء واللام من النون؛ وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالتماثلين والمتقاربين ثقيل فحذفوه بالإدغام إذ لم يمكن حذف أحد الحرفين؛ والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلام على أصل ما وجب له ووفاه حق لفظه، لأن الإظهار الأصل والإدغام فرع عليه؛ فإن كان الحرف الأول ساكناً لعله أو لعامل دخل عليه كان الإدغام أولى»².

والملاحظ في هذا النص أنّ ابن خالويه استخدم مصطلح المقاربة إلى جنب المماثلة على أنها أقل منها؛ إذ المماثلة عنده أن يكون الصوتان من جنس واحد، وهو هنا يقصد بالمماثلة الإدغام؛ أما المقاربة فهي أن يتقارب الصوتان في المخرج فيؤثر أحدهما في الآخر ليصبح مثله ثم يدغمان معاً.

وقد تناول ابن جنّي (ت392هـ) ظاهرة المماثلة وعالجها بطريقة تقترب إلى حدّ كبير من مفهوم المماثلة في تصوّر الدرس الصوتي الحديث؛ فاستعمل مصطلحات متعدّدة للدلالة على المماثلة والتقريب الصوتي، ومنها: مصطلح التقريب، حيث قال: «والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت»³.

¹ سورة: البقرة، الآية 01.

² الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق-بيروت-لبنان، ط3، 1399هـ-1979م، ص63.

³ الخصائص: ابن جنّي، ص140/2.



كما استعمل مصطلحاً آخر وهو التّجنيس؛ يقول أحمد علم الدّين الجندي :
«وسمّاه مرّة أخرى في كتابه (المنصف) بالتّجنيس؛ وكان ابن جنّي بارعاً في خلق
هذا الاسم لظاهرة الانسجام، بل هو في نظرنا أصحّ من غيره»¹.
ومن المصطلحات التي استخدمها بكثرة هو مصطلح الإدغام للدلالة على المماثلة
والتقريب الصوّتي فقال: «قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب
صوت من صوت»². واعتبر ابن جنّي الإدغام مطلقاً تأثر صوت بصوت آخر،
سواء أكان صامتاً أم صائتاً، وسواء أكان هذا التأثر تاماً ينجم عنه فناء الصّوت
التأثر، أم كان ناقصاً يفقد معه بعض خصائصه³، وبذلك توسّع ابن جنّي في
مفهوم الإدغام فجعله ناقصاً وتاماً⁴، واستعمل لذلك مصطلحين اثنين هما:
الإدغام الأكبر للدلالة على التّام، والإدغام الأصغر للدلالة على النّاقص. فعرف
الأوّل بأنّه نوع من التقريب الذي يتوالى فيه مثلان ثمّ يذوب أحدهما في الآخر،
ويكون على نوعين، نوع حين يلتقي المثلان، وآخر حين يلتقي المتقاربان؛ فقال
عن النوع الأوّل: «أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها
الإدغام فيدغم الأول في الآخر»⁵، حيث يكون الأوّل من المثلين ساكناً، مثل له
بقوله: «فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطع وكاف سُكّر الأولين»⁶ إذ الأصل
فيهما (قَطَّعَ) و(سُكَّرَ)؛ كما قد يكون متحرّكاً، ومثال ذلك ما ذكره بقوله:

¹ (اللّهجات العربيّة في التراث (القسم الأوّل: في التّظامين الصّوّتي والصّرفي) : أحمد علم الدّين الجندي ، الدار العربيّة للكتاب-
طرابلس-ليبيا، طبعة جديدة، 1983م، ص267.

² (الخصائص: ابن جنّي، ص139/2.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص178.

⁴ يُنظر: الخصائص: ابن جنّي، ص141/2.

⁵ نفسه، ص139/2.

⁶ نفسه، ص140/2.



«والمتحرك نحو دال شدّ ولام معتلّ»¹ والأصل فيهما (شَدَد) و(مُعْتَلَل)؛ وقال عن النوع الثاني من الإدغام الأكبر: «والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه ، وذلك مثل (وَدّ) في اللغة التميمية وَاَمْحَى وَاَمَّاز وَاَصْبَرَ وَاثَّاقَل عنه»².

ثمّ عرّف ابن جنّي الإدغام الأصغر، بأنّه تقريب يُصيبُ الصّوامت والصّوائت على حدّ سواء، دون أن يُفضي هذا التقارب عن قصد إلى إفناء صوت في آخر، فقال: «وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك»³؛ فأما ما يختصُّ بالصّوامت فمن أمثله بناء (افتعل) حين تكون فاءه صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً، فإنّ تاءه تُبدلُ طاءً؛ فإذا كانت فاءه زايّاً أو دالّاً أو ذالّاً، أُبدلت تاءه دالّاً؛ طلباً للانسجام مع الفاء؛ ومثال ذلك: اصطبر، واضطرب، واطرد، واطظلم، وازدان، وادعى، وادكر، واذكر. يقول ابن جنّي عن هذه الأمثلة: «فهذا تقريب من غير إدغام»³.

والملاحظ في هذه الأمثلة أنّ كلمة (اطرد) حدث فيها فناء الصّوت المتأثر فناء تامّاً، وليس تقريباً يفقد معه الصّوت بعض خصائصه فقط، وبالرغم من ذلك اعتبره ابن جنّي من الإدغام الأصغر؛ وقد علّل ذلك تعليلاً واضحاً شافياً فقال: «أما اطرد فمن ذا الباب أيضاً ولكن إدغامه ورَد ههنا التقاطا لا قصدا . وذلك أن فاءه طاءً؛ فلما أُبدلت تاءه طاءً صادفت الفاء طاءً فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ؛ ولو لم يكن هناك طاء لم يكن إدغام»³.

¹ الخصائص: ابن جنّي، ص2/140.

² نفسه، ص2/140.

³ نفسه، ص2/141.



ومن أمثلة الإدغام الأصغر الذي يخصّ الصّوامت أيضاً: إبدال السين صاداً إذا وقعت قبل الأصوات المستعلية ليتوافق الصّوتان في الصّفة، ومثال ذلك: صُبْتُ وصَبْتُ وصَاخِطُ وصَقِرُ والصُّوقُ، والأصل فيها بالسين: سُبْتُ وَسَبْتُ وَسَاخِطُ وَسَقِرُ والسُّوقُ. يقول ابن جنّي: «ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صاداً على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام»¹.

وقد ذكر ابن جنّي أيضاً أن العرب يُبدلون الصّاد زائياً خالصة، إذا كانت الصّاد ساكنة وجاورت الدال، حيث قال: «ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم في نحو مصدر: مزدر؛ وفي التصدير: التزدير»². وقد يتمّ الجمع بين الصّاد والزاي في صورة سمعية واحدة تتمّ بإشراب الصّاد قليلاً من صوت الزاي ليتوافق الصّوتان جهراً؛ يقول ابن جنّي: «فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد- وهي مهموسة- الدال- وهي مجهورة- قربت منها بأن أُشمت شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر»².

وقد ذكر مثلاً آخر تحقّق فيه الإدغام بنوعيه الأصغر ثمّ الأكبر؛ مثل لفظة (ستّ) (العدد المعروف) والتي أصلها (سدس)³، حيث قال: «ومن ذلك قولهم (ستّ) أصلها (سدس)، فقرّبوا السين من الدال بأن قلبوها تاء فصارت (سدّت) فهذا تقريب لغير إدغام؛ ثمّ إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاءً لقربها منها

¹ الخصائص: ابن جنّي، ص2/142.

² نفسه، ص2/144.

³ يُنظر: كتاب أسرار العربية: أبو البركات الأنباري عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجليل-بيروت-لبنان، ط1، 1995م، ص364.



إرادة للإدغام الآن فقالوا (سِتّ). فالتغيير الأوّل للتقريب من غير إدغام والتغيير الثاني مقصود به الإدغام»¹.

أمّا الإدغام الأصغر الذي يُصيب الصّوائت عند ابن جنّي، فهو الذي يحدث حين تتوالى الصّوائت في بناء ما وهي مختلفة، فتجنح العربيّة إلى التقريب بين الصّوائت المتباينة لتُماتل بينها؛ لأنّ التّماتل في هذه الحال هو السبيل الأمثل لتفادي عسر النطق الناجم عن التكلّف في العمليّة العضويّة المنتجة لهذه الصّوائت المتتابعة وهي مختلفة؛ وقد أدرك ابن جنّي أنّ هذا النوع من الإدغام يكثر وروده في بعض الظواهر الصّوتية المتعلّقة بالصّوائت، ومنها ظاهرة الإمالة، حيث قال: «فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت. وذلك نحو (عالم) و (كتاب) و (سعى) و (قضى) و (استقضى)؛ ألا تراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء. وكذلك (سعى) و (قضى): نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها»². والإمالة في الاصطلاح هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض، وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ وضدّ الإمالة الفتح وتنقسم الإمالة إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة؛ ويجتنب مع الإمالة الشديدة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه؛ وتكون الإمالة المتوسطة بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة. والإمالة و الفتح لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم. فالفتح لغة أهل الحجاز. والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس³.

¹ الخصائص: ابن جنّي، ص 143/2.

² نفسه، ص 141/2.

³ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 36/2.



ومن التغيّرات التماثلية الخاصّة بالصوائت القصيرة، ذكر ابن جنّي ما يقع بين الفتح والكسر، من دنوّ فتحة الفاء من كسرة العين، إذا كانت عين الاسم صوتاً حلقياً، ثمّ تُبدلُ الأولى من مثل الثانية؛ حيث قال: «ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شِعِيرٍ وبعِيرٍ ورغِيفٍ . وسمعت الشجريّ غير مرّة يقول: زَيْرِ الأسد؛ يريد الزَيْرِ»¹. وقد يحدث هذا النوع من الإدغام الأصغر بين الصوائت القصيرة الأخرى، سواءً مع أصوات الحلق أو غيرها، نحو: (مَغِيرَة)؛ و(أُنْبُوك)؛ و(السُّلْطَان)؛ و(مُنْحَدِر)؛ و(مُنْتِن)؛ فقد اعتادت بعض العرب نطقها كذلك، وإنّما الأصل فيها: (مَغِيرَة)؛ و(أُنْبُوك)؛ و(السُّلْطَان)؛ و(مُنْحَدِر)؛ و(مُنْتِن)¹.

كما نبّه ابن جنّي أنّ العرب تفضّل فتح عين المضارعة من كلّ فعل كانت عينه أو لامه صوتاً من أصوات الحلق، حيث قال: «ومن ذلك أيضاً قولهم (فَعَل يَفْعَل) مما عينه أو لامه حرف حلقويّ نحو: سأل يسأل؛ وقرأ يقرأ؛ وسعر يسعر؛ وقرع يقرع؛ وسحل يسحل؛ وسبح يسبح؛ وذلك أنّهم ضارَعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف التي منها الفتحة»¹. ومما أقرّه ابن جنّي في باب الإدغام الأصغر أيضاً، أنّ العربيّة تميل إلى توحيد حركات النطق إذا جاءت متتابعة، ومن ذلك قول العرب: (الحمدُ لله) و(الحمد لله)، حيث آثر بعض العرب الضمّ على الكسر، فقلّبوا كسرة اللّام من لفظ الجلالة ضمةً إتباعاً لضمة الدالّ؛ بينما آثر آخرون الكسر، ومنحوه قوّة التأثير، فقلّبوا ضمة الدالّ كسرةً إتباعاً لكسرة اللّام².

¹ الخصائص: ابن جنّي، ص 143/2.

² يُنظر: نفسه، ص 144/2.



وقد أثبت ابن جني أن من الظواهر الصوّتيّة التي يتحقّق بموجبها الإدغام الأصغر، ظاهري الروم والإشمام، اللّتين اعتبرهما القراء من أصول القراءات¹. والروم عند القراء هو النطق ببعض حركة الحرف الأخير في الكلمة الموقوف عليها، وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي²؛ وعرفه آخرون بأنّه الإتيان بالحركة بصوت خفيّ يُدركه الأعمى بحاسّة سمعه والقريب المصغي دون البعيد لأنّها غير تامّة³. والمراد بالصوت أي الصائت القصير، والمراد بالخفيّ أي المنقوص؛ والمقصود بذلك تبعيض الصائت القصير، أي الإتيان ببعضه⁴. والصوائت المعنية بالروم هي الكسرة والضمة، سواء كانت أصلية أم نائبة عن غيرها، ولا يُستعمل في الفتحة لختها⁵. وأمّا الإشمام، فهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، أي أن تجعل الشفتين بعد النطق بالصوت ساكناً، على صورتها عند النطق بالضمة⁶. يقول الإمام الداني: «وأما حقيقة الإشمام فهو ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يُدرك معرفة ذلك الأعمى؛ لأنه لرؤية العين لا غير إذ هـ وإيماء بالعضو إلى الحركة»⁷. ويكون الإشمام في الرّفيع والضم لا غير⁸. وإتّما يكون الروم والإشمام في الوقف دون الوصل، وقد أشار ابن الجزريّ إلى الفائدة المبتغاة منهما بقوله: «فائدة الإشارة في الوقف بالروم

¹ يُنظر: التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص2/39.

² يُنظر: نفسه، ص2/137.

³ يُنظر: التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، ط2، 1404هـ/1984م، ص51.

⁴ يُنظر: الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمّد الصّبّاح، ص46.

⁵ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ضبط نصّه وعلّق عليه: محمّد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية-بيروت-لبنان، ط3، 1417هـ-1997م، ص233-234.

⁶ يُنظر: نفسه، ص234.

⁷ التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو الداني، ص51.

⁸ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص235.



والإشمام هي بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو للناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها»¹.
ولذلك أدخل ابن جنّي روم الحركة والإشمام في مسمّى المماثلة، وأطلق عليها مصطلحاً آخر هو المضارعة، فقال: «فأمّا روم الحركة فهي وإن كانت من هذا فإنما هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة وهو لذلك ضرب من المضارعة؛ وأخفى منها الإشمام لأنه للعين لا للأذن»².

إنّ هذا التقريب بين الأصوات عموماً، وبين الصوائت خصوصاً، كان من أعظم فوائده عند العرب تيسير النطق والاقتصاد في الجهد العضليّ المبذول. وقد أشار ابن جنّي إلى أنّ العرب قد تُبالغ في إثارتها التقريب بين الأصوات إلى حدّ الإخلال بالإعراب، فقال: «وقد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أن أخلّوا بالإعراب فقال بعضهم: (وقال اضرب الساقين إمك هابل)»². فالأصل فيها (أُمك) بضمّ صوتيّ الهمزة والميم، إلّا أنّ بعض العرب آثروا الكسر مع الهمزة إتباعاً لحركة التّون قبلها، ثمّ قلبوا ضمّة الميم كسرةً لتُناسب حركة الهمزة؛ والأصل في الميم هنا الضمّ لأنّها مبتدأ، وبذلك أخلّوا بالإعراب في سبيل التقريب.

ثمّ يختم ابن جنّي حديثه عن الإدغام بنوعيه الأكبر والأصغر، بتصريح يُبيّن فيه سبب تسمياته تلك، فيبيّن أنّ مصطلح التقريب هو تقريب صوت من صوت، وأنّه أشمل وأعمّ من الإدغام؛ وأنّ الإدغام إذا ذُكر على إطلاقه فإنّما كان يعني به الإدغام الكبير حيث يتجرّد أحد الصّوتين من كلّ خصائصه ليفنى في غيره فناءً تامّاً؛ أمّا حين تُذكرُ عبارة (الإدغام الصّغير) فالمقصود منها هو ذلك

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 142/2).

² (الخصائص: ابن جنّي، ص 145/2).



التقريب الذي يحدث بمقتضاه فقدان الصوت المتأثر لبعض خصائصه فقط؛ وذلك واضح من قوله: «وجميع ما هذه حاله مما قُرب فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب . وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الصغير لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين وأنه هو المراد المبعي في كلتا الجهتين»¹.

وبذلك يكون ابن جنّي خير من عالج التغيرات الصوتية التي تتدرج في تقلباتها نحو التماثل معالجةً تقترب إلى حدّ كبير من مفهوم المماثلة في الدرس الصوتي الحديث² الذي قرّر بأن الإدغام جزء من المماثلة، وأن مصطلح المماثلة الذي استخدمه المحدثون يشمل الإدغام والإبدال والإقلاب، فهو أعمّ من مصطلح الإدغام بالمفهوم الذي استقرّ عند بعض علماء العربية القدامى³.

وقد استعمل ابن سيده (ت458هـ) مصطلحات المضارعة والمشاكلة والمناسبة للدلالة على ظاهرة التماثل الصوتي، فذكر ما حدث لبعض الأبنية العربية نحو: (سويق)⁴ و(صويق)، فقال: «المضارعة في هذا النحو أعلى، فإن قلت فإن الأصل السين لأنّ الصاد مُطبّقة مُفخّمة عنها، والدليل على ذلك قولهم: (سقت) وأنّ الإطباق فرع، فإنّه كذلك ولكنهم مما يدعون الأصول حرصاً على التّشاكل والتّناسب، وأنّ يجعلوا العمل من وجه واحد، ولذلك

¹ الخصائص: ابن جنّي، ص145/2.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص178. يُنظر أيضاً: فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الرّاجحي، دار النهضة العربية-بيروت-لبنان، 1972م، ص140.

³ يُنظر: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين: إبراهيم عبود السامرائي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، ط 1، 1432هـ-2011م، ص256.

⁴ السويق: هي الخمر، ويُقال لها أيضاً: سويق الكرم. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (س و ق)، ص480/25.



نَخْتَارُ الصُّرَاطَ (بِالصَّادِ)، وَعَلَى هَذَا تَجْرِي جَمِيعُ الْفُرُوعِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا سَيَبُويهِ كَالِإِدْغَامِ وَالِإِمَالَةِ¹.

وقد استعمل أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) مصطلح المناسبة للدلالة على التماثل الصوتي بين الصّوائت في اللّغة العربيّة، وذلك أثناء حديثه عن التشبية والجمع، حيث بين مخارج الصّوائت الثلاثة، وكيف تؤثر على بعضها بعضاً إذا تجاوزت، فقال: «النّصب من أقصى الحلق، والجرّ من وسط الفم، والرفع من الشفتين؛ فكان النصب إلى الجرّ أقرب من الرفع، لأنّ أقصى الحلق أقرب إلى وسط الفم من الشفتين؛ فلما أرادوا حمل النصب على أحدهما، كان حملة على الأقرب أولى من حملة على الأبعد، والجار أحق بصقبه؛ والذي يدلّ على اعتبار هذه المناسبة بينهما أهمّ لما حملوا النّصب على الجرّ في باب التشبية والجمع حملوا الجرّ على النصب في باب ما لا ينصرف»².

كما أنّه استعمل مصطلحاً آخر للدلالة على ظاهرة التماثل الصوتي، وهو المشاكلة، ومثال ذلك حذف الواو الواقعة بين الياء والكسرة في كلمة (يعد) والتي أصلها (يُوعِدُ) للمناسبة الصوتية بين الياء والكسرة، على اعتبار أنّ الكسرة من الياء؛ فقال: «وكذلك حذفوا الواو من أخوات (يعد) نحو (أعد) و(نعد) و(تعد) والأصل فيها (أوعد) و(نوعد) و(توعد) حملاً على (يعد) وإنما حذفت الواو من (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة ثم حملوا سائر أخواتها عليها في الحذف، كل ذلك لتحصيل التشاكل والفرار من نفرة الاختلاف، فكذلك هاهنا حملوا الماضي على المضارع، وذلك لأن مراعاة المشاكلة بالقلب أقيس من مراعاة

¹ المخصص: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1417هـ-1996، ص436/1.

² كتاب أسرار العربية: أبو البركات الأنباري ص67.



المشاكلة بالحذف ، لأن القلب تغيير يعرض في نفس الحرف والحذف إسقاط لأصل الحرف والإسقاط في باب التغيير أتم من القلب ، فإذا جاز أن يراعوا المشاكلة بالحذف فبالقلب أولى»¹.

والمصطلح نفسه استعمله أبو البقاء العكبري (ت616هـ)، كما استعمل مصطلحات أخرى كالتقريب والمجانسة والمضارعة، وقد كان يقصد بذلك كله التماثل الصوتي الذي يحدث بين الأصوات المتجاورة، بعامل التأثير والتأثر؛ ومن ذلك قوله: « إذا سُكِّنت الصَّادُ وبعدها دالٌّ فمن العرب من يُخْرِجُهَا عَلَى أَصْلِهَا وَهُوَ أَوْلَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَبُهَا مِنَ الزَّايِ، لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِدْغَامُ الصَّادِ فِي الدَّالِّ قَرَّبَهَا مِنْهَا لِيَحْصَلَ التَّشَاكُلُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا زَايَاً خَالِصَةً، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَذَلِكَ نَحْوَ (يَصْدِرُ) وَ (الْمَصْدَرُ) وَ (الْقَصْدُ) فَإِنَّ تَحَرُّكَتِ الصَّادُ لَمْ يَغْيِّرْهَا لِأَنَّ الْحَرَكَةَ كَالْحَاجِزِ. وَأَمَّا (الصَّرَاطُ) فَالْأَصْلُ فِيهِ (السَّيْنُ) لِأَنَّهُ مِنْ (سَرَطْتُ) الشَّيْءَ وَإِنَّمَا أُبْدِلْتُ صَادًا لِتُجَانِسِ الطَّاءِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا زَايَاً؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا بَيْنَهُمَا؛ وَالسَّيْنُ مَعَ الدَّالِّ كَالصَّادِ مَعَهَا نَحْوَ (يُدِلُّ ثَوْبَهُ)؛ وَأَمَّا الشَّيْنُ قَبْلَ الدَّالِّ فَتُضَارَعُ بِهَا الزَّايِ نَحْوَ: (رَجُلٌ أَشْدَقُ)، وَلَا تُجْعَلُ زَايَاً خَالِصَةً وَقَدْ قَالُوا (اجْدَمَعُوا) وَ (اجْدَرَوْا) فِي (اجْتَمَعُوا) وَ (اجْتَرَوْا)»².

والملاحظ في كلام العكبري بقوله: (لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِدْغَامُ الصَّادِ فِي الدَّالِّ قَرَّبَهَا مِنْهَا)، أَنَّهُ جَعَلَ التَّقْرِيبَ أَوْسَعَ دَلَالَةً مِنَ الْإِدْغَامِ، ذَلِكَ أَنَّ التَّقْرِيبَ الصَّوْتِيَّ قَدْ يَكُونُ كَلْبِيًّا بِأَنْ يَفْنَى أَحَدَ الصَّوْتَيْنِ فِي الْآخَرِ، وَقَدْ يَكُونُ جَزْئِيًّا بِأَنْ يَفْقَدَ الصَّوْتُ الْمَتَأَثِّرَ بَعْضَ خِصَائِصِهِ فَقَطْ؛ فَمِنْ الْكَلْبِيِّ الْإِدْغَامُ، وَمِنْ الْجَزْئِيِّ غَيْرُ ذَلِكَ.

¹ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبي البركات الأنباري، ص12/1-13.

² اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر-دمشق، ط1، 1995م، ص449/2.



واستعمل ابن الحاجب (ت 646هـ) مصطلح المناسبة، للدلالة على التقريب والتماثل الصوتي بين الصّوائت، وذلك عند حديثه عن الإمالة فقال: «الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة، أو للفواصل، أو لإمالة قبلها على وجه؛ فالكسرة قبل الألف: نحو (عماد) و(شمال) ونحو (درهمان) سوغه خفاء الهاء مع شدوده؛ وبعدها في نحو: (عالم) ونحو من كلام قليل لعروضها بخلاف من (دار) للراء، وليس مقدرها الأصلي كملفوظها على الأفصح (كجاد) و(جواد) بخلاف سكون الوقف»¹.

كما استعمل المصطلح نفسه ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، واستعمل مصطلحاً آخر وهو المجانسة، مخالفاً بذلك ابن مالك الذي اعتبر الكسرة حركة إعرابية، فقال: «وأقول الذي تُقدَّرُ فيه الحركات ثلاثة أنواع: ما تقدر فيه الحركات الثلاث؛ وما تقدر فيه حركتان؛ وما تقدر فيه واحدة. فأما الذي تقدر فيه الثلاث فنوعان: أحدهما ما أضيف إلى ياء المتكلم وليس مثني ولا جمع مذكر سالماً ولا منقوصاً ولا مقصوراً، وذلك نحو: (غَلَامِي) و(غِلْمَانِي) و(مُسْلِمَاتِي) فهذه الأمثلة ونحوها تُعَرَّبُ بحركات مقدره على ما قبل الياء والذي منَع من ظهورها أنهم التزموا أن يأتوا قبل الياء بحركة تجانسها وهي الكسرة، فاستحال حينئذٍ الجيءُ بحركات الإعراب قبل الياء إذ الخل الواحد لا يقبل حركتين في الآن الواحد، فتقول: (جَاءَ غُلَامِي) فتكون علامة رفعه ضمة مقدره على ما قبل الياء، و(رَأَيْتُ غُلَامِي) فتكون علامة نصبه فتحة مقدره على ما قبل الياء،

¹ الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الكردي الدويني، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية-مكة المكرمة، ط1، 1995م، ص83.



و(مَرَرْتُ بِغُلَامِي) فتكون علامةُ جره كسرةً مقدرةً على ما قبل الياء ، لا هذه الكسرة الموجودة كما زعم ابنُ مالكٍ، فإنها كسرة المناسبة وهي مُسْتَحَقَّةٌ قبل التركيب وإنما دخل عامل الجرّ بعد استقرارها ؛ واحتزرت بقولي: (وليس مثنى ولا جمع مذكر سالماً) من نحو (غُلَامَايَ)¹.

يتبيّن لنا من خلال هذه النصوص وغيرها، ومن دون ريب، أنّ علماء العربية القدامى قد فطنوا لما للأصوات المتجاورة من تأثير بعضها في بعض، وخاصة تلك المتنافرة منها، فوصفوا تلك الاختلالات التركيبية التي تُصيب التجمّعات الصوتية أثناء مسارها نحو الانسجام والتآلف، وتناولوا ظاهرة التماثل الصوتي بكلّ تفاصيلها؛ إلا أنّ معالجتهم لمسائلها كانت تفقر إلى الشمولية والاستقلالية والمنهج واضح المعالم، فتناولوا جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة وبمسميات متعدّدة، فتناولوها ضمن ظواهر الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو التفخيم أو الإمالة، أو غيرها من مسائل الصّرف والتحو.

أمّا علماء التجويد والقراءات، فقد تفتّنوا هم أيضاً إلى هذه الظاهرة، التي تسعى إلى تحقيق نوع من الانسجام الصوتي، بتحقيق التوازن والتوافق بين الأصوات المتجاورة، وبالتالي تيسير عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي الذي يُبدل في عملية النطق؛ وقد اتّسمت معالجاتهم لمظاهر هذه المماثلة الصوتية بنوع من الشمولية والاستقلالية مقارنة بمن سبقوهم من النحاة واللغويين، وتميّزت بنوع من التفصيل نظراً لحرصهم على التطبيق أكثر من التّعيد، ذلك أنّ هدفهم من علمي التجويد والقراءات تمثّل في تسجيل كيفية النطق الصحيح

¹ (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاريّ عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع-دمشق، ط1، 1984م، ص83).



للأصوات وكذا وصف القراءات الصّحيحة المختلفة، ولذلك تناولوا بعض الجوانب التي أغفلها النحاة واللغويون، أو ذكروها في أبواب متفرقة؛ ثم إن علماء التجويد والقراءات قد أولوا عناية كبيرة بالأصوات اللغوية عموماً، وأعانهم على ذلك أن قراءات القرآن الكريم كانت متواترة **بالتلقي الشفوي**؛ وقد خصّصوا أبواباً كاملة عالجوا فيها الأصوات الفرعية التي تنتج من التغيرات النطقية، وبذلك كانت دراساتهم علمية عملية، الغاية منها إيجاد قواعد تُساعد قارئ القرآن على إتقان قراءته وأداء آياته أداءً سليماً. ثم إن دراساتهم قد تميّزت بنوع من الاستقلالية، حيث عالجوا كلّ ما يتعلّق بالأصوات ضمن علم قائم بذاته أسموه علم التجويد، فدرسوا مخارج الأصوات وصفاتها، وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وحدّدوا كيفية تحقيق التجويد بريضة اللسان وكثرة التكرار، وتلقّيه بالمشافهة من أولي الإتقان، وكذا صحّة أعضاء النطق والسّلامة من عيوب الكلام؛ ويظهر ذلك جلياً من كلام **مكي بن أبي طالب القيسي** (ت437هـ) حيث قال: «وما علمتُ أن أحداً من المتقدّمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب وإلى جميع مثل ما جمعتُ فيه من صفات الحروف وألقابها، ولا ما أتبعْتُ في كلّ حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفّظ به عند تلاوته»¹. والملاحظ أنّ علماء التجويد قد استفادوا من سابقهم، فاستخلصوا تلك المادّة الصّوتية من مؤلفاتهم وواصلوا أبحاثهم الصّوتية وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتّى بلغ علم التجويد منزلة عالية متقدّمة متميّزة في دراسة الأصوات اللغوية، بفضل منهجهم **الصوتي الخالص**، بمعامله الواضحة وأبعاده المحدّدة؛ حيث استطاعوا تجريد المباحث الصّوتية المبعثرة في كتب الصّرف

¹ (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار-الأردن، ط3، 1418هـ-1996م، ص42.



والتحو والبلاغة، بل وحتى كتب القراءات القرآنية، وجمعوها في كتب مستقلة غير مختلطة بغيرها من كتب العلوم الأخرى. وإذا ما نظرنا إلى أحكام التجويد، وجدنا أنّ معظمها يرتبط، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بالظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور؛ فمن تلك الأحكام مثلاً: أحكام النون الساكنة والتنوين؛ الإظهار؛ الإخفاء؛ الإدغام بلفوائه؛ القلب؛ أحكام الميم الساكنة؛ الإمالة؛ أحكام المد؛ أحكام الهمزة؛ الترقيق والتفخيم؛ وغيرها؛ فكلها أحكام تتبدّل و تتغيّر بتغيير مواقع الأصوات في التركيب.

وقد أولى علماء التجويد والقراءات أحكام الإدغام عناية خاصّة، فعالجوا الإدغام من كلّ جوانبه، ودرسوه على نحو مفصّل، فقسّموه إلى مقبل ومدبر، وإلى ناقص وتام، وإلى إدغام كبير وصغير، وحددوا كيفية إدغام التماثلين من الأصوات، وكذا المتجانسين والمتقاربين. وتجدر الإشارة هنا أنّ علماء التجويد قد قسّموا الأصوات من حيث التماثل والتجانس والتقارب والتباعد إلى أربعة أقسام، هي:¹

- الأصوات التماثلة وهي تلك الأصوات المتّفقة في المخرج وسائر الصّفات؛
- المتجانسة، وهي الأصوات المتّفقة في المخرج المختلفة في الصّفات. كما يُراد بها أيضاً عند بعض علماء التّجويد² الأصوات المتقاربة في المخرج المتّفقة في الصّفات؛

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص124-146.

² لأنّ هذا النوع من الأصوات المتقاربة في المخرج المتّفقة في الصّفات محلّ خلاف بين العلماء، فمنهم من يرى بأنّها من الأصوات المتجانسة ومنهم من يُسمّيها بالأصوات المتقاربة. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص124-146.



- الأصوات المتقاربة، وهي تلك التي تقاربت في المخرج وفي الصّفات، أو في المخرج دون الصّفات، أو في الصّفات دون المخرج؛
- أمّا المتباعدة فهي الأصوات المتباعدة في المخرج المختلفة في الصّفات.
- إلا أنّ تعريف الإدغام عند علماء التّجويد والقراءات قد أصبح أضيق عندهم، فلم يشمل كلّ درجات وأنواع التقريب الصّوتي، وإنّما اختصّ بذلك النّوع الذي يفنى فيه الصّوت في مجاوره الذي يتبعه فناءً تامّاً. ومن ذلك تعريف ابن الجزري الذي قال: «الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً»¹.
- ومن أوائل من استخدم هذا المصطلح بهذا المفهوم من علماء التّجويد والقراءات، هو الفراء (ت207هـ)، وهو من النّحاة الأوائل الذين اعتنوا بالتجويد قبل أن يستقلّ ويصبح علماً قائماً بذاته، ومن ذلك حديثه عن كلمة (تَشَابَهَتْ)، حيث قال: «يقول: (تَشَابَهَتْ قلوبهم) [...] ولا يجوز (تَشَابَهَتْ) بالثقل؛ لأنّه لا يستقيم دخول تاءين زائدتين في (تَفَاعَلَتْ) ولا في أشباهها. وإنّما يجوز الإدغام إذا قلت في الاستقبال: (تَشَابَهَتْ) (عن قليل) فتُدغم التاء الثانية عند الشين»².
- وقد أشار الفراء أنّ العرب تستثقل بعض التراكيب للصّوات القصيرة، أو الحركات كما في اصطلاح القدماء، فيلجأ العرب إمّا إلى التقريب بين الصّوات المتباعدة أو المتباعدة بين المتقاربة، بحسب الثقل النّاجم عن ذلك التركيب، ومن ذلك أنّ العرب يستثقلون تتابع الضمّة والكسرة، فيستعينون بالمماثلة لتفادي ذلك الثقل؛ يقول الفراء: «إنّما يستثقلون كسرة بعدها ضمّة أو ضمّة بعدها كسرة أو كسرتين متواليّتين ضمّتين متواليّتين [...] وأمّا الضمّة والكسرة فمثل

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/313).

² (معاني القرآن: الفراء، ص1/68).



قول الشاعر: (وناع يُخبرنا بمهلك سيّدٍ تقطّع من وُجدٍ عليه الأناملُ)؛ وإن شئت تُقطّع [...] فإنما يُستثقل الضمّ والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان، والشفتين تنضمّ الرفعة بهما فيثقل الضمّة ويمال أحد الشدّقين إلى الكسرة فتري ذلك ثقيلاً؛ والفتحة تخرج من خرّق الفم بلا كلفة¹. ولم يبتعد ابن مجاهد (ت324هـ) عن هذا المفهوم أيضاً، حيث ذكر الإدغام وعرفه، نقلاً عن أبي بكر بقوله: «الإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه من مخرجه في اللسان، كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه»².

ومّا سبق ذكره نُلاحظ أنّ الإدغام جزء من المماثلة، وإنّ مصطلح المماثلة الذي استخدمه المحدثون يشمل الإدغام والإبدال والإقلاب، فهو أعمّ من مصطلح الإدغام بالمفهوم الذي استقرّ عند القدماء³، كما نُلاحظ أيضاً أنّ المماثلة بمفهومها السابق عند علماء العربية القدامى لم تقتصر على الصّوامت فقط، بل الثابت في دراساتهم أنّهم أشاروا إلى هذه الظاهرة التي تحدث بين الصّوائت أيضاً، طلباً للتوافق والانسجام الصوتي وتحقيق الحدّ الأعلى من الأثر في عملية التبليغ والتّواصل، وكذا محاولة تحقيق الحدّ الأدنى من الجهد العضلي أثناء النطق. ومن التغيّرات التي تحدثها العربية للصّوائت باتّباع مسلك التماثل للتقريب بينها، حين يُستعصى ويُستثقل النطق بها، ما قرّره علماء العربية عن هاء ضمير الغائب، المسبوقة بصائت قصير، إذ الأصل في هذه الهاء أنّها مضمومة⁴، ولذلك

¹ نفسه، ص161/2.

² السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص68.

³ يُنظر: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين: إبراهيم عبّود السامرائي، ص256.

⁴ يُنظر: الكتاب: سيويه، ص232/1. و: النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف-مصر، ط15، (د.ت)، ص221/1.



أبقاها أهل الحجاز على أصلها، فهم يضمونها في كل أحوالها، سواء سُبقت الهاء بكسر أم بغير ذلك، فيقرؤون الهاء مضمومة في (أنسانيه) من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾¹، وفي (عليه) من قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يُتَوَاتَرُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾²، وفي (لأهله) من قوله جل جلاله: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾³. إلا أن غيرهم من العرب يراعون نوع الصوت الذي يسبق الهاء، فإذا كان كسرة، حولوا ضمة الهاء كسرة للمناسبة الصوتية؛ يقول أبو زرعة: «قرأ حمزة ﴿لَأَهْلُهُ امْكُثُوا﴾⁴ بضم الهاء وكذلك في (القصص) على أصل الكلمة وعلى لغة من يقول: (مررت به يا فتى)؛ وقرأ الباقر بكسر الهاء وإنما كسروا لمجاورة الكسرة»⁵؛ وقد فسّر أبو زرعة ميل بعض العرب إلى المماثلة بين الصائتين المتابعة (الكسرة ثم الضمة)، بأنه فرار من ثقل النطق، فقال: «وحجة الباقرين أن الهاء إذا وقعت بعد ياء أو كسرة كُسرت، نحو: (به) و (إليه) و(عليه)، وإنما اختير الكسر على الضم الذي هو الأصل لاستثقال الضمة بعد الكسرة»⁶.

¹ (سورة الكهف: الآية 62).

² (سورة الفتح: الآية 10).

³ (سورة طه: الآية 09).

⁴ (سورة طه: الآية 09).

⁵ (حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1402هـ-)

1982م، ص450.

⁶ (نفسه، ص82).



2 - مفهومها عند المحدثين.

لاحظ المهتمون بعلم الأصوات الحديث أنّ الأصوات اللغوية، سواءً أكانت صوامت أم صوائت، تتأثر بعضها ببعض عند النطق بها¹؛ ووجدوا أنّ الصوت المتأثر يفقد في كثير من الأحيان بعض خصائصه، وفي أحيان أخرى يفقد كلّ خصائصه ويكتسب خصائص الصوت المجاور له أو بعضاً منها، فيحدث بينهما نوع من التوافق والانسجام، وأطلقوا على تلك التغيرات الصوتية مصطلح المماثلة، أو التماثل أو التقريب الصوتي، أو غيرها من المصطلحات؛ والتي يُقابلها في المصطلح الأجنبي كلمة (Assimilation)²؛ وهي بالأساس مصطلح أجنبي حديث، ولكن جذوره قديمة، كما رأينا، عند علماء العربية القدامى على الأقلّ. فالمماثلة بالمفهوم الحديث تهدف إلى تقليص الفروق بين الفونيمات في النسق نفسه، والتقريب بينها بالانقلاب من الجهر إلى الهمس أو من الترقيق إلى التفخيم أو من الاستدارة إلى الانبساط أو بالعكس، وقد يصل هذا التقريب إلى درجة فناء أحد الصوتين في الآخر فيحدث ما اصطُح عليه قديماً بالإدغام الذي يُقابل الإظهار³. وهي ظاهرة عامّة وسيارة في اللغات الإنسانية أجمع⁴؛ وقد استُخدم هذا المصطلح عند كثير من دارسي الأصوات العربية المحدثين.

¹ يُنظر: Exercices de linguistique: Philippe Monneret, Quadrigue PUF- Paris, 1ere edition, 1999, p20.

² يُنظر: Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR, p97. يُنظر أيضاً: معجم اللسانيّة- فرنسي عربي- مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، مادة (Assimilation)، ص22.

³ يُنظر: "مقاربة لظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية- حرف اللام نموذجاً": العربي الخامر، مجلّة "الإحياء"، مجلّة إسلامية جامعة، رابطة علماء المغرب-المملكة المغربية، العدد (21)، شوال 1424هـ-ديسمبر 2003م، ص73.

⁴ يُنظر: اللسانيات-المجال، الوظيفة والمنهج: سمير شريف استيتية، ص93. و: اللّهجات العربيّة في التراث (القسم الأول: في النظامين الصوتي والصرفي): أحمد علم الدّين الجندي، ص266.



ومن أوائل علماء العرب المحدثين الذين أشاروا إلى ظاهرة **المماثلة**، هو الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية)¹، ومن ذلك قوله: «تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، نلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعضها الآخر، كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثير؛ والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من **المماثلة** أو **المشابهة** بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج»².

ويرى أحمد مختار عمر أن **المماثلة** هي تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، لتقليص الخلاف بين الصّوتين³؛ أي أن أحد الصّوتين المتجاورين يُؤثر في الآخر، فيفقد الصّوت المتأثر بعضاً من خصائصه أو خصائصه كلّها، ويستبدلها بخصائص الصّوت المؤثر فيه.

ولا يُشترط في الصّوتين ملاصقة أحدهما للآخر، وإنّما يكفي أن يتجاورا لكي تتحقق **المماثلة**، ولذلك عرّفها بعض اللسانيين بأنّها: «التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته- ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى»⁴.

كما وضح أن التّماثل قد يكون بين الصّوامت فقط، كما قد يكون بين الصّوائت والصّوامت، أو بين الصّوائت فقط؛ وبين أن النوع الشائع هو تأثير الصّوائت على الصّوامت، ومن ذلك:⁵

- إجهار الصّامت المهموس إذا وقع بين صائتين.

¹ يُنظر: اللهجات العربيّة في التراث (القسم الأوّل: في التّظامين الصّوتيّ والصّرفي): أحمد علم الدّين الجندي، ص 267.

² (الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 179.

³ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص 329.

⁴ (دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص 324.

⁵ يُنظر: نفسه، ص 327-328.



- تقدّم أو تأخّر مخرج الساكن تبعاً لنوع العلة المجاورة؛ ومثاله أن الكاف تغور بعد الكسرة والياء؛ وفي تركيب مثل (ت+ضمة) أو (د+ضمة) تأخذ الشفتان واللسان وضع الصّائت من البداية، مما يؤدي إلى جذب كل من التاء و الدال إلى الورا بقدراً ما يسمح نطقها، ويكون الناتج تاء و دالا شفويتين طبقيتين؛ كما أنّ نطق التاء و الدال يتجه إلى الأمام في مجموعة مثل (تاء+كسرة) أو (دال+كسرة) أكثر من مجموعة مثل (دال+ضمة) أو (تاء+ضمة)؛ وكذلك اللام تنطق أكثر أمامية في مثل (لحية)، بخلافها في مثل (لقمة)؛ كما تكون الغين لهوية بعد الضمة، وطبقية بعد الكسرة. يقول أحمد مختار عمر: «وهذا جعل الباحثين يقررون أن العلة المصاحبة في نفس المقطع تقرر ما إذا كانت السواكن المصاحبة ستكون أكثر غارية أو طبقية أو شفوية، أو أقل؛ وجعل باحثين آخرين يقررون أنه يوجد عدد من كل صوت بعدد الإمكانيات المحتملة لتجمعات السواكن والعلل. ولكن معظم هذه التغيرات تحدث بصورة غير واعية ولا تفتن إليها أذن السامع ، وإن كانت تظهر بوضوح في التسجيلات الطيفية»¹.

أمّا تأثير الصّوامت على الصّوائت فمن أمثلته: اتجاه الصّوائت الأمامية إلى الخلفية بتأثير السواكن المفخمة، نحو: الكسرة في (الطّب)، والفتحة في (صبر) تحت تأثير الطاء والصاد المفخمتين؛ لأنّ أصوات الإطباق تمد نفوذها إلى ما يسبقها ويتبعها من الأصوات؛ ولذلك يفخم المقطع الذي يحتوي على صامت مفخم، بل ربما يمتد نفوذ الصوت المفخم إلى المقاطع المجاورة أيضاً².

¹ دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص328.

² يُنظر: نفسه، ص329.



ثم ذكر أحمد مختار عمر بعض الأمثلة للمماثلة بين الصوائت نفسها، أو بينها وبين أشباه الصوائت، ومن ذلك بعض القراءات للآيات القرآنية التالية:¹

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²، قرأها بعضهم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حيث حُوِّلت كسرة اللام ضمة لثمائل ضمة الدال قبلها ، فكانت المماثلة تقدمية؛ وبعضهم قرأها (الْحَمْدِ لِلَّهِ) بإبدال ضمة الدال كسرة لثمائل كسرة اللام بعدها، وكانت المماثلة رجعية.

- ﴿بِإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ، وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ، أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثَّلَاثُ﴾³، قرأها بعضهم: (فِإِمْه) بكسر اللام، فكانت المماثلة تقدمية.

- ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾⁴ تقرأ عند بعض القراء: (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) بضمين، فهي مماثلة رجعية.

وقد تُقلب الواو ياء بعد الكسرة تحقيقاً للمماثلة، ومعظم الأمثلة التي يذكرها الصرفيون في باب الإعلال، تندرج ضمن هذا النوع من المماثلة بين الصوائت، نحو: (رَضِي) من الرضوان؛ و(صِيَام) من الصَّوْم؛ و(دِيَار) وغيرها؛ وكلها من نوع التأثير التقدمي. وقد فضَّل بعضهم تعريفها بأنها: «تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً»⁵.

ويرى رمضان عبد التواب أن المماثلة تتحقق في الصوتين المتجاورين الصَّادرين من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين؛ فإذا التقى في الكلام صوتان كذلك،

¹ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص329.

² سورة الفاتحة: الآية01.

³ سورة النساء: الآية11.

⁴ سورة البقرة: الآية244.

⁵ نقلاً عن: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص324.



حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها؛ وأن هذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الأصوات الصائتة، ويحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والصائتة¹؛ وينتج عن المماثلة بين الصوامت والصوائت نوعان من المماثلة هما: **تقريب الصامت إلى الصائت**، أو العكس من ذلك، أي **تقريب الصائت إلى الصامت**.

ومن أوائل من أشار إلى ظاهرة المماثلة من علماء الغرب المحدثين اللغويّين الإنجليزي **دانيال جونز**² (Daniel Jones) (1881م-1967م) في كتابه (An out Line of english Phonetics)، حيث قال: « المماثلة استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة»³؛ وهذا معناه أن المماثلة لا تحدث فقط بأثير أحد الصوتين المتجاورين في الآخر، وإنما قد تحدث أيضاً بتأثير صوت ثالث في أحدهما فيُفقد بعض خصائصه أو خصائصه كلّها.

وهناك من يرى أن المماثلة تحدث على مستوى مخارج الأصوات⁴، فقد نقل عبد الله بوخلخال تعريفاً للّغويّ الفرنسي **موريس جرامونت** (Maurice

¹ يُنظر: لحن العامّة والتطور اللغوي: رمضان عبد التواب، ص42.

² يُنظر: اللهجات العربيّة في التراث (القسم الأول: في التّظامين الصّوّيّ والصّرفيّ): أحمد علم الدّين الجندي، ص267.

³ نقلاً عن: في البحث الصّوّيّ عند العرب: خليل إبراهيم العطيّة، دار الجاحظ للتّشّير-بغداد-العراق، 1403هـ-1983م، ص71.

⁴ في حقيقة الأمر أنّي لا أعتقد ذلك، لأنّ المماثلة كما أنّها تحدث على مستوى المخارج، فإنّها تحدث على مستوى الصّفات أيضاً، وقد تحدث فيهما معاً، ولا أعتقد أنّ اللّغويّ **موريس جرامونت** يخفى عليه ذلك، وإذا رجعنا إلى نصّ كلامه باللّغة الفرنسيّة، نقلاً عن الدكتور عبد الله بوخلخال، أدركنا ذلك، يقول م. **جرامونت**: (L'assimilation consiste dans l'extension d'un ou plusieurs mouvements articulatoires au delà de leur domaine originaire). وإنما وقع

اللّبس في ترجمة عبارة **جرامونت** (leur domaine originaire). يُنظر: الإدغام عند علماء العربيّة في ضوء البحث

اللّغويّ الحديث: عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعيّة-بن عكنون-الجزائر، 2000م، ص124.



GRAMMONT (1866م-1946م) لظاهرة المماثلة، فقال بأنّها: «تغيّر صوتيّ عند تحويل حرف عن مخرجه الأصليّ إلى مخرج آخر لغرض الانسجام الصوتيّ»¹؛ ثمّ ذكر الدكتور بوخلخال تعريفاً آخر للغويّ هنري فلايش (Henri FLEISCH) (1904م-1985م) مفاده أنّ المماثلة هي: «الظاهرة التي يتجاوز فيها حرفان مختلفان فيتحوّلان إلى متشابهين، ويُمكن أن تكون هذه المماثلة كاملة أو جزئية»².

بينما يرى عبد العزيز مطر أنّ ذلك التقارب قد يحدث في الصّفة أو المخرج، إذ عرّف المماثلة قائلاً: «هي تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، تأثراً يؤدي إلى التقارب في الصّفة أو المخرج، تحقيقاً للانسجام الصوتي، وتيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي»³. إلا أنّ المقرّر في الدرس الصوّتي الحديث أنّ ظاهرة التّمائل الصوّتيّ لا تُلقى بالألّا إلى الجانب الدلاليّ الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصّوتين، بقدر ما تهدف إليه من تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق⁴.

وبذلك يكون الانسجام الصوتي من الأهداف التي تسعى لتحقيقها ظاهرة المماثلة، بأن تتسق الأصوات المتجاورة بعضها مع بعض، فيزول ما بين الصّوتين من التنافر الذي يُؤدّي إلى حدوث ثقل في نطقهما وهما كذلك؛ فلا بد إذن من تغيير أحدهما ليسهل النطق؛ يقول مهدي المخزومي: «فمن العسير على اللسان

¹ Notes de phonétique général VIII- l'assimilation: GRAMMONT Maurice, (Bulletin de la société de linguistique T.XXIV- Paris, 1923, p.185. (نقلاً عن: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغويّ الحديث: عبد الله بوخلخال، ص123-124).

² Traité de philologie arabe: Henri FLEISCH, Imprimerie catholique-Beyrouth, (1961, p.1/71. (نقلاً عن: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغويّ الحديث: عبد الله بوخلخال، ص125).

³ (لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: عبد العزيز مطر، دار المعارف-القاهرة-مصر، ط2، 1981م، ص245).

⁴ يُنظر: دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد عمر مختار، ص331. و: علم الصّرف الصوّتيّ: عبد القادر عبد الجليل، ص148.



أن ينطق بصوتين متجاورين، وهما من طبيعتين مختلفتين، لما في ذلك من جهد على أعضاء النطق»¹.

وقريب من هذا التعريف ما ذهب إليه ريمون طحّان بقوله: «هو تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين صورتين متماسّين ممّا يُؤدّي إلى تقارب في مخرجي الصّوتين وصفاتهما، أو إلى تماثل تامّ يتجلّى في الإدغام»². ويؤكد أحمد علم الدين الجندي أنّ التّماثل الصّوتيّ ينتج عنه تغير مخرج بعض الأصوات، أو تغير صفات بعضها من حيث الجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة والتوسط، أو التفخيم والترقيق، نتيجة وجود صوتين مختلفين متجاورين في نسق صوتي معيّن، فيتغير أحد الصوتين المختلفين ليتماثلا، من ناحية المخرج أو من ناحية صفة الصوت؛ وذلك عند حديثه عن المماثلة، فقال: «وفي هذه المماثلة أو التقريب كما يراه ابن جنّي، يحدث التّشابه بين الأصوات من ناحية المخرج أو الصّفة؛ لأنّ التّماثل أو التقارب لا بدّ أن يشتمل على جهتين: جهة المخرج، وجهة الصّفة»³.

أمّا الطيّب البكّوش فقد تحدّث عن الفرق بين المماثلة والإدغام، وعرّف المماثلة تعريفاً مختصراً، فقال: «المماثلة تدلّ على ظاهرة تعاملية تُقرب بين الأصوات المختلفة»⁴. ثمّ ذكر المفهوم الصّوتيّ للمصطلح الأجنبي (Assimilation) المقابل

¹ في النحو العربي قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط1، 1967م، ص04.

² (الألسنية العربية (1): ريمون طحّان، ص53.

³ (اللّهجات العربيّة في التراث (القسم الأول: في النظامين الصّوتيّ والصّرفي): أحمد علم الدين الجندي، ص292.

⁴ (التّطبيقات الصّوتيّة في كتاب سيويه": الطيّب البكّوش، مجلّة "حوليات الجامعة التّونسيّة"-كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة-تونس،

العدد 11، 1974م، ص141-152.



للمماثلة، فقال: «هو نزعة صوتين إلى التقارب في المخارج أو الصفات سواءً تماثلاً أم لم يتماثلاً»¹.

ومثلما تعددت المصطلحات الدالة على المماثلة الصوتية عند علماء العربية القدامى، فكذلك تعددت عند الصوتيين العرب المحدثين؛ وذلك بسبب الاختلافات في الترجمة، إذ المصطلحات الصوتية الحديثة أجنبية في الأصل؛ وقد كان الاختلاف في الترجمة نتيجة عوامل كثيرة ومتعددة، استطاع عبد السلام المسدي تحديد معظمها بشكل دقيق وجميل، فقال: «فاختلاف الينابيع التي نهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدة المتجددة التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة، و تراكب الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية مما يقتضيه تزواج مادة العلم وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية، ثم طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل كل حزب من المنتصرين للنظرة الواحدة أحياناً؛ كل ذلك قد تضافر، فعقد المصطلح اللساني، فجعله إلى الاستعصاء والتخالف أقرب إلى التسوية والتماثل»².

إذ لم يكتف إبراهيم أنيس باستعمال مصطلح المماثلة للتعبير عن ظاهرة ميل الأصوات إلى التماثل في الكلام المتصل، بل استخدم عبارة أخرى هي (الانسجام الصوتي)، قائلاً: «ويسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة»³.

¹ نفسه، ص151.

² "المصطلح اللساني بين الترجمة والتعريب": عمر لحسن، مجلة "المصطلح"، مجلة علمية أكاديمية تصدر: عن مخبر "تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية"-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، العدد(02)، فبراير 2003، ص93.

³ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص179.



كما أطلق كريم زكي حسام الدين على المماثلة مصطلح التحييد، فقال: «هو تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيمًا واحدًا في سياق صوتي معين؛ أو بعبارة أخرى إلغاء أو محو لفونيم معين نتيجة لتفاعله مع فونيم آخر يختلف معه في ملامح صوتي واحد على الأقل، ويكون الفونيم الجديد الناتج عن عملية التحييد صورة جديدة أو وسطًا بين الفونيمين المحول عنه والمحول إليه نتيجة لعامل المماثلة»¹؛ والملاحظ هنا أنّ كريم زكي حسام الدين اعتبر أنّ المماثلة ليست في مخرج الأصوات الصامتة فقط، بل من الممكن أن تكون في الملامح الصوتية من جهر وهمس وشدة ورخاوة واستعلاء واستفال وإطباق وغيرها.

بينما فضّل آخرون استعمال مصطلحات أخرى للدلالة على ظاهرة المماثلة، منها: التّمائل²؛ والتقريب؛ والتقارب³ وغيرها.

نلاحظ مما سبق أنّ المماثلة تشمل في نظرة المحدثين كلّ تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيُقارَب بينهما مهما يكن مبلغه؛ وهو ما ذهب إليه بعض علماء العربية القديمة، أمثال سيبويه وابن جني بمسمّيات أخرى كالمضارعة والتقريب وغير ذلك⁴. كما أنّ الهدف من المماثلة الصوتية هو تعاون أعضاء النطق في خلق نوع من الانسجام الصوتي أثناء النطق، اقتصاداً في الجهد العضلي المبذول. وقد نعت العلماء المحدثون التّمائل الصوّتيّ بأنّه قوّة سالبة؛ يقول عمر

¹ أصول تراثية في علم اللغة: كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ط2، 1985م، ص192-193.

² يُنظر: دروس في علم الأصوات العربية : جان كانتينو، نقله إلى العربية وذّيله بمعجم صوتيّ فرنسي-عربي: صالح القرماذي، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية-الجامعة التونسية-تونس، 1966م، ص146.

³ يُنظر: اللّهجات العربية في التراث (القسم الأوّل: في التّظامين الصوّتيّ والصّرفي): أحمد علم الدّين الجندي، ص267.

⁴ يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والتحو العربيّ- أبو عمرو بن العلاء: عبد الصّبور شاهين، ص235.



مختار عمر: «فالعلماء ينظرون إلى المماثلة على أنها قوّة سالبة في حياة اللّغة، لأنّها ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلّما أمكن»¹.

وقد قسّم اللّسانيون المماثلة بين الصوامت إلى أقسام متعدّدة، بمراعاة المعايير التالية:²

المعيار الأوّل: موقع الصامت المؤثر والمتأثر، أي بحسب كون المماثلة من الأمام إلى الخلف، أو العكس.

المعيار الثاني: اتّصال الصوامت من عدمه.

المعيار الثالث: درجة التأثير بين الصوتين المتجاورين.

المعيار الرابع: طبيعة العلاقة التي تربطه بقريته المتأثر (من ناحية المخرج أم الكيفية)³.

فبمراعاة المعيار الأوّل، تُقسّم المماثلة إلى نوعين هما: مماثلة مقبلة، إذا كان الصوت المؤثر سابقاً للصوت المتأثر؛ ومماثلة مدبرة، إذا كان الصوت المؤثر متأخراً عن الصوت المتأثر.

1 - المماثلة المقبلة: ويسمّيها آخرون بالمماثلة التقدّميّة⁴ أو الأماميّة⁵، ويُقابله في اللّغة الأجنبيّة (Assimilation progressive)⁶، وهي تلك التي يتأثر فيها

¹ دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص329.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري" : المهدي بوروبة، ص186-195.

³ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص325.

⁴ يُنظر: لحن العامّة والتطوّر اللّغويّ : رمضان عبد التّوّاب ، ص42. يُنظر أيضاً: دراسة الصّوت اللّغوي : أحمد مختار عمر ، ص325.

⁵ يُنظر: اللّسانيات- المجال، الوظيفة، والمنهج: سمير شريف استيتية، ص93.

⁶ يُنظر: **Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR, p98**. يُنظر

أيضاً: معجم اللّسانيّة- فرنسي عربي- مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، صص22 و168.



الصوت الثاني بالصوت الأول¹، أو بعبارة أخرى هي تلك التي يكون فيها اتجاه التأثير يث من الصوت الأول إلى الصوت الثاني، أو هي كما يقول أحمد مختار عمر: «حين يكون التأثير من السابق إلى اللاحق»². وعرفها آخرون بأنها مماثلة يتجه فيها التأثير إلى الأمام، وهذا يعني أن صوتاً ما يكون مكيفاً مؤثراً والصوت اللاحق يكون متكيفاً متأثراً³. ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية (ازدَجَرَ) (اصْطَبَرَ)؛ إذ الأصل فيهما أن يكونا على صيغة (افْتَعَلَ) من (زَجَرَ) و(صَبَرَ)، أي (ازْتَجَرَ) و(اصْتَبَرَ)؛ إلا أن الذوق العربي لا يستسيغ مثل هذه الصيغ، نظراً لعدم التوازن الوصفي⁴ بين التاء والزاي وبين التاء والصاد، ولذلك تعتمد اللغة العربية إلى إعادة التوازن لهذه الصيغ وتحقيق الانسجام الصوتي فيها، وذلك بفضل المماثلة التقدّمية، حيث يتأثر في المثال الأول، صوت التاء الذي من صفاته الخفوت والهمس والترقيق وضعف الرنين بالصوت السابق له وهو الزاي الذي يتميز بالجهر والحدة والوضوح السمعي، فأبدل التاء بصوت آخر من مخرجها يُماثل الزاي في صفة الجهر وهو الدال، لتصبح الصيغة (ازدَجَرَ)؛ يقول أحمد مختار عمر: «جهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة، فتحوّلت إلى مقابلها الجهور وهو الدال»⁵؛ والعملية نفسها في المثال الثاني، حيث تأثر صوت التاء بالصاد الذي من صفاته التفخيم والصّفير وقوّة الجرس، فأبدلت التاء الضعيفة بصوت آخر من مخرجها يُناسبُ الصاد في صفة التفخيم، وهو الطاء، وأصبحت

¹ يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي- أبو عمرو بن العلاء: عبد الصبور شاهين، ص231.

² دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص325.

³ يُنظر: المصطلحات الصوتية بين القدماء والحديثين: إبراهيم عيود السامرائي، ص258.

⁴ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص187.

⁵ دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص325.



الصيغة (اصْطَبِر)؛ ذلك أنّ الطاء والذال والتاء، أصوات تخرج من مخرج واحد¹ وهو طَرَف اللّسان مع أصليّ الثنيتين العليين، أيّ مع إصاق طرف اللسان بأصليّ الثنيتين المذكورتين مُصْعَدًا إلى الحنك الأعلى.

وبذلك كانت تاء الافتعال متأثرة دائماً بالذال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالا أو طاءً وفق قانون المماثلة، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: (اذْكُرْ) والتي أصلها (اذْكُرْ)؛ و(اذْهَنْ) وأصلها (اذْهَنْ)؛ وكذلك (اطلّع) من (اطلّع)؛ و(اطرّد) من (اطرّد). وقد ذكر بعض الباحثين في علم الأصوات ملاحظة في غاية من الأهميّة، وهو الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي، سائلاً نفسه: لماذا يتغير أحد

الصوتين في بعض الكلمات، ولا يتغير في الكلمات الأخرى؟ ولماذا تغير صوت التاء- مثلاً- في صيغة (افتعل) مرة إلى الدال في (اذْكُرْ)، ومرة إلى الطاء في (اطلّع)، في حين أنّ التاء والذال والطاء، يجمعهما مخرج واحد فهي أسنانية لثوية، بالإضافة إلى أنّها شديدة، وتنفرد الدال بأنها مجهورة في حين أنّ التاء والطاء مهموستان! ليخلص الباحث بعد ذلك إلى نتيجة مهمّة، وهي أنّ ذلك التغير قد يعود إلى طبيعة صوت ثالث في الكلمة هو الذي يستوجب التغير، كما يحدد أيضاً طبيعة الصوت الجديد؛ فالتاء في (اطلّب) مهموسة مرققة تحولت إلى طاء مهموسة مفخمة (اطلّب)، بتأثير التفخيم العارض للام²، فهنا توالت ثلاثة أصوات مفخمة.

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص67. و: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص48.

² يُنظر: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم: أحمد عبد المجيد هريدي، ص12-13.



كما أنّنا نجد الاختلاف بين الكلمتين (جثوث) و(جذوت)¹ في صوعيّ الشاء والذال، وكلاهما أسناني رخو، إلا أن الشاء مهموسة والذال مجهورة، وحين نتفحص الجيم والواو نجد أنّهما مجهوران قد حصرا ما بينهما صوتا مهموسا هو الشاء فأثرا عليه لتماثل الأصوات الثلاثة في الجهر، وتحولت الشاء المهموسة إلى مقابلها، من المخرج نفسه، وهو الذال المجهور. وكذلك قولهم (قرأ فما تلعثم) (وقرأ فما تلعدم)، حيث تحولت الشاء المهموسة إلى الذال المجهورة لتماثل في الجهر مع اللام والعين والميم.

وقد وضع الصرّفيون لذلك قاعدة؛ مفادها: أن تبدل تاء (أفتعل) طاء في كل فعل ثلاثي مبدوء بأحد حروف الإطباق الأربعة (ص؛ ظ؛ ط؛ ض)؛ وتبدل دالا في كل فعل ثلاثي مبدوء بزاي أو دال أو ذال. وما ينطبق على الفعل ينطبق على المصدر وباقي المشتقات².

2 - المماثلة المدبرة: وينعتها آخرون بالمماثلة الرجعية³، وهي الأكثر شيوعاً في اللغة العربية⁴، ويُقابلة في اللغة الأجنبية (Assimilation régressive)⁵؛ وتُسمّى بذلك حين يكون التأثير من اللاحق على السابق⁶. ومثال ذلك تحويل فاء الافتعال إذا كانت واواً إلى تاء، نحو: (أَتَعَدَ) والتي الأصل فيها (اوتَعَدَ) على

¹ (الجذُوُّ أو الجُثُوُّ: معناه القيام على أطراف الأصابع. وقيل: الجذُوُّ على أطراف الأصابع، والجُثُوُّ على الرُكْب. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج ذ ا)، ص14/136.

² يُنظر: التطبيق الصرّفيّ: عبده الراجحي علي إبراهيم، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1، 1420هـ-1999م، ص145-146.

³ يُنظر: لحن العامة والتطور اللغويّ: رمضان عبد التوّاب، ص42. وكذلك: دراسة الصوّت اللغويّ: أحمد مختار عمر، ص325.

⁴ يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والتحو العربيّ- أبو عمرو بن العلاء: عبد الصّبور شاهين، ص231.

⁵ يُنظر: Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR, p98. يُنظر أيضاً: معجم اللّسانيّة-

فرنسي عربيّ- مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، ص22 و179.

⁶ يُنظر: دراسة الصوّت اللغويّ: أحمد مختار عمر، ص325.



وزن (اَفْتَعَلَ)، من (وَعَدَ)؛ فكان التنافر بين صوتي الواو والتاء باختلاف مخرجيهما وصفاتهما، وكليهما من الأصوات الضعيفة¹، فعمدت العربية لتفادي ذلك التنافر إلى المماثلة بين الصّوتين بإبدال أحدهما إلى صوت يُقارب مجاوره ويتناسب معه، فكانت الغلبة لصوت التاء بقوّته التي اكتسبها بفضل موقعه في أوّل المقطع، فأثر على الواو الذي ضَعُفَ بحلوله في آخر مقطعه؛ وقُلبت الواو تاءً (اَتَّعَدَ)، وتواصل المسار التماثلي بذوبان التاء الساكنة في التاء المتحرّكة ذوباناً تاماً، حيث أُدْغِمَت الأولى في الثانية وكانت النتيجة كلمة (اَتَّعَدَ)؛ وقد ذكر ذلك علماء العربية القدامى، ومن ذلك قول السيوطي: «وتبدل التاء من فاء الافتعال وفروعه إن كانت ياء أو واو، نحو: (اَتَّعَدَ) (يَتَّعَدَ) (اَتَّعَدَ) و(مُتَّعَدَ)، ومصدرها (الاتّعاد) والأصل (اوْتَعَدَ) لأنه من (الوَعَدَ)، وكذا (اَتَّسَرَ) وفروعه أصله (اَيْتَسَرَ) لأنه من (اليُسَرَ)، وإنما أبدلوا الفاء تاء لأنهم لو أقرّوها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء، وبعد الفتحة ألفا، وبعد الضمة واوا، فأبدلوا منها حرفاً جلدًا²؛ ولما كان مسار التأثير يتّجه من الصّوت اللاحق نحو الصّوت السّابق، وُصِفَت المماثلة بالمدبرة أو الرّجعية.

¹ أدنى ما يتّصف به الصّوت خمس صفات، وأقصى ما يتّصف به سبع صفات؛ وتنقسم الصّفات من حيث القوّة والضّعف إلى قسمين: قوّة وضعيفة، فأما الصّفات القويّة فهي: الجهر، الشدّة، الاستعلاء، الإطباق، الصّفير، القلقة، الانحراف، التكرير، النفسّي، الاستطالة، الإصمات، والعنة؛ وأما الضّعيفة فما تبقى من الصّفات. ويُستثنى من القسمين صفة التوسّط بين الشدّة والرّخاوة فلا هي بالقوّة ولا بالضعيفة. وتبعاً لذلك تنقسم الأصوات اللّغويّة إلى خمسة أقسام: الصوت الأقوى، الصوت القويّ، المتوسّط في القوّة، الضّعيف، والأضعف؛ فإن كانت صفات الصّوت كلّها قويّة فهو أقوى الأصوات، وإن كان معظمها قوياً فإنّ الصّوت حينئذ يكون قوياً ويوصف بالقوّة، وإن تعادلت فيه صفات القوّة وصفات الضّعف فإنّه يكون متوسّطاً ويوصف بالتوسّط، وإن كان معظمها ضعيفاً فإنّ الصّوت يكون ضعيفاً ويوصف بالضّعف، وإن كانت صفاته كلّها ضعيفة فهو أضعف الأصوات. يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات في آخر هذه الرّسالة. و: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص115. وكذلك: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص49.

² همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية- مصر، ص476/3.



ومثال المماثلة المدبرة أيضاً ما يحدث للنون الساكنة التي تنقلب في النطق بها ميماً إذا أُتبعَتْ بَاءً، نحو قولنا: (مِنْ بَعْدَ) التي تُنطقُ (مِمَّ بَعْدَ) حيثُ تغيّرت النون إلى ميم لتماثل الباء في المخرج والصفات؛ ذلك أن الميم تُشارك النون في الغنة وسائر الصفات، وتُشارك الباء في المخرج وأكثر الصفات، فكلاهما صوتٌ مجهور مستفال منفتح مُدلق؛ وهكذا أثرت الباء بصفاتها القويّة في النون بصفاتها الضعيفة؛ ولما كان موقع الصوت المتأثر (النون) في التركيب أولاً، ثم تلاه الصوت المؤثر (الباء)، كان مسار التأثير مُدبراً، وسُميت المماثلة رجعية.

وقد نقل بعض الباحثين أمثلة من العامية الجزائرية لبعض التبدلات الصوتية التي تحدث للأصوات نتيجة تأثير بعضها في بعض عندما تتجاور، ومن ذلك ما يتداوله عامة الناس في الجزائر في مخاطبهم اليومي، بقولهم (شكومبات)¹ بدلاً من (شكون بات)؛ حيث سارت العامية على أدراج اللغة الفصحى في مسارها التماثلي، وقُلبت النون ميماً، لما تلتها الباء، ذلك أن الباء صوت أقوى من النون فكان التأثير له على مجاوره الذي سبقه؛ ولما كان اتجاه التأثير من الصوت اللاحق نحو الصوت السابق، سميت الظاهرة بالمماثلة الرجعية.

ومثال ذلك أيضاً (يذكرُ) و(يثاقُلُ)، والتي تحصل نتيجة ما يحدث في صيغة المضارع لبناءي (تفعّل) و(تفاعل) من (ذكر) و(ثقل)؛ حيثُ تتحوّل كلٌّ من (تذكّر) و(تثاقّل) بعد تسكين التاء تخفيفاً لها² إلى (يتذكّر) و(يتثاقّل)، ومن ثم يُؤثر الصوت السابق (التاء) بالصوت اللاحق له وهو فاء الفعل (الذال في المثال الأول، والثاء في المثال الثاني)، فتلجأ العربية إلى المماثلة الرجعية، ليتحوّل صوت

¹ يُنظر: "العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة-دراسة مقارنة": حسين بن زروق، أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في اللسانيات العربية، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، 1427هـ-2005م، ص149.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص191.



التاء إلى صوت يُشارك الصّوت المؤثّر في مخرجه وصفاته، فتنازل التاء عن همسها وشدها لصالح الذال وتحوّل إلى صوت مجهور رخو يُشارك الذال في مخرجها، فيكون الصّوت المناسب لذلك التحوّل هو الذال؛ وتتجرّد في المثال الثاني من شدتها لصالح التاء وتحوّل إلى صوت رخو يُشارك التاء في مخرجها، فيكون الصّوت المناسب هو التاء؛ لتصبح الصّيغتان كما يلي: (يَذْكُرُ) و(يَثْقُلُ)، ومع وجود صوتين مثلين متتابعين، الأول ساكن والثاني متحرّك، يتواصل المسار التماثلي وينتهي بفنائهما الأول في الثاني فناءً تاماً، فتتحقق المماثلة التامة بين الصوتين، لنحصل في الأخير على (يَذْكُرُ) و(يَثْقُلُ)؛ ثمّ سار الماضي على منوال المضارع من باب المشاكلة¹، ومن ذلك: (اذْكُرْ) و(اثْقَلْ)؛ ولما كان التأثير في هذا المسار التماثلي ينطلق من الصّوت الثاني (الذال والتاء) باتجاه الصّوت الأول (التاء) الذي يُجاوره مجاورة مباشرة، سُمّيت هذه المماثلة رجعية. وقد اشترط بعض الصّوتيين في الصّوت المؤثّر في تاء (تفعّل) و(تفاعل) أن يكون من أصوات الصّفير أو الأسنان².

ولم يكن تأثير الذال والتاء في صوت التاء بفضل قوّة اكتسابها من خصائصهما الصّوتية، فالأصوات الثلاثة هذه كلّها من الأصوات الضعيفة، بل إنّ صوت التاء أضعف من صوت التاء³. وإتّما كانت بفضل قوّة اكتسابها بموقعهما من المقاطع الصّوتية للبناء مقارنة مع صوت التاء؛ فإذا قمنا بتجزئة البنائين إلى مقاطع، اتّضح

¹ يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري، ص 13/1.

² أصوات الصّفير هي: الصاد والسين والزاي، وأصوات الأسنان أو الأصوات اللثوية هي: الطاء والذال والتاء. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 62 و 98. ومناهج البحث في اللّغة: تمام حسان، ص 156. وأثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم: فدوى محمد حسان، ص 74.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 116.



لنا أن عدد مقاطع الكلمة الأولى (يَتَذَكَّر) ثلاثة مقاطع¹، كلّها من نوع المقطع المتوسط المغلق، وهي: (يَت-) و(ذَك-) و(كُر-)؛ أمّا الكلمة الثانية (يَتَشَأَل) فتتكوّن من ثلاثة مقاطع صوتيّة، المقطعين الأوّل والأخير منها من نوع المقطع المتوسط المغلق، ويتوسّطهما مقطع متوسط مفتوح، وهذه المقاطع هي: (يَت-) و(تَأ-) و(قَل-).

والملاحظ من هذا التقطيع الصوتي أن صوت التاء المتأثر يحتلّ الموقع الأخير من المقطع، بينما يحتلّ الصوتان المؤثران (الذال والتاء) الموقع الأوّل من مقطعيهما؛ وبفضل ذلك كانتا أقوى من التاء؛ يقول فندريس: «والقطعة النهائية من الكلمة خاتمة القوى من حيث هي نهاية»²، وبذلك تكون عرضة لتيار التأثير الوافد عليها من مجاورها القوي³.

وتبعاً للعيار الثاني، تقسّم المماثلة إلى نوعين هما: مماثلة متصلة، إذا كان الصوتان- المؤثر والمتأثر- متصلين في السياق اتصالاً مباشراً؛ ومماثلة منفصلة، إذا كان الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض سواءً أكان الصوت الفاصل من الصّوامت أم من الصّوائت⁴.

¹ هذا في حال الوقف عليها؛ أمّا إذا واصلنا الكلام فيكون عدد المقاطع حينئذ أربع مقاطع: المقطعين الأوّلين من نوع المتوسط المغلق، وهما: (يَت-) و(ذَك-)؛ ويتحوّل المقطع الأخير إلى مقطعين من نوع القصير المفتوح، وهما: (ك-) و(ر-). يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري" : المهدي بوروية، ص 289-290. وهندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي- رؤية لسانية حديثة : عبد القادر عبد الجليل، ص 59. وكذلك: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: عاطف مدكور، ص 129-130.

² اللغة: فندريس، ص 88.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 191.

⁴ يُنظر: لحن العامّة والتطور اللغوي: رمضان عبد التّوّاب، ص 43.



1 - المماثلة المتصلة: وهي تلك التي تتابع فيها الصوتان المتماثلان خطأ دون فاصلٍ بينهما¹؛ ويُسمِّيها أحمد مختار عمر بالمماثلة التجاورية، وعرفها بأنها تلك التي تُماثل بين أصوات متاخمة².

ومن أمثلة ذلك ما ثبت في لغة العرب من قولهم (مِرْدَغَةٌ) بدلاً من (مِرْدَغَةٌ) بالصَّاد؛ يقول مرتضى الزبيدي (ت1205هـ): «الصُّدُغُ بالصَّمِّ: ما انحدرَ من الرُّأسِ إلى مَرَكَبِ اللَّحْيَيْنِ، وقيل: ما بينَ العَيْنِ والأُذُنِ [...] والمِصْدَغَةُ كَمِكْنَسَةٍ: المِخْدَةُ لِأَنَّهَا تُوضَعُ تَحْتَ الصُّدُغِ؛ ورُبَّمَا قالوا: مِرْدَغَةٌ بالزَّايِ، كما قالوا للصرَّاطِ: زِرَّاطٌ»³. فالصَّاد في هذه اللهجات العربية تحوَّلت إلى الزَّاي استجابة إلى تأثير الدَّال المماسَّة لهُنَّ لتحقيق توافق بينهما في الجهر؛ لأنَّ الصَّاد صوت مهموس، والدَّال بعدها صوت مجهور، فأثَّر الدَّال بقوَّته التي اكتسبها بفضل صفاته حلوله بداية المقطع، في الصَّاد الضعيف بصفة الهمس وبموقعه آخر المقطع، وتحوَّلت الصَّاد إلى صوت يُشاركها في المخرج ويُناسب الصوت المؤثِّر (الدَّال) في الجهر، فاختر لذلك صوت الزَّاي؛ والملاحظ أنَّ المماثلة التي حدثت في هذا المثال (مِرْدَغَةٌ) رجعية لأنَّ مسار التأثير اتَّجه من الصَّوت اللاحق (الدَّال) نحو الصَّوت السَّابق (الصَّاد)؛ وهي في ذات الوقت مماثلة متصلة لعدم وجود أيِّ فاصل بين الصَّوتين.

ومثال المماثلة المتصلة أيضاً، ما نقله العلماء اقتباساً من اللهجات العربية القديمة، ومنها قول بعض العرب (أزْدَق) بدلاً من (أصْدَق)؛ يقول القرطبي (ت671هـ): «حكى سلمة عن الفراء قال: الزَّرَّاطُ بإخلاص الزَّاي لغة لَعُدرة و كلب و بني

¹ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص188.

² يُنظر: دراسة الصَّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص325.

³ تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ص د غ)، ص5679.



القَيْن قال: وهؤلاء يقولون في (أَصْدَق) (أَزْدَق)؛ وقد قالوا: (الأزْد) و(الأسْد)»¹. فقد جاورت الصّاد المهموسة صوت الدّالّ المجهور، فكانت الغلبة للدّالّ بأن أثرت في الصّاد، وتحوّلت الصّاد إلى صوت من مخرجها يتناسب مع الدّالّ في صفة الجهر، وهو الزّاي؛ وبعبارة أخرى فإنّ الصّاد هنا جهرت بسبب مجاورتها للدّالّ المجهورة، فتحوّلت زايًا مفخمة؛ وكانت المماثلة رجعية لأنّ مسار التأثير اتّجه من الصّوت اللاحق إلى الصّوت السّابق؛ ولما التصق الصّوتان المتأثران ولم يفصل بينهما فاصل، وُصفت المماثلة بالمتّصلة.

ومن أمثلة هذا النوع من المماثلة أيضاً، ما يقع في كلام النّاس اليوميّ بالعاميّة من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، فيتغيّر أحد الصّوتين، وهو الصّوت المتأثر، إلى صوت آخر ينسجم مع مجاوره المؤثر؛ ومن أمثلة ذلك : كلمة (كَعَك)² التي ينطقها بعض العرب من أهل مصر في تخاطبهم اليوميّ بالحاء، فيقولون (كَحْكُ العيد)³؛ حيث وقعت العين، وهو صوت مجهور، وسط الكافين، والكاف صوت مهموس، فأبدلت العين بصوت من مخرجها يُناسب الكاف في الهمس، وهو الحاء؛ فهست العين هنا وتحوّلت حاء، بسبب المماثلة الصوتية بينها وبين الكاف المهموسة. ولما كان الصوتان - المؤثر والمتأثر - متّصلين اتّصالاً مباشراً، ولا فاصل بينهما، سُمّي هذا التقريب بينهما باسم المماثلة المتّصلة.

¹ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: هشام سميح البخاري، دار عالم الكتب-الرياض-المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م، ص1/148.

² الكَعْكُ هو الحُبْزُ اليابس، وقيل خبز فارسي معرّب، قال الليث أظنه معرّباً، وأنشد: يا حَبْدَا الكَعْكُ بلَحْمٍ مَثْرُودٌ وحَشْكُنَانٌ بسُوَيْقٍ مَقْنُودٌ. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادّة (ك ع ك)، ص481/10.

³ يُنظر: لحن العامّة والتطوّر اللّغويّ: رمضان عبد التّواب، ص362.



2 - المماثلة المنفصلة: أو المماثلة التباعدية¹، وهي المماثلة بين أصوات غير متاخمة، أي أصوات متتابعة خطأً مع وجود فاصلٍ بينهما. ومن الأمثلة على هذا النوع من التّماتل ما ثبت في لغة العرب واشتهرت به قبائل العرب في بعض لهجاتها القديمة بإبدالهم صوت الذال ظاءً، ميلاً للتّماتل، ليتناسب مع صوت القاف في صفتها، نحو ما ذكره ابن جنّي من قولهم (وقِظ) بدلاً من (وقيد)، حيث قال: « يُقال (تركته وقيداً) و (وقِظاً)؛ والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال لقوله عز اسمه ﴿ حَرِّمْتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالِدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِءَ وَالْمُنْحَنِفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَالِكُمْ يَسُوءٌ ﴾² بالذال، ولقولهم (وقده) (يقذه)، ولم أسمع (وقظه) ولا (موقوطة)؛ فالذال إذن أعم تصرفاً، فلذلك قضينا بأنها هي الأصل³؛ فالأصل في كلام العرب (وقيد) من (وقد) التي تعني لغةً: شدة الضرب حتى الاسترخاء والإشراف على الموت، ومن ذلك قولهم (شاة موقوذة) أي أنها قُتلت بالخشب، وقد كان العرب يضربون الشاة بالخشب حتى الموت ثم يأكلونها، فنهى الله عز وجل عنه⁴؛ وقد أبدلت الذال ظاءً، لأن القاف صوت قويّ يمتاز بصفتيّ الجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة وليست له إلاّ صفة ضعيفة واحدة⁵، فأثر بذلك في

¹ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص325.

² سورة المائدة: الآية 04.

³ سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ص1/228.

⁴ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (و ق ذ)، ص3/519.

⁵ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذه الرّسالة. و: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص115. وكذلك: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص49.



صوت الذال الذي يُجاوره والذي من صفاته الرَّخاوة والاستفال والانفتاح، وهي صفات ضعيفة، فأبدلت الذال بصوت يُجانسها¹ ويُشارك القاف في صفتها، وكان الصوت المناسب لذلك هو الطاء، فقالوا (وقِيظ). والملاحظ أن تأثر الصوت اللاحق بالسابق حدث على الرغم من وجود فاصل بينهما وهو الياء، ولذلك نُعت هذا النوع من المماثلة التقدّميّة بالمنفصلة، لوجود فاصل بين الصوت المؤثر والصوت المتأثر.

وقد نقل مرتضى الزبيدي قولاً لمحمد بن المستنير قطرب² (ت206هـ)، ذكر فيه أن بعض العرب يقلبون السين صاداً، إذا تبعها أحد الأصوات الأربعة، وهي الغين والحاء والقاف والطاء، سواء أكان بين السين وهذه الأصوات فاصل أم لا؛ وهذا نصّ كلامه: «إِنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُمْ (بَلْعَبْرٍ) يَقْلِبُونَ السِّينَ صَادًا عِنْدَ أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ: عِنْدَ الطَّاءِ وَالْقَافِ وَالغَيْنِ وَالْحَاءِ إِذَا كُنَّ بَعْدَ السِّينِ وَلَا تُبَالِي أَثَانِيَةً كَانَتْ أَمْ ثَالِثَةً أَمْ رَابِعَةً بَعْدَ أَنْ يَكُنَّ بَعْدَهَا، يَقُولُونَ: سِرَاطٌ وَصِرَاطٌ؛ وَبَسْطَةٌ وَبَصْطَةٌ؛ وَسَيْقَلٌ وَصَيْقَلٌ؛ وَسَرَقَتْ وَصَرَقَتْ؛ وَسَخَّرَ لَكُمْ وَصَخَّرَ لَكُمْ؛ وَالسَّخَبُ وَالصَّخْبُ»². والملاحظ في هذه الأمثلة التي ذكرها قطرب أن أحدها يدخل في مسمّى المماثلة المتصلة، لملاصقة الصوت المؤثر للصوت المتأثر وعد ثبوت فاصل بينهما، وهي كلمة (بَصْطَةٌ) والتي أصلها (بَسْطَةٌ)؛ أمّا باقي الأمثلة فتدخل في باب المماثلة المنفصلة، لثبوت فاصل بين الصوتين المؤثر والمتأثر، حيث كان الفاصل بينهما صوتاً واحداً وهو الصائت القصير في كلٍّ من (صَخَّرَ) و(الصَّخْبُ) والأصل فيهما (سَخَّرَ) و(السَّخَبُ)؛

¹ أي يُشاركها في المخرج ويُخالفها في الصّفة. يُنظر: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني الجزائري، مكتبة الرضوان-البحيرة-مصر، 2005م، ص50.

² تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ص د غ)، ص5679.



وصوتين اثنين وهما الصّائت القصير والياء في (صَيَّقَلٌ) والأصل فيها (سَيَّقَلٌ)؛ وثلاثة أصوات تمثّلت في صائتين قصيرين يتوسّطهما صوت الرّاء في قولهم (صَرَقْتُ) والتي أصلها (سَرَقْتُ)؛ وصائت قصير يليه صوت الرّاء فصائت طويل في كلمة (صِرَاطٌ) بدلاً من (سِرَاطٌ)¹. والملاحظ أنّ قطرب لم يُراعِ في ترتيب الأصوات المؤثّرة الأربعة، مخارجها ولا هجاءها ولا حتّى الترتيب الأبجدي؛ وإنّما رتبها بحسب قوّتها؛ حيث ذكر الطّاء أولاً وهي أقوى الأصوات؛ ثمّ القاف هو من الأصوات القويّة؛ ثمّ الغين من الأصوات المتوسّطة؛ وأخيراً صوت الخاء وهو من الأصوات الضعيفة، إلا أنّ الخاء أقوى من السيّن بصفة الاستعلاء؛ وبذلك أثّرت هذه الأصوات في صوت السيّن الذي سبقها. ومثل ذلك تفخيم السيّن في (مُسَيِّطِرٌ)، حيث أثّرت الطّاء المفخّمة في السيّن المرقّعة²، بالرّغم من وجود فاصل بينهما تمثّل في صوتين وهما الصّائت القصير والياء.

وتبعاً للمعيار الثالث، تُقسّم المماثلة إلى نوعين هما: مماثلة كليّة³، وهي عملية قلب من صوت إلى آخر في حال تطابق الصوتين تمام المطابقة؛ ومماثلة جزئيّة، وهي عملية تقريب من صوت إلى آخر مع وجود بعض الفروق بينهما في حال عدم التطابق بين الصوتين.

¹ الصراط: هو الطريق بلغة الروم؛ وقرئ: (السّراط) بالسين: من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يستترط من يسلكه؛ وقرئ بين الزاي والصاد؛ وقرئ بزاي خالصة؛ والسين هو الأصل. يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص148/1.

² ذلك أنّ من صفات الطّاء الاستعلاء، ومن صفات السيّن الاستفال؛ والمقرّر في علمي الأصوات والتجويد أنّ التفخيم توصف به أصوات الإطباق والاستعلاء، بينما الترفيق يخصّ أصوات الاستفال ماعدا الألف اللّينة واللّام في لفظ الجلالة والرّاء. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص-ص110 و152.

³ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص325.



1 - المماثلة الكليّة: ويُسمّيها آخرون بالمماثلة التامة¹، ونعتها أحمد مختار عمر بالمماثلة الكاملة²، ويُقابل هذا المصطلح في اللّغة الأجنبية (Assimilation complète)² أو (Assimilation totale)³؛ وهي تلك التي الحالة التي يدعو فيها الصّوت القويّ المؤثّر مجاوره إلى الاتحاد معه صفة ومخرجا⁴، وتكون النتيجة ذوبان الصّوت المتأثر في الصّوت المؤثّر ذوباناً كليّاً؛ أو بعبارة أخرى: تطابق الصّوتين المتجاورين؛ ومثال ذلك في اللّغة العربيّة كلمتي (اطرد) و(ادعى)، وأصلهما في الميزان الصّريّ العربيّ على وزن (افتعل): (اطرد) و(ادعى) من (طرد) و(دعا)؛ غير أنّ اللّغة العربيّة تأتي تتابعاً صوتياً من هذا النوع، فتبحث عن تحقيق انسجام وتوافق صوتيين، وبالتالي لجأت إلى المماثلة التقدّميّة، بمقتضى أنّ الصّوت السّابق الذي أغلب صفاته هي صفات قويّة⁵، أثر في الصّوت اللاحق له؛ فمن الصّفات القويّة للطاء: الجهر والشدّة والاستعلاء والإطباق والإصمات والقلقلة، وليست له صفة ضعيفة، وبذلك كان أقوى الأصوات اللّغويّة على الإطلاق⁶؛ ومن الصفات القويّة لصوت الدالّ: الجهر والشدّة والإصمات والقلقلة، وليست له إلاّ صفتان ضعيفتان وهما: الاستفال والانفتاح؛ بينما يتّصف صوت التاء بثلاث صفات ضعيفة وهي: الهمس والاستفال والانفتاح، و صفتين قويّتين فقط وهما: الشدّة والإصمات؛ وبذلك أثرت الطاء في التاء في المثال

¹ يُنظر: لحن العامّة والتطور اللّغويّ: رمضان عبد التّوّاب، ص43. يُنظر أيضاً: "ظواهر التشكيل الصوّتي عند النّحاة واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص188.

² يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص332.

³ يُنظر: Exercices de linguistique: Philippe MONNERET, p21.

⁴ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوّتي عند النّحاة واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص188.

⁵ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذه الرّسالة. و: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص115. و: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص49.

⁶ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص116.



الأول، وفي المثال الثاني أثرت **الدال** في **التاء**، فأبدلت **التاء** بصوت آخر من مخرجها يتناسب مع الصوت المؤثر في صفاته القويّة، واختيرت **الطاء** في البناء الأول، و**الدال** في البناء الثاني، فتولد من ذلك صيغتين جديدتين، تحقّق فيهما الانسجام الصوتي، وهما (أَطْرَد) و(ادّعى)، وتصادف أن تماثلت فاء الافتعال مع تائه، فعمدت العربية إلى المماثلة التامة بين الصوتين، لنحصل في النهاية على انسجام صوتي تام، وتوازن وصفي جميل في صيغتي (أَطْرَد) و(ادّعى)، تيسيراً للنطق واقتصاداً في الجهد العضلي.

2 - المماثلة الجزئية: وينعتها بعض اللسانيين **بالتاقصة**¹؛ ويتحقّق هذا النوع من المماثلة حين لا يتطابق الصوتان المتجاوران بعد تغيير أحدهما، بحيث يتفاعل الصوتان المتنافران في الصفة أو المخرج، ثم يتكيّفان باتجاه التقارب الجزئي²؛ ومثال ذلك (أَبْعَث) و(اضْطَجَعَ)؛ حيث أثرت في الكلمة الأولى الباء الشفويّة على التّون، فانقلبت النون الساكنة - نطقاً لا خطّاً - إلى صوت يُشارِكها في صفة الغنة، ويُشارك الباء في المخرج وهو الميم، مع مراعاة إخفاء الميم في الباء وإظهار الغنة؛ وإخفاء الميم ليس معناه إعدام ذاتها بالكلية، بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشففتان؛ وقد ذكر محمود خليل الحصريّ كلاماً جميلاً في هذا الخصوص، أنقله كاملاً لأهميته، حيث وصف

¹ يُنظر: لحن العامة والتطور اللغوي: رمضان عبد التّواب، ص 42. وكذلك: "ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 188. يُنظر أيضاً: دراسة الصوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص 325.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 188. وكذلك: دراسة الصوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص 325.



وصفاً دقيقاً حالة القلب¹ مع الإخفاء هذه، فقال: « إخفاء الحرف هو تقليل الاعتماد على مخرجه ، وليس ترك الاعتماد عليه ، و القراء يخطئون فيه من وجهين: الأول: إطباق الشفتين إطباقاً كاملاً - أي كزُهما - بحيث يتولد من هذا الإطباق غنة ممطّطة . فهذا خطأ، لأنّه يؤدي إلى إظهار الميم، في حين أن المراد إخفاؤها مع الغنة؛ الثاني: تجافي الشفتين أو فتح الفم عند القلب، وهو يؤدي إلى إخفاء النون الساكنة ، والمراد إخفاء الميم المقلوبة عن النون . ويزعم بعض القراء: أنه لا بد من ترك فرجة بين الشفتين ، حالة أداء القلب والإخفاء الشفوي، لتحقيق الإخفاء في الميم عند الباء، فيقعون في خطأين هما: ذهاب الميم بالكلية، وإبدالها بنطق مبهم؛ و الآخر: مدّ الحرف المبهم بحيث يتولد منه حرف من قبيل حركة الحرف الذي قبل النون الساكنة مثل: (مينٌ بَعْد) و(هومٌ بارزون)؛ والنطق الصحيح: هو بإطباق الشفتين بخفة كما سلف² . والملاحظ في هذا المثال من المماثلة الجزئية أنّها كانت رجعية حيث كان التأثير فيها ينطلق من الصّوت الثاني باتجاه الصّوت الأوّل الذي يُجاوره مجاورة مباشرة. أمّا كلمة (اضطَجَعَ) فالأصل فيها (اضتَجَعَ) على صيغة (افْتَعَلَ) من ضَجَعَ؛ وهي كلمة ثقيلة على اللسان لاجتماع صوتين متباينين في الصّفات وهما الضاد المفخّمة والتاء المرقّقة، فلجأت العربية لإبدال التاء بصوت آخر من مخرجها يكون منسجماً مع الضاد في التّفخيم وهو الطّاء، تحقيقاً للوفاق ودرءاً لثقل النطق؛ يقول المهدي بوروبة: «فارقت (التاء) الترقيق والانفتاح والاستفال تاركةً مكانها

¹ تُعرف هذه الظاهرة في اصطلاح علماء التجويد بظاهرة القلب الذي لا يكون إلا مع الباء، أمّا نعتُ بعض الدّارسين لها بمسّى الإقلاب فهو خطأ لغوي؛ لأنّ (إفعال) لا يأتي إلا من (أفعل) مثل أظهر وأخفى، ولا يُقال: أفلب، فلا يُقال حينئذ: إقلاب. يُنظر:

أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص179.

² أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص180.



لأختها الطاء الموافقة للضاد في التّفخيم والإطباق والاستعلاء»¹. والملاحظ هنا أنّ الصّوت الأوّل هو الذي أثر في الصّوت الثاني، وبالتالي كانت المماثلة تقدّميّة، ثمّ إنّ التغيّر الصوتي الذي حصل لهذين المثالين نحو التماثل لم يكن في الصّفة والمخرج معاً، بل اقتصر على التقارب في الصّفات فقط، ولذلك وُصِفَت المماثلة هنا بالجزئية.

ومن أمثلة المماثلة الجزئية أيضاً، ما ثبت عن بعض القبائل العربيّة في لهجاتها القديمة من إبدالهم الشين جيماً إذا جاورت الدّال، ومن ذلك قولهم (أجْدَق) بدلاً من (أشْدَق)²؛ يقول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ): «ويلحق هذه الحروف التي ذكرناها حروف بعضها يحسن استعماله في الفصيح من الكلام (منها) الشين التي كالجيم نحو قولهم في أشْدَق أجْدَق»³؛ ذلك أنّ الشين قد جاورت الدّال في (أشْدَق)، وهما صوتان متباعدان في المخرج، مختلفان في الصّفات، فمالت هذه اللهجات العربيّة إلى قلب الشين صوتاً من مخرجها يتناسب مع مجاوها (الدّال) في الصّفات، وكان الصّوت الأنسب لذلك هو الجيم، فقالوا (أجْدَق). وقد نقل الدكتور حسين بن زروق كلاماً جميلاً بهذا الخصوص لجان كانتينو (John CANTINEAU) الذي قال: «ويعتبر إبدال الشين جيماً إذا كانت متبوعة بحرف مجهور على سبيل التقريب نطقاً جائزاً، نحو قولهم: (أجْدَق) في (أشْدَق)»⁴. إلا أنّ حسين بن زروق قد جانب الصّواب

¹ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص190.
² (أشْدَق: يُقال: (رجل أشْدَق) أيّ واسع الشّدق، والأُنثى شَدقاء، والشّدق بالتحريك معناه سعة الشّدق؛ والشّدق: جانب الفم، يقول ابن سيده: «الشّدقان والشّدقان طِفْطِفَةُ الفم من باطن الحَدّين». يُنظر: لسان العرب: ابن منظور ، مادة (ش د ق)، ص172/10.

³ سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص29.

⁴ (دروس في علم أصوات العربيّة، جان كانتينو، ص98.



عندما علق على كلام كانتينو، قائلاً: «والصحيح ربما هو (أجدر) و(أشدر) مثل سيويه»¹؛ لأن كانتينو إنما تحدّث عن ظاهرة المماثلة؛ بينما أمثلة سيويه، على العكس من ذلك، فهي تندرج ضمن ظاهرة المخالفة الصوتية التي تلجأ إليها اللغة العربية، والله أعلم.

يتبين لنا ممّا سبق ذكره أنّ المماثلة وفقاً للمعايير السابقة، ثمانية أشكال من التأثير الصوتي تؤديّ كلّها إلى التماثل أو التقارب بين الأصوات، وقد استخدم علماء اللغة المحدثون عدة مصطلحات لأنواع التأثير الناتجة عن ذلك، فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثير (مقبّل)؛ وإن حدث العكس فالتأثير (مدبر)؛ وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثير (كلي)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثير (جزئي)، وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصوتان متصلين تماماً بحيث لا يفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة، وقد يكونان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة؛ وبهذا تكون لدينا ثمانية أنواع للمماثلة، وهي:

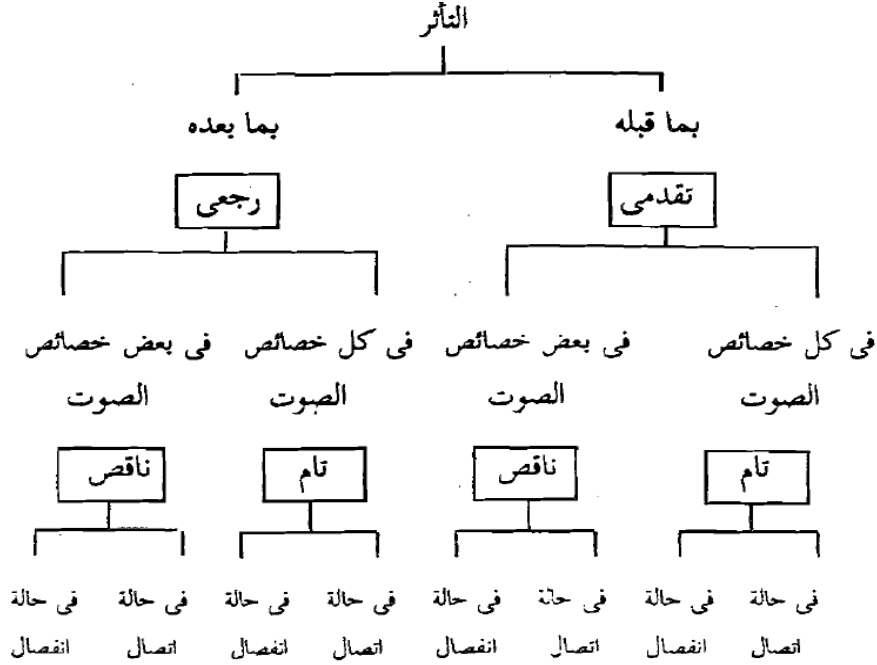
- 1 ملهّلة كلية مقبلة متصلة.
- 2 ممائلة كلية مقبلة منفصلة.
- 3 ممائلة كلية مدبرة متصلة.
- 4 ممائلة كلية مدبرة منفصلة.
- 5 ممائلة جزئية مقبلة متصلة.
- 6 ملهّلة جزئية مقبلة منفصلة.
- 7 ممائلة جزئية مدبرة متصلة.

¹ "العامية الجزائرية وجذورها الفصحى-دراسة مقارنة": حسين بن زروق، ص 141 (الهامش).



8 ماثلة جزئية مدبرة منفصلة.

وقد لخصها الدكتور رمضان عبد التوَّاب في مخطَّط هندسيٍّ جميل، أنقل نسخة منه دون أن أتصرّف فيه:¹



ويبقى المعيار الرابع الذي يُحدِّد طبيعة العلاقة التي تربط الصوت المؤثِّر بقرينه المتأثِّر، من ناحية المخرج أم الكيفية²؛ وبذلك يكون التماثل الصوتي خمسة أنواع، هي:³

1 - تماثل في الجهر والهمس: وذلك إذا كان الصوتان المتلاصقان مختلفين، فَيَتِمُّ التماثل بأن يُقلَّب أحدهما إلى صوت قريب منه يوافقه في الصفة ليصبح الصوتان مجهورين أو مهموسين؛ يقول إبراهيم أنيس: «لا يتجاور في اللغة العربية صوت مجهور مع نظيره المهموس، فالدال لا تكاد تجاور التاء، والزاي لا تجاور السين، والدال لا تجاور التاء وهكذا؛ فإذا اقتضت صيغة من الصيغ أن

¹ يُنظر: لحن العامة والتطور اللغوي: رمضان عبد التوَّاب، ص 43.

² يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص 325.

³ يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 183-188.



يتجاور صوت مجهور مع نظيره المهموس مجاورة مباشرة، وحب أن يقلب أحدهما بحيث يصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين¹؛ ومثال ذلك صيغة (افتعل) من فعل فآؤه صوت مجهور، مثل الدال أو الذال أو الزاي، فإن التاء المهموسة تقلب إلى نظيرتها المجهورة وهي الدال، مثل: (ادَّعى)، (اذْدَكَرَ)، (اذْدَادَ)؛ وقد يلجأ العربي إلى زيادة في التماثل فيقلب الذال دالا في (اذْدَكَرَ) ليصبح البناء (اذْدَكَرَ)، ثم تُدغم الدال في الدال لتصبح (اذْكَرَ)؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾².

وقد يحدث العكس بأن تنقل حالة الجهر في الصوت العربي إلى الهمس، وهذا شائع في المماثلة الرجعية، وأكثر ما تتحقق هذه الحالة في حالة الإسراع في النطق، ومثال ذلك كلمة (أَخَذْتُ) تُنطق (أَخْتُ)، فقد أثرت التاء وهي مهموسة في الذال قبلها وهي مجهورة، فأفقدتها جهرها، وصارت مهموسة مثلها، وتحولت إلى تاء، ثم أدغم الصوتان.

إلا أن هذا النوع من التماثل قد يكون، في بعض الأحيان معيباً؛ وذلك إذا أزاح الكلمة عن معناها الحقيقي أو شوهه، وهو أمر في غاية الأهمية، لأنه يُعتبر من عيوب النطق³، وقد عدّه علماء القراءات لَحْنًا⁴؛ ويتحقق ذلك بخلط بين الصوتين المجهور والمهموس في النطق، كما يحدث مع التقابلات الصوتية الآتية: الدال المجهور والتاء المهموس؛ الذال المجهور والتاء المهموس؛ الزاي المجهور والسين المهموس؛ العين المجهور والحاء المهموس؛ والغين المجهور والحاء المهموس؛

¹ (الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص184.

² (سورة القمر: الآية22.

³ يُنظر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين: أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، ط2، 1993م، ص42.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص34 و147.



وهي كما نلاحظ ثنائيات متطابقة المخارج . ومثال ذلك تحوّل صوت الغين في (يغشى) إلى خاء لتصبح (يخشى)، وذلك بتأثير صوت الشين المهموس؛ ونلاحظ بوضوح ذلك اللبس الذي يمكن أن يحدث ، إن لم نعتمد على سياق الكلام؛ ومثال ذلك أيضاً نطق العين مهموسة في قولنا: (تلميحُ هذا) لتصبح بتأثير المماثلة حاءً (تلميحُ هذا) حيث أثرت الهاء المهموسة في العين المجهورة قبلها، فحوّلتها إلى صوت مهموس من مخرج العين وهو الحاء. وقد نقل أحمد مختار عمر بعض الأخطاء النطقية التي يقع فيه بعض المذيعات والمذيعين بفعل هذا النوع من التماثل الصوتي، فقال: «وقد سمعت أحد المذيعين يقرأ الجملة: (تعتقد أن الوضع في لبنان...)، هكذا: (تعتقد أن...)، فأبدل العين حاء تحت تأثير التاء المهموسة. كما سمعت مذيعةً آخر يقرأ العبارة: (إليكم نشرة الأخبار)، يقرأها هكذا: (إليكم نشرة الأخبار)، حيث جهر الحاء تحت تأثير الباء المجهورة فتولّدت الغين»¹.

وتظهر خطورة الخلط أيضاً بين الصوتين المرقق والمفخم تحت تأثير عامل المماثلة الصوتية، مثلما يحدث مع التقابلات الصوتية الآتية: السين المرققة والصاد المفخمة؛ التاء المرققة والطاء المفخمة؛ الدال المرققة والضاد المفخمة؛ وهي ثنائيات متطابقة المخارج . كما قد يحدث شيءٌ من ذلك مع الكاف المرققة والقاف المفخمة، نظراً لقرب المخرج لا تطابقه؛ ومثال ذلك خطأ شائع يتداوله الكثير من الناس في الوطن العربي، بقولهم (برد قارص)² بدلا من (برد قارس)³،

¹ أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين: أحمد مختار عمر، ص 43.

² القَرَصُ بالأصبعين، وقيل القَرَصُ: التَّجْمِيشُ والعَمْرُ بالأصبع حتى تُؤْلَهُ؛ قَرَصَهُ يَقْرُصُهُ بالضم قَرَصاً، وقَرَصُ البراغيث: لَسْنُهَا؛ ويقال مثلاً قَرَصَهُ بلسانه، والقارِصَةُ: الكلمة المؤذية [...] وشراب قارِصٌ: يَحْذِي اللسانَ، قَرَصَ يَقْرُصُ قَرَصاً، والقارِصُ: الحامِضُ

من ألبان الإبل خاصة. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ر ص)، ص 70/7.

³ القَرَسُ والقَرِيسُ: أبردُ الصَّقِيعِ وأكثره، وأشدُّ البَرْدِ. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ر س)، ص 170/6.



حيث فُحِّمَت السَّيْنُ بتأثير مجاوره المفخم (القاف) فتحوّلت إلى صاد مفخم؛ ومن الأخطاء الشائعة أيضاً: (ساح) و (صاح)؛ (تاب) و (طاب)؛ (تكدير) و (تقدير)؛ وغير ذلك من الأخطاء الشائعة التي ظهرت في لغتنا بسبب الخلط بين صوتي التقابل.

ومثال الأخطاء النطقية المتعلقة بـ«تفخيم» والترقيق ما يتصل بنطق صوتي الراء واللام، اللذين يختصان بأحكام معينة بحسب نوع الحركة المصاحبة لهما ، أو نوع الصوت المجاور ، حيث تفخم الراء بعد السواكن المفخمة وفي جوار الفتحة والألف، مثل (راشِد) و (رَحِيم)؛ وترقق في جوار الكسرة أو ياء المد مثل: (رَجُل)، و (يُرِيد). أما اللام فأصلها الترقيق، ولا تفخم إلا إذا جاورها صوت مفخم، أو كانت اللام نفسها مفتوحة. ويختص لفظ الجلالة (الله) بحكم خاص، إذا لا ترقق لامه إلا إذا سبقتها كسرة¹؛ وقد ذكر أحمد مختار عمر بعض أخطاء المذيعين في ذلك، فقال: «يبدو خطأ المذيع الذي قرأ الحديث النبوي بعد الأذان فقال: (مولى رسول الله)، بتفخيم لفظ الجلالة؛ والمذيع الآخر الذي كان يقدم لصلاة الجمعة فقال: (سائلا الله سبحانه وتعالى)، بتفخيم لفظ الجلالة، مع أنه نطق: (سائلا)، موصولة بلفظ الجلالة، وحرك تنوينها بالكسرة للتخلص من التقاء الساكنين»².

2 - تماثل في الشدة والرخاوة، كما هو الحال في بعض القراءات القرآنية التي تدغم فيها الدال في الدال، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِيسِ وَالْإِنْسِ﴾³، فالدال شديد والدال صوت رخو؛ أو الثاء في التاء كما في

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 152-154.

² أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين: أحمد مختار عمر، ص 42-44.

³ سورة الأعراف: الآية 179.



قوله عز وجل: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ¹ ﴾، حيث التاء صوت شديد والثاء رخو. يقول إبراهيم أنيس: « ويصحُّ هذا التأثير عادة إدغام، كما هو الحال في بعض القراءات، كإدغام الدال في الذال، أو الثاء في التاء»².

3 - انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف أو العكس، كالتون والميم، أو الميم والباء، كما في قوله تعالى: ﴿ يَبْنِي إِرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكٰبِرِيْنَ ﴾³، حيث قُلبت الباء في (ارْكَب) ميما.

4 - انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر، فيستبدل به أقرب الأصوات إليه في المخرج الجديد؛ ومن ذلك انتقال التاء من مخرجها متجهة نحو مخرج الكاف، وهو أقصى الحنك فيتمَّ إبدال التاء كافاً، ومثال ذلك: ما ثبت في لهجات بعض العرب أنهم ينطقون (عَصَيْتَ) بإبدال الدال كافاً فيقولون (عَصَيْكَ)⁴، ويقولون (أَحْسَنُكَ) يريدون (أَحْسَنْتَ)⁵. وقد ذكر رمضان عبد التوَّاب ملاحظة جدَّ مهمَّة عن ظواهر التَّماتل الصَّوتيِّ، وهي أنَّ الصَّوت لا يُمكنُ أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جدًّا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشَّفة أو الأسنان، مثلاً، إلى صوت آخر من أصوات الحلق، أو العكس⁶.

¹ سورة الكهف: الآية 19.

² الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 187.

³ سورة هود: الآية 42.

⁴ يُنظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ-2008م، ص3/1626.

⁵ يُنظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني، ص1/250.

⁶ يُنظر: لحن العامَّة والتطوُّر اللُّغويّ: رمضان عبد التوَّاب، ص45.



5 - الإدغام: وهو فناء أحد الصوتين في الآخر إذا كانا متجانسين¹، أو متقاربين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مَسْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾²، حيثُ فَنِيَ صوت النون في صوت الواو (مِنْ وَالٍ) وأدغما. يقول إبراهيم عبود السّامرائي: «إنّ الإدغام جزء من المماثلة، وإنّ مصطلح المماثلة الذي استخدمه المحدثون يشمل الإدغام والإبدال والإقلاب، فهو أعمّ من مصطلح الإدغام بالمفهوم الذي استقرّ عند القدماء»³.

وقد وضع أحمد مختار عمر معياراً لتحديد ما إذا كان التحوّل الذي يحدث بتأثير التّمائل الصّوتيّ في المخارج أم في الكيفية، وهي في حقيقتها معايير تعتمد على فكر ومنطق رياضيّ، حيث وضع جدولاً من خمسة أعمدة تمثّل خمسة مخارج، وأدرج في كلّ عمود مجموعة من الأصوات المتطابقة في المخارج، وكان الجدول كالآتي:⁴

المخرج 1	المخرج 2	المخرج 3	المخرج 4	المخرج 5
د	ذ	ج	ب	ن
ت	ث	ش	م	ل
س	ظ	ي		ر
ص				

¹ يقصد بالمتجانسين الصّوتان المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة كالتاء والطاء، والسين والصاد، أو المتفقان في الصفة المختلفان في المخرج الجيم مع الدال؛ أمّا التماثلان أو المثليين كما في اصطلاح الصّوتيين المحدثين، فهما الصّوتان المتحدان في المخرج والصفات كالتاءين والراءين. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصريّ، ص 140.

² سورة الرعد: الآية 12.

³ المصطلحات الصّوتية بين القدماء والمحدثين: إبراهيم عبود السّامرائي، ص 256.

⁴ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد مختار عمر، ص 326.



فإذا أدت المماثلة إلى إحضار الصوتين في عمود واحد كانت مماثلة في المخرج، مثل (أُبَعَثَ) و(أُبْرَى) اللتين تنطقان: (أَمْبَعَثَ) و(أَمْبَرَى)، بنقل الصوت (ن) تحت تأثير الباء من عموده الأصلي إلى عمود الباء عن طريق تحويله إلى (م). ومن نفس النوع تحويل لام التعريف إلى (تاء) في مثل (التَّعْلِيمِ)، فهي مماثلة أدت إلى نقل الصوت من عموده إلى عمود الصوت المؤثر. ومثلها باقي الكلمات التي تبدأ بألف لام (ال) الشمسية، نحو: (الثَّوبُ) و(السَّلَامَةُ) و(الشَّجَرَةُ)، وغيرها؛ حيث تتحول اللام إلى صوت مماثل لما بعدها ويدغم الصوتان، وتكون (ال) شمسية إذا وليها أحد الأصوات الآتية: (ذ؛ ث؛ ظ؛ د؛ ت؛ ط؛ ز؛ س؛ ص؛ ض؛ ن؛ ر؛ ش)؛ أما اللام قمرية فتحتفظ بشخصيتها، ولا تتحول إلى صوت آخر، وتكون إذا وليها أحد الأصوات الآتية: (ب؛ م؛ ف؛ ك؛ خ؛ غ؛ ق؛ ع؛ ح؛ هـ؛ همزة؛ ج). وقد نبه أحمد مختار عمر إلى بعض الأخطاء النطقية التي يقع فيها بعض العرب الذين يخلطون بين (ال) الشمسية و(ال) القمرية، فقال: «وقد سمعت أحد المذيعين يقول: (هنا أقالهرة) بنطق (ال) شمسية مع أنها هنا قمرية؛ كما سمعت بعض كبار المتحدثين والمذيعين ينطقون الشمسية قمرية، كما في الجملتين الآتيتين: (لدى الشعب العربي ككل)، و(على خلفية من الوفاء والتقدير)»¹.

أما إذا لم ينتقل الصوت من مخرجه (عموده) فالمماثلة في الكيفية أو في طريقة النطق، كما في (سِراط) المحولة إلى (صِراط)، وكما في (ادْتَحَرَ) المحولة إلى (ادَّخَرَ)؛ يقول أحمد مختار عمر: «وفي كل حالة إذا أدى عامل المماثلة إلى انتقال صوت من فونيمه الذي ينتمي إليه إلى فونيم آخر، كان التغير من النوع

¹ أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين: أحمد مختار عمر، ص 45.



المتطرف، كما إذا انتقل صوت النون إلى الميم تحت تأثير الباء في (انبرى) وهو صوت يكون من مواقع أخرى متميزاً (Distinct) عن النون، كما في (مال) و(نال)؛ وهذا التعديل لا يهتم به اللغويون إذا كان لا يوقع المتكلمين في ورطة دلالية، أما إذا حدثت هذه الورطة فينشأ في اللغة ما يعتبره العلماء حالة وبائية، وهي ظاهرة المشترك اللفظي¹.

وأما إذا أدى عامل المماثلة إلى تعديل في الملامح غير التمييزية، كان من النوع المعتدل أو الخفيف²، وذلك مثل تفخيم الكسرة في (طَب) تحت تأثير الطاء، فهو ينتج صوتاً لا يلتبس بفونيم آخر.

والملاحظ من كلّ ما سبق أنّ القبائل العربيّة التي كانت تميل بكثرة إلى المماثلة الصوّتية في لهجاتها القديمة هم أهل البادية، على خلاف أهل المدن والحضر؛ يقول أحمد علم الدين الجندي: «والذي يظهر من هذا العرض أنّ تميماً وقيساً وأسداً مالت إلى ظاهرة الانسجام، وعلى العكس منها لهجة الحجاز؛ وأرجح أنّ القبائل التي تشبه تميماً في البداوة مالت هي الأخرى إلى ظاهرة الانسجام»²، ولعلّ السبب في ذلك هو ما أثر عن أهل البدو من السّرعَة في الكلام وميلهم إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ المبذول أثناء النطق، وقد كان العلماء يوصون بالتريّث والترسّل وعدم العجلة والسّرعَة في الكلام، وخاصة عند تلاوة القرآن الكريم، مخافة تداخل الأصوات بعضها في بعض، أو تغييرها أو حذفها؛ يقول أبو جعفر النحاس (ت338هـ) عن معني (رتّل) من قوله تعالى:

¹ دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد مختار عمر، ص327.

² اللّهجات العربيّة في التراث (القسم الأوّل: في النظامين الصّوتيّ والصّرفي): أحمد علم الدين الجندي، ص268.

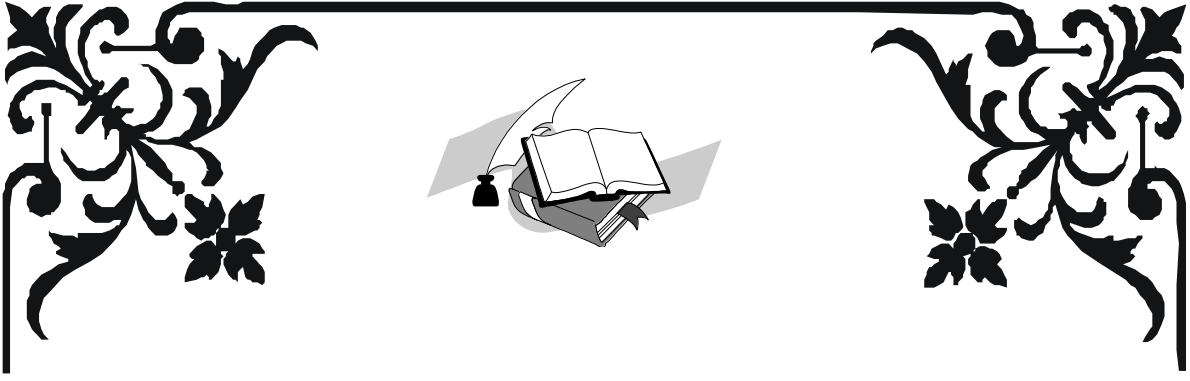


﴿وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا﴾¹: « حقيقته في كلام العرب : تلبّث في قراءته ،
وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فيدخل بعض الحروف في
بعض»².

وقد جاءت القراءات القرآنية موافقة لتلك اللهجات العربيّة الفصيحة ،
وإذا ما تتبّعنا قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق ، وجدناها غنيّة بتلك
الظواهر الصوّنيّة التماثليّة (الراقية) التي أثّرت عن العرب في لهجاتهم القديمة؛
وقد تجلّت هذه الظواهر الصوّنيّة في أحكام التّجويد لهذه القراءة كما سيّضح
من خلال الفصل الموالي بإذن الله تعالى.

¹ سورة المزمل: الآية 03.

² إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب-بيروت-لبنان،
1409هـ- 1988م، ص56/5.



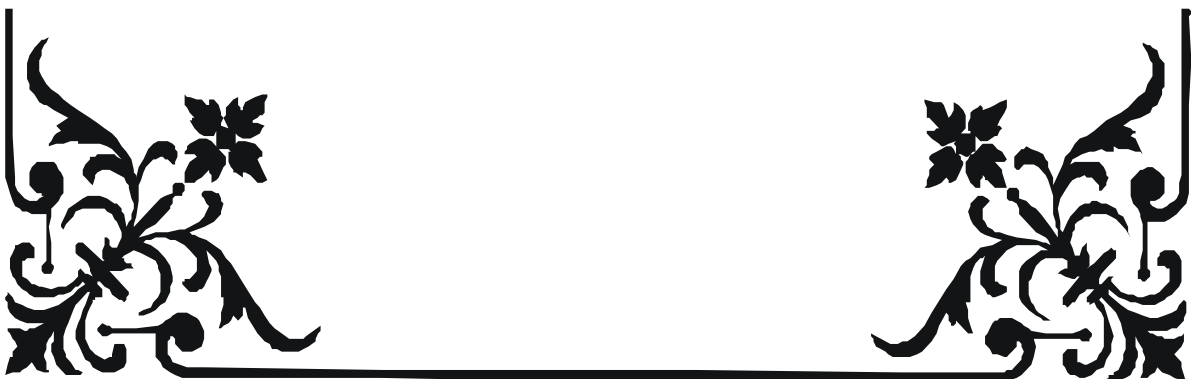
المبایج الأول

الظواهر الصوتية التماثلية

في قراءة نافع

المفصل الثاني

تطبيقات ذلك في قراءة نافع





تتفق قراءة نافع مع باقي القراءات القرآنية في أداء بعض الظواهر الصوتية، وتختلف في أداء بعضها الآخر، شأنها في ذلك شأن اللهجات العربية القديمة؛ إلا أنني لست هنا بمقام تحديد وجوه الاختلاف أو الاتفاق، فهذا لا يتناسب وطبيعة بحثي؛ وسأكتفي بذكر وتتبع ظواهر صوتية معينة تحدث إثر مجاورة الأصوات بعضها ببعض في التركيب، إن في الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورة، وما يطرأ عليها من تغييرات عند أدائها في إحدى روايتي هذه القراءة، وهي رواية ورش، ومن أحد طريقي الرواية، وهي طريق الأزرق؛ حيث يكتسب أحد الأصوات ملامحاً من ملامح الصوت المجاور له، أو يفقد ملامحاً من ملامحه الخاصة، ليتفق مع مجاوره؛ وهي الظواهر الصوتية التماثلية وما يتولد عنها.

ولقد حرص القراء منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلاوة القرآن العظيم كما أنزل، دون زيادة أو نقصان، فأحكموا الأداء وأتقنوا النطق بأصواته وكلماته وبلغوا الغاية في تحسين ألفاظه، وأتوا بها في أفصح منطوق وأعذب تعبير؛ وبذلك بلغوا الكمال من غير تعسف ولا إسراف؛ واستطاعوا، بفضل حرصهم هذا، أن يقدموا لنا باقة عطرة من الأداءات الصوتية المتنوعة، ولعل هذا الاختلاف بذاته من دلائل إعجاز القرآن الكريم.

وإذا ما نظرنا إلى أحكام التجويد، وجدنا أن معظمها يرتبط، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بالظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور؛ فمن تلك الأحكام مثلاً: الإدغام بأنواعه؛ أحكام النون الساكنة والتنوين؛ أحكام الميم الساكنة؛ أحكام اللام الساكنة؛ الإمالة؛ الترقيق والتفخيم؛ أحكام الهمزة؛ أحكام المد؛ هاء الكناية؛ ياءات الإضافة؛ الوقف؛ وغير ذلك؛ وكلها أحكام تتبدل و تتغير بتغيير مواقع الأصوات في التركيب؛



فبالإدغام يدغم صوت في صوت آخر؛ وبالإخفاء يضعف صوت عند صوت آخر، كل ذلك لأسباب صوتية؛ وبالقلب ينقلب صوت إلى صوت آخر في حالات معينة؛ وبالإبدال يبدل صوت من صوت آخر في شروط خاصة. وقد ذكر علماء التجويد والقراءات أن صفات الأصوات، منها الأصلية، ومنها العارضة¹؛ فأما الصفات الأصلية فهي التي تُلازم الصوت باستمرار كالمهمس والجهر والقلقلة والإستعلاء والإطباق... وغيرها. وأما الصفات العارضة للصوت، فهي التي تعرض له أحياناً وتنفك عنه أحياناً أخرى، وأهمها: التفخيم والترقيق، والإظهار، والإدغام، والقلب، والإخفاء، والمد والقصر. وقد درس علماء القراءات كل هذه الظواهر بعناية فائقة محاولين تحديد المعايير التي تمكن القارئ من إتقان النطق بألفاظ القرآن الكريم وهو ما سماه ابن الجزري (حقيقة التجويد)² ولعل أخطر هذه الظواهر ظاهرة الإدغام. وقد حاول أحد الباحثين المقاربة بين الإدغام والإمالة والإبدال، فقال: «وكان الإدغام بهذا شبيه بالإمالة، إذ الإمالة تقرب الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء؛ وشبيه بالإبدال أيضاً، لأن الإبدال لا يحدث إلا إذا وجدت بين الحرفين (البدل والمبدل منه) علاقة صوتية كما في الإدغام»³. وقريب من هذا الكلام ما ذكره إبراهيم المارغني (ت1349هـ) من أن القلب نوع من الإدغام، وأن الإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام⁴؛ ولما كانت أكثر تجليات الظواهر التماثلية في أحكام الإدغام، فضلت أن أبدأ بها.

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص147-232.

² يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص242/1.

³ يُنظر: اللهجات العربية في التراث (القسم الأول: في النظامين الصوتي والصرفي): أحمد علم الدين الجندبي، ص292.

⁴ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع: سيدي إبراهيم المارغني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، 1315هـ-1995م، ص108.



أولاً: الإدغام.

الإدغام في تعريفه اللغوي، هو إدخال شيء في شيء¹.
واصطلاحاً: هو دمج صوت ساكن في آخر مُتَحَرِّك ليصير الثاني مُشَدَّداً؛ يقول ابن الجزري (ت833هـ): «الإدغام هو اللفظ بجرفين حرفاً كالثاني مشدداً»².
ويقع الإدغام في مجالين: المتصل من الكلم والمنفصل منه³؛ ومثاله في الكلم المنفصل (أي المركب من كلمتين)، قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْبَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁴؛ حيث تُقرأ عبارة (مَنْ يَشَاءُ) صوتياً (مَيْشَاء) بتشديد الياء.

ومن الظروف المناسبة للإدغام أن يتقارب الصوتان في المخرج والصفة؛ فعندما يتم تقريب صوت من آخر في الصفة وحدها أو في المخرج وحده تكون المماثلة جزئية، وعندما يتم التقريب بين الصوتين في الصفة والمخرج معا تكون المماثلة تامة أي كلية.

ويكثر الإدغام في حروف الفم (التي مخارجها من الغار إلى اللهاة)؛ ولا يتم بين حروف اللسان وبين حروف الحلق، لتباعد المخارج بين المجموعتين⁵؛ ولا يدغم العرب بين الألف والهمزة والواو والياء، بل يظهرونها. وقد قسم العلماء الأصوات من حيث الإدغام إلى أربعة أقسام، هي:⁶

¹ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (د غ م)، ص202/12.

² التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص215/1.

³ يُنظر: إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدمياطي، ص47.

⁴ سورة البقرة: الآية 104.

⁵ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص249/1.

⁶ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص123 (الهامش).



- ما لا يُدغم في غيره مطلقاً ، وهي ستّة: الهمزة؛ الألف؛ الحاء المعجمة؛
الطاء؛ الصاد المهملة؛ والزاي.
- ما لا يُدغمُ إلاّ في مثله، وهي ستّة: الهاء؛ العين؛ الغين؛ الياء؛ الفاء؛ والواو.
- ما لا يُدغمُ إلاّ في مجانسه أو مقاربه ، وهي ستّة: الجيم؛ الشين؛ الضاد؛
الطاء؛ الدال؛ والذال.
- ما يُدغم في مثله ومجانسه ومقاربه ، وهي إحدى عشرة: الحاء المهملة؛
القاف؛ الكاف؛ اللام؛ النون؛ الراء؛ الباء؛ التاء؛ الثاء؛ السين؛ والميم.
- ويتحقّق الإدغام بأحد الأسباب الثلاثة¹، وهي:
- التّمائل: وهو اتحاد الحرفين رسماً ومخرجاً وصفة².
- التجانس: وهو اتفاق الحرفين مخرجاً واختلافهما صفة، أو العكس³.
- التقارب: وهو تقارب الحرفين مخرجاً أو صفة أو معاً⁴.
- ووفق هذا المعيار، يكون الإدغام ثلاثة أنواع، هي:
- 1 - إدغام التماثلين: وهو إدغام صوتين متماثلين، الأول منهما ساكن والثاني متحرك⁵؛ نحو: (اذْهَبْ بِكِتَابِي) من قوله تعالى: ﴿إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفِيهِمْ﴾⁶؛ و(يَدْرِكُكُمْ) من قوله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ﴾⁷؛ و(قَدْ دَخَلُوا) من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ فَأَلَوْا﴾

¹ يُنظر: التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص317/1.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص124.

³ يُنظر: نفسه، ص128.

⁴ يُنظر: نفسه، ص134-136.

⁵ يُنظر: كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص125.

⁶ سورة النمل: الآية 28.

⁷ سورة النساء: الآية 77.



ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ¹؛ وكذلك (يُكْرَهُنَّ) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَبُورٌ رَحِيمٌ﴾².

2 - إدغام المتجانسين: وهو إدغام حرفين متجانسين الأول منهما ساكن، والثاني متحرك، وذلك في المواضع الآتية:

- تُدغمُ التاء في الدال، والطاء، نحو: (أَثْقَلْتُ دَعَا) من قوله تعالى: ﴿قَلَمًا أَثْقَلْتُ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ - آتَيْنَا صَلِيحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾³؛ و(هَمَّتْ طَائِفَتَانِ) من قوله سبحانه: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنَكُمُ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁴؛ أما أمّا عند بقيّة الأصوات فيكون الإظهار عند ورش.

- تُدغمُ الدال في التاء، نحو: (لَقَدْ تَقَطَّعَ) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾⁵؛ ويكون الإظهار عند بقيّة الأصوات؛ والملاحظ هنا أنّ الدالّ والتاء يشتركان في المخرج وكلّ الصفات الصوتية الأساسية عدا صفتي الجهر في الدالّ والهمس في التاء⁶.

- تُدغمُ الذال في الظاء، نحو: (إِذْ ظَلَمْتُمْ) من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْبَغَ لَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾⁷؛ وتظهر الذال عند بقيّة الأصوات.

¹ سورة المائدة: الآية 63.

² سورة النور: الآية 33.

³ سورة الأعراف: الآية 189.

⁴ سورة آل عمران: الآية 122.

⁵ سورة الأنعام: الآية 95.

⁶ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

⁷ سورة الزخرف: الآية 38.



- تُدغم الطاء في التاء (مع بقاء صفتي الإطباق والاستعلاء¹ على التاء) نحو: (بَسَطْتَ) من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَفْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَفْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾²؛ و(أَحَطْتُ) من قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾³؛ وتُظهر الطاء عند بقية الأصوات.

3 - إدغام المتقاربين : وهو إدغام حرفين متقاربين ، الأول منهما ساكن، والثاني متحرك؛ ولقد نقل عن ورش الإدغام في الأصوات الآتية:

- تُدغمُ التاء في الظاء، نحو (كانت ظالمة)، ويكون إظهار التاء عند بقية الأصوات؛ والتاء هنا هي تاء التانيث حيث تُدغمُ في الظاء، وذلك في ثلاثة مواضع هي: قوله الله تعالى: ﴿وَكَمْ فَصَمْنَا مِنْ فَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا - آخِرِينَ﴾⁴؛ وقوله تعالى: ﴿وَأَنعَمُ حَرَمْتُ ظُهُورَهَا﴾⁵؛ وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾⁶.

- يُقرأ لورش بإدغام دال (قد) في الضاد والطاء، نحو: (فقد ضل)؛ (لقد ضربنا)؛ (لقد ظلمك) من قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾⁷؛ وقوله عز

¹ أي أن تدغم الطاء في التاء وتبقى بعض صفات الطاء (وهي الاستعلاء والإطباق) على التاء.

² سورة المائدة: الآية 30.

³ سورة التمل: الآية 22.

⁴ سورة الأنبياء: الآية 11.

⁵ سورة الأنعام: الآية 139.

⁶ سورة الأنعام: الآية 147.

⁷ سورة النساء: الآية 136.



وجلّ: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾²؛ ويُظهر عند بقية الأصوات.

- تُدغم الذال في التاء في لفظ (الأخذ) و(الاتخاذ) وما اشتق منها حصراً، أما نحو (عُدْتُ) (إِذْ تَبَرَّأً)، ونحو ذلك فليس فيها إلا الإظهار³؛ ومن الكلمات التي فيها إدغام الذال في التاء عند ورش (أَخَذْتُ، وَأَخَذْتُمْ، وَاتَّخَذْتُمْ...) حيثما وردت، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁴؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾⁵؛ ظَلِمُونَ⁵؛ ويُظهر الذال عند البقية.

- تُدغم اللام في الراء فقط⁶، نحو: (بَلْ رَفَعَهُ) من قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾⁷؛ و(بَلْ رَانَ) من قوله جلّ جلاله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁸؛ ويُظهر فيما عدا ذلك.

- تُدغم القاف في الكاف: نحو (نَخْلُكُمْ) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾⁹؛ ولورش فيها وجهان كسائر القراء¹⁰: إدغام كامل، حيث تُنطق: (نَخْلُكُمْ)؛ وإدغام ناقص بسبب بقاء صفة الاستعلاء على الكاف.

¹ سورة الروم: الآية 57.

² سورة الطلاق: الآية 01.

³ يُنظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص 114.

⁴ سورة فاطر: الآية 26.

⁵ سورة البقرة: الآية 91.

⁶ يُنظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص 114-115.

⁷ سورة النساء: الآية 158.

⁸ سورة المطففين: الآية 14.

⁹ سورة المرسلات: الآية 20.

¹⁰ يُنظر: إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدمياطي، ص 46.



والأصوات التي لا تدغم في مقاربتها ولكن يدغم فيها مقاربتها هي: الميم والفاء والراء والشين؛ والأصوات المتقاربة التي يدغم بعضها في بعض هي: (هـ-ح)؛ (هـ-ع)؛ (ع-ح)؛ (ع-خ)؛ (ق-ك)؛ (ج-ش)؛ (ل-ر)؛ ولا تجتمع هذه الأصوات في كلمات عربية فصيحة بهذا الترتيب إلاّ أدغم أحد الصّوتين في الآخر؛ وإذا وُجِدَت غير مُدغمة فإنّها لا تكون بالترتيب أعلاه، ومثال ذلك كلمة (شجرة)، فإنّه حوت على صوتي الشين والجيم إلاّ أنّها لم تحافظ على الترتيب السابق، حيث سبقت الشين الجيم (ش-ج)؛ ولذلك عدّ أكثر علماء اللغة الكلمة التي تجقع فيها هذه الأصوات بالترتيب أعلاه، بلّها ليست عربية وإنما هي دخيلة¹.

وللإدغام تقسيمات أخرى؛ فمن حيث الأعمال التي تجري فيه، ينقسم الإدغام إلى قسمين: الإدغام الصغير والإدغام الكبير:

1 - الإدغام الصغير: هو إدغام ساكن في متحرك ليصير الثاني مُشَدِّداً²، وسُمِّيَ صغيراً لقلّة العمل فيه؛ ومن أمثلته في قوله تعالى: ﴿بِمَا رَبِحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾³؛ حيث تُدْمَجُ التاء الساكنة في التاء الأخرى المتحركة، فتُقرأ: (رَبِحَتْ جَارْتُهُمْ)؛ ومثاله أيضاً: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁴؛ حيث تُبَدَلُ الدال تاءاً، وتُدْمَجُ في التاء، فتُقرأ: (قَتَبَيْن)؛ ومثاله أيضاً: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾⁵؛ حيث تُبَدَلُ القاف كافاً، وتُدْمَجُ في الكاف (نَخْلُقْكُمْ).

¹ يُنظر: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث: عبد الله بوخلخال، ص71.

² يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص216/1.

³ سورة البقرة: الآية 15.

⁴ سورة البقرة: الآية 255.

⁵ سورة المرسلات: الآية 20.



2 - الإدغام الكبير : وهو إدغام مُتَحَرِّكٍ في مُتَحَرِّكٍ ليصير الثاني مُشَدَّدًا ،
وسُمِّيَ كبيراً لأن الأعمال فيه كثيرة ؛ يقول ابن الجزريّ : «الكبير: ما كان
الأول من الحرفين فيه متحركاً؛ سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين؛ وسمي
كبيراً لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل لتأثيره في إسكان
المتحرك قبل إدغامه ، وقيل لما فيه من الصعوبة ، وقيل لشموله نوعي المثلين
والجنسين والمتقاربين»¹؛ ولا وجود له في قراءة ورش من طريق الأزرق إلا في
بعض الألفاظ، نحو:

- (فنعماً) من قوله تعالى: ﴿إِن تُبَدُّوْا الصَّدَفَتِ فَبِعِمَّا هِيَ﴾²؛ أصلها (فنعَمَ ما).

- (أتحاجوني) من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَالْأَتْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَفَدَّ هَبْدِي﴾³؛
أصلها (أتحاجِجُونِي).

- (تامناً) من قوله سبحانه: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾⁴؛ أصلها (تامننا).

- (ما مكّني) من قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾⁵؛ أصلها
(ما مكّني).

فالملاحظ أنّ الأصل في الكلمتين هو: (لنمنا) و(مكّني)، حيث تتابعت نونان
متحرّكتان، فعم تسكين النون الأولى ، ثم دمجت في النون الثانية فصارت نوناً
مشددة؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك نوناً مُشَدَّدَةً واحدة في القرآن كلّ

¹ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ص1/215).

² سورة البقرة: الآية 270.

³ سورة الأنعام: الآية 81.

⁴ سورة يوسف: الآية 11.

⁵ سورة الكهف: الآية 91.



يجب فيها مع الغنة إما الإشمام أو الرّوم، وذلك في كلمة: (لَفَنَّا)؛ والإشمام هنا أولى، كما سيأتي ذكره إن شاء الله.

أمّا من حيث اكتمال الشدة ونقصانها، فلإدغام قسمان: كامل وناقص:

1 - الإدغام الكامل: وهو أن يذوب المدغم في المدغم فيه ذاتاً وصفةً ، فلا

يبقى شيء من لفظه ولا من صفته، ويصبح الحرف الثاني مُشَدِّدًا تشديداً كاملاً؛ ومثال ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾¹، تُقرأ: (أَثَرِ سُجُودٍ)؛ وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾²، تُقرأ: (مَرَّبَهُ)؛ ويُطبّق الإدغام إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد حروف الإدغام ، وذلك بدمج النون الساكنة أو

التنوين فيه ليصير ا حرفاً واحداً مُشَدِّدًا هو (حرف الإدغام)؛ ومثال ذلك: (مَنْ يَعْمَلْ) و(شَرًّا يَرَهُ) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾³ تُقرأ: (مَيِّعْمَلْ) و(شَرِّيْرَهُ)؛ وكذلك (مِنْ لَدُنَّا) في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا لَاتِيَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁴ تُقرأ: (مِلْدُنَّا)؛ وفي قوله تعالى: ﴿قِيَمًا لُّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵، تُقرأ: (مِلْدُنْهُ)؛ وهكذا.

2 - الإدغام الناقص: وهو ذوبان المدغم في المدغم فيه ذاتاً لا صفةً، فلا يبقى

شيء من لفظ المدغم، ولكن تبقى صفته، ويصبح الحرف الثاني مُشَدِّدًا تشديداً ناقصاً؛ ومثال من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾⁶،

¹ سورة الفتح: الآية 29.

² سورة البقرة: الآية 37.

³ سورة الزلزلة: الآية 08.

⁴ سورة النساء: الآية 67.

⁵ سورة الكهف: الآية 02.

⁶ سورة البقرة: الآية 107.



تُقرأ: (مَوْلِيَّ)، وهنا بقيت صفة الحرف المُدْغَم (النون) وهي: (الغنة)؛ وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾¹، تُقرأ: (أَحْتُ) وهنا بقيت صفة الحرف المُدْغَم (الطاء) وهم: الإِستعلاء والإِطباق؛ وفي قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾²، تُقرأ: (نَخْلُكُمْ) وهنا بقيت صفة الحرف المُدْغَم (القاف) وهي: الإِستعلاء؛ ولورش في كلمة (نَخْلُكُمْ) وجهان³، كسائر القراء: إدغام كامل وإدغام ناقص.

ولا يُدْغَم ورش الباء في الميم في (يُعَذِّبُ مَنْ) من قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴؛ ولا في (ارْكَبْ مَعَنَا) من قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾⁵.

ولا يُدْغَم كذلك الثاء في الذال في (يَلْهَثُ ذَلِكَ) من قول الله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁶.

ويُقسَم الإِدْغَام من حيث موقع الصَّوت المؤثِّر من الصَّوت المتأثِّر، قسمان: تقدِّميٌّ ورجعيٌّ⁷؛ فهو إذاً ظاهرة موقعية تعني إدخال حرف في حرف أو فناءه فيه بموجب قيد الانسجام الصوتي.

¹ سورة التمل: الآية 22.

² سورة المرسلات: الآية 20.

³ يُنظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: الدمياطي شهاب الدين، ص 46.

⁴ سورة البقرة: الآية 284.

⁵ سورة هود: الآية 42.

⁶ سورة الأعراف: الآية 176.

⁷ يُنظر: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث: عبد الله بوخلخال، ص 16.



1 - الإدغام الوجدعي: حيث يؤثر الصوت الثاني في الصوت الأول الساكن؛ أي أن الصوت الثاني يمنح الصوت الأول كل خصائصها، ليصبح الصوت الأول مماثلاً للصوت الثاني، ثم يُدغمان ليصيراً صوتاً واحداً (الصوت الثاني) مشدداً، وهذا هو الأصل في الإدغام؛ وهو في الغالب؛ ومثاله (إِذْ ظَلَمْتُمْ) من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾¹؛ حيث تأثرت الدال بصوت الظاء، فاكتسبت كل خصائصها وأصبحت، في النطق، ظاءً، ليتحقق الإدغام بعد ذلك، فيصيران ظاءً مشددة. ومن الإدغام الرجعي (يَذَكِّرُ) من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾²، حيث اجتمعت الدال المجهورة مسبوقة بالتاء المهموسة في صيغة المضارع لكلمة (يَتَفَعَّلُ)، فتأثرت (التاء) بالدال بعدها، فقلبت ذالاً³؛ والحال نفسه في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي. أَوْ يَذَكِّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾⁴؛ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁶؛ تأثرت التاء في صيغتي (تفاعل) و(تفعل) بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل لما كان صوتاً من أصوات الصغير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل

¹ سورة الزخرف: الآية 39.

² سورة البقرة: الآية 269.

³ يُنظر: التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص 33.

⁴ سورة عبس: الآيتان 03 و 04.

⁵ سورة البقرة: الآية 72.

⁶ سورة التوبة: الآية 38.



الماضي، وهو تأثر مدبر كلي في حالة الاتصال¹، وقد كان التحول في هذه الكلمات كالاتي:

- يَنْزَكِي - يَنْزَكِي - يَنْزَكِي - يَنْزَكِي (في الماضي)؛
- يَتَذَكَّر - يَتَذَكَّر - يَتَذَكَّر - يَتَذَكَّر (في الماضي)؛
- يَتَدَارَأ - يَتَدَارَأ - يَتَدَارَأ - يَتَدَارَأ (في الماضي)؛
- يَتَنَاقِل - يَتَنَاقِل - يَتَنَاقِل - يَتَنَاقِل (في الماضي).

وقد لا يقع الإدغام، على الرغم من المسار التماثلي الرجعي، حيث يكفي تقريب الصوت الأول من الثاني، أي إبدال الصوت الأول صوتاً يقارب الثاني في بعض صفاته، ومن ذلك (الصَّرَاطُ) من قول الله عز وجل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾²؛ ففي بعض القراءات القرآنية تُقلب الصاد قبل الراء زايا لتُناسب الراء في الجهر، فتُقرأ (الزَّرَاطُ)³، وهو تأثر مدبر جزئي في حالة الانفصال؛ إلا أن ورشاً لا يميل إلى التماثل هنا ويتركها صاداً ولا يقلبها.

2 - الإدغام التقديمي: وهو أن يؤثر الصوت الأول في الثاني، فيتخذ التأثير مساره باتجاه النطق، لعل صوتية يمتنع معها إدغام الأول في الثاني، ويكثر هذا الإدغام في صيغة (افتعل) ومشتقاتها مع أصوات الإطباق والصغير خاصة⁴؛ ومثاله في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾⁵؛ حيث حدثت المماثلة التقديمية في كلمة (ادَّكَرَ)، وتقع هذه المماثلة في العربية بصورة قياسية في صيغة (افتعل - افتعالاً)؛ حيث يؤثر

¹ يُنظر: التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص 39.

² سورة الفاتحة: الآية 06.

³ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص 148/1.

⁴ يُنظر: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث: عبد الله بوخلخال، ص 16-17.

⁵ سورة يوسف: الآية 45.



الصامت الأول في الثاني ؛ والفعل من هذه الكلمة هو (ذَكَرَ)، وصيغة (افتعل) -
افتعالاً) منه هي (اذتَكَرَ- اذتَكَرًا)، ولما كانت الذال مجهورة متبوعة بلتاء
مهموسة، تأثرت التاء بجهر الذال فعادت مجهورة، والتاء إذا جهر بها عادت
دالاً، فأصبح البناء: (اذذَكَرَ)، ثم أثرت الدال في الذال بشدتها، فتحول الذال
من صامت رخو إلى صامت شديد (وهو الدال)، ثم أُدغم الدالان، فصارت
الكلمة (اذذَكَرَ).

وفي قول الله تعالى: ﴿لَوْ اَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَّمْتُمْ مِنْهُمْ
رُعْبًا﴾¹، إدغام في كلمة (اطَّلَعَتْ)، أدى إلى سقوط الصامت الثاني وهو التاء
من (اطَّلَعَتْ) على وزن (افتعل)، وحل مكانه صوت الطاء، ليدغم الطاءان بعد
ذلك؛ وهذا تأثير مقبل كلي في حالة الاتصال²، حيث أن الصامت الأول غير
منفصل عن الصامت الثاني بحركة بينهما، كما أن التأثير يتجه من الصامت
الأول (الطاء) نحو الثاني (التاء)، أي أن الصامت الأول هو المؤثر والثاني هو
المتأثر، ثم إن الصوتان متجانسين؛ ونلاحظ في هذه الآية، أن كلمة (اطَّلَعَتْ)،
إنما هو تأثير تاء الافتعال بالطاء قبلها، فقلبت طاءً، حيث اجتمعت الطاء
المفخمة مع نظيرتها التاء المرققة، فقلبت التاء طاءً.

وقد لا يقع الإدغام، على الرغم من المسار التماثلي التقدمي، حيث يكفي
تقريب الصوت الثاني من الأول، أي إبدال الثاني صوتاً يُقارب الأول في بعض
صفاته، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا
وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾³، حيث تأثرت تاء الافتعال بالزاي قبلها في كلمة

¹ سورة الكهف: الآية 18.

² يُنظر: التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص 33.

³ سورة القمر: الآية 09.



(ازْدَجِرَ) والتي أصلها (ازْثَجِرَ)¹، فقلبت دالا، ذلك لاجتماع الزاي المجهورة تليها التاء المهموسة، فقلبت التاء إلى نظيرها المجهور وهو صوت الدال؛ وهو تأثر مقبل جزئي في حالة الاتصال.

ثانياً: أحكام النون الساكنة والتنوين.

من الإدغام ما يختصّ بصوت النون، وهو ما يندرج ضمن ما أسماه علماء التجويد والقراءات بأحكام النون الساكنة والتنوين؛ والنون الساكنة هي النون التي لا حركة لها، وهي الثابتة في اللفظ والرسم، والوصل والوقف²، نحو (أَنْعَمْتَ) من قوله عزّ وجلّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾³؛ والتنوين هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم، تثبت في اللفظ لا في الرسم، وفي الوصل لا في الوقف³، مثل: (هُدًى) من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴. يقول ابن الجزري: «والنون الساكنة تكون في آخر الكلمة وفي وسطها كسائر الحروف السواكن؛ وتكون في الاسم والفعل والحرف. وأما التنوين فلا يكون إلا في آخر الاسم، بشرط أن يكون منصرفاً موصولاً لفظاً غير مضاف، عريا عن الألف واللام؛ وثبوته مع هذه الشروط إنما يكون في اللفظ لا في الخط، إلا في قوله تعالى (وَكَايِّنَ) حيث وقع فإنهم كتبوه بالنون»⁵؛ وللنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام، هي: الإظهار؛ الإدغام؛ القلب؛ والإخفاء.

¹ يُنظر: التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص35.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص167.

³ سورة الفاتحة: الآية07.

⁴ سورة البقرة: الآية02.

⁵ (التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص18/2).



ويتحقق إدغام التّون السّاكنة بإدخالها في الصّوت المتحرّك الموالي لها فيصيران صوتاً واحداً مشدّداً من جنس الثّاني، وبذلك يكون هذا الإدغام من نوع الإدغام الصّغير الرّجعيّ؛ وحروفها ستة هي: (الياء، الراء، الميم، اللام، الواو، والنون)؛ يقول ابن الجزريّ: «وأما الحكم الثّاني (وهو الإدغام) فإنه يأتي عند ستة أحرف أيضاً وهي حروف (يرملون) منها حرفان بلا غنة وهما اللام والراء»¹؛ ومن شروط هذا الإدغام أن يكون من كلمتين²، أمّا إذا وقع حرف الإدغام بعد التّون السّاكنة في كلمة واحدة تعذر الإدغام، وتُسمّى هذه الظاهرة إظهاراً شاذاً، وقد وقعت كذلك في أربع كلمات، هي: (دُنْيَا؛ صِنْوَان؛ قِنْوَان؛ وَبُنْيَان)، وذلك في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾³، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾⁴، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾⁶.

وينقسم هذا الإدغام إلى قسمين، هما:

¹ التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 19/2.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصريّ، ص 173.

³ سورة البقرة: الآية 86.

⁴ سورة الرّعد: الآية 04.

⁵ سورة الأنعام: الآية 99.

⁶ سورة الصف: الآية 04.



1 - إدغام بغنة: وهو بذلك إدغام ناقص، لأن الإدغام لم يتم، فقد بقي من الصوت الأول صفة الغنة، وبذلك جاء الإدغام ناقصاً عن كمال التشديد¹؛ والغنة هي صوت رخيم لذيذ مركب في جسم الميم والنون المشددتين، مخرجها الخيشوم، ومقدارها حركتان²؛ وحروف هذا الإدغام أربعة مجموعة في كلمة (ينمو)؛ ومثال ذلك: (مَنْ يَقُولُ) و(يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ) في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾³، وقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾⁴؛ و(لِنُنذِرَ) و(مِنْ نَذِيرٍ) و(يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) من قول عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾⁵، وقوله سبحانه: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾⁶؛ و(مِنْ مَاءٍ) و(صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) من قول عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾⁷، وقوله تعالى: ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾⁸؛ و(مِنْ وَلِيٍّ) و(رَحِيمٍ وَدُودٍ) من قول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾⁹، وقوله سبحانه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾¹⁰.

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص175.

² يُنظر: نفسه، ص110-111.

³ سورة البقرة: الآية 08.

⁴ سورة الزلزلة: الآية 06.

⁵ سورة السجدة: الآية 03.

⁶ سورة العاشية: الآية 08.

⁷ سورة التور: الآية 45.

⁸ سورة النساء: الآية 68.

⁹ سورة البقرة: الآية 107.

¹⁰ سورة هود: الآية 90.



وتجدر الإشارة هنا إلى (مِمّا) من قول الله عزّ وجلّ : ﴿ مِمّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً ﴾¹؛ حيث تحقّق تماثل مدبر كلي في حالة الاتّصال، بتأثر النون في (من) بالميم التي تليها فقلبت ميماً².

2 - إدغام بغير غنة : وهو بذلك إدغام تامّ أو كامل ، لامتراج النون في الصّوت الذي يليها، وذهابها ذاتاً وصفة³؛ وحروفه اثنان (الراء واللام)؛ ومثال ذلك: (مِنْ رَبِّهِمْ) و(رَوْفٌ رَحِيمٌ) في قول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁴، وقوله سبحانه: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁵؛ و(لَئِنْ لَمْ) و(هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) من قول الله تعالى : ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾⁶، وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾⁷.

ويقرأ لورش بإدغام النون في الواو من لفظ (يس والقراءان) في قوله عزّ وجلّ: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾⁸؛ وله الإدغام والإظهار في (ن والقلم) من قوله الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾⁹، والإظهار عنده هو المقدم أداء.

ومن أحكام النون الساكنة والتنوين القلب؛ ومعناه اللغوي: تحويل الشيء عن وجهه¹. واصطلاحاً: هو جعل حرف مكان حرف، بقلب النون

¹ (سورة نوح: الآية 25).

² يُنظر: التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص 40.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 172-173.

⁴ (سورة البقرة: الآية 05).

⁵ (سورة التحل: الآية 07).

⁶ (سورة الأحزاب: الآية 60).

⁷ (سورة البقرة: الآية 02).

⁸ (سورة يس: الآيتان 01 و 02).

⁹ (سورة القلم: الآية 01).



الساكنة أو التنوين ميمًا ساكنة عندما تقع بعدها الباء مع مراعاة الغنة²، أي قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخففة بغنة عند الباء؛ وبعبارة أخرى هو تحويل النون الساكنة أو التنوين أو نون التوكيد الخفيفة إلى ميم ساكنة لفظًا لا خطأً، إذا جاءت بعدها باء (سواء اجتمعت في كلمة واحدة أو في كلمتين)، مع مراعاة إخفائها عند الباء مع غنة قدرها حركتان و عدم التشديد³، ويتحقق ذلك بجعل فتحة خفيفة بين الشفتين؛ وهذا تماثل في المخارج، فصفات النون والميم متماثلة ومخرجاها متباعدان، بينما مخرج الميم والباء واحد⁴؛ وللقلب في أحكام التجويد حرف واحد هو: (الباء)؛ ومثاله في القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾⁵؛ حيث تأثرت النون الساكنة بالباء التالية لها في كلمة (أَنْبَعَثَ)، فقلبت إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم⁶، فقرأت (أَمْبَعَثَ)؛ وهو تأثر مدبر جزئي في حالة اتصال. ومثاله أيضاً (ذَنْب) من قول الله عز وجل: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾⁷؛ و (مِنْ بَعْد) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁸؛ و (أَنْبِئُونِي) من قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁹؛ (أَنْ

¹ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ل ب)، ص1/685.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص179.

³ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص2/30.

⁴ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

⁵ سورة الشمس: الآية12.

⁶ يُنظر: التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص47.

⁷ سورة يوسف: الآية02.

⁸ سورة البقرة: الآية27.

⁹ سورة البقرة: الآية31.



بُورِكَ) تُقْرَأُ (أَمْبُورِكَ) فِي مِثْلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹؛ وَكَذَلِكَ (أَنْبِئُهُمْ) تُقْرَأُ (أَمْبِئُهُمْ) فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾².

وَمِنْ أَحْكَامِهَا أَيْضاً الْإِخْفَاءُ؛ وَيَعْنِي فِي اللَّغَةِ: السُّتْرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ (أَخْفَيْتُ الشَّيْءَ) أَي سَتَرْتُهُ عَنِ الْأَعْيُنِ³، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: هُوَ النَّطْقُ بِالنُّونِ السَّاكِنَةِ أَوْ التَّنْوِينِ عَلَى صِفَةِ بَيْنِ الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ، عَارِياً عَنِ التَّشْدِيدِ مَعَ بَقَاءِ الْغِنَّةِ فِي الْحَرْفِ الْأَوَّلِ؛ أَوْ هُوَ وَضْعُ غِنَّةٍ مَكَانَ النُّونِ السَّاكِنَةِ، وَالنَّطْقُ بِالْحَرْفِ بَعْدَهَا كَمَا هُوَ؛ يَقُولُ ابْنُ الْجَزْرِيِّ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِخْفَاءَ عِنْدَ أُمَّتِنَا هُوَ حَالٌ بَيْنَ الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ؛ قَالَ الدَّانِي: وَذَلِكَ أَنَّ النُّونَ وَالتَّنْوِينَ لَمْ يَقْرَبَا مِنْ هَذِهِ

الْحُرُوفِ كَقَرْبِهِمَا مِنْ حُرُوفِ الْإِدْغَامِ فَيَجِبُ إِدْغَامُهُمَا فِيهِنَّ مِنْ أَجْلِ الْقُرْبِ، وَلَمْ يَبْعَدَا مِنْهُنَّ كَبَعْدَهُمَا مِنْ حُرُوفِ الْإِظْهَارِ فَيَجِبُ إِظْهَارُهُمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ أَجْلِ الْبَعْدِ، فَلَمَّا عُدِمَ الْقُرْبُ الْمَوْجِبُ لِلْإِدْغَامِ وَالْبَعْدُ الْمَوْجِبُ لِلْإِظْهَارِ أَخْفِيَ عِنْدَهُنَّ فَصَارَا لَا مَدْغَمِينَ وَلَا مَظْهَرِينَ، إِلَّا أَنَّ إِخْفَاءَهُمَا عَلَى قَدَرِ قَرْبِهِمَا مِنْهُنَّ وَبَعْدَهُمَا عَنْهُنَّ، فَمَا قَرَبَا مِنْهُ كَانَا عِنْدَهُ أَخْفَى مِمَّا بَعَدَا عِنْدَهُ؛ قَالَ: وَالْفَرْقُ عِنْدَ الْقِرَاءِ

وَالنَّحْوِيِّينَ بَيْنَ الْمَخْفَى وَالْمَدْغَمِ أَنَّ الْمَخْفَى مَخْفَفٌ وَالْمَدْغَمُ مَشْدُدٌ»⁴؛ فَإِذَا كَانَتْ النُّونُ السَّاكِنَةُ تَظْهَرُ فِي سِيَاقَاتٍ مَعْيَنَةٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْءٌ وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْإِظْهَارِ، وَتُدْغَمُ فِي سِيَاقَاتٍ أُخْرَى فَتَزُولُ مَعْظَمُ خِصَائِصِهَا، فَإِنَّهَا فِي حَالَةِ الْإِخْفَاءِ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ، بِحَيْثُ تَزُولُ بَعْضُ خِصَائِصِهَا فَقَطْ؛ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوْتَانِ الْمُتَجَاوِرَانِ إِذَا تَبَاعَدَا تَبَاعِداً شَدِيداً مِنْ حَيْثُ خِصَائِصُهُمَا الصَّوْتِيَّةُ، فَلَا تَفَاعَلُ

¹ سورة النمل: الآية 08.

² سورة البقرة: الآية 33.

³ يُنْظَرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ: ابْنُ مَنْظُورٍ، مَادَّةُ (خ ف ا)، ص 234/14.

⁴ التَّشْرُوحُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ: ابْنُ الْجَزْرِيِّ، ص 31/2.



بينهما وعندئذ يتحقق ما اصطُح عليه بالإظهار، أمّا إذا تقاربا تقارباً شديداً من حيث تلك الخصائص فيحدث تفاعلٌ كليٌّ بينهما، بحيث يختفي الصوت الأول في الثاني فيكون الإدغام؛ ويتوسّط الإخفاء هاتين الحالتين، بحيث يكون الصوتان المتجاوران غير متقاربين تقارباً شديداً، وغير متباعدين تباعداً شديداً، فيحدث تفاعلٌ جزئيٌّ. وحروف الإخفاء خمسة عشر، وهي: (ص؛ ذ؛ ث؛ ك؛ ج؛ ش؛ ق؛ س؛ د؛ ط؛ ز؛ ف؛ ت؛ ض؛ ظ)، جمعها الشيخ سليمان الجمزوري (توفّي بعد 1208هـ) في أوائل قوله:¹

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمٌ طَيِّباً زِدْ فِي تُقَى ضَعُ ظَالِمًا
وَيُسَمَّى هَذَا الْإِخْفَاءُ الْحَقِيقِي لِأَنَّ ذَاتَ النَّونِ تَكَادُ تَكُونُ مَعْدُومَةً فَلَا يَبْقَى مِنْهَا
إِلَّا الْغُنَّةُ.²

ويكون الإخفاء مع النون الساكنة في كلمة، أو كلمتين، نحو: (انقلبوا) من قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾³؛ (ومن سوء) في قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾⁴.

ويراعى التماثل الصوتي في الغنة أيضاً، حيث تفخم الغنة إذا وقع بعدها حرف من حروف الاستعلاء (ص، ض، ط، ق، ظ) بتأثير هذه الأصوات المستعلية؛ وترقق إذا وقع بعدها حرف من حروف الاستفال (وهي باقي حروف الهجاء ماعدا حروف الاستعلاء)؛ ومثال ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

¹ نقلاً عن: تيسير الرحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، مراجعة وتقرير: الشيخ أحمد أحمد مصطفى أبو حسن والشيخ محمود أمين طنطاوي، دار التقوى للنشر والتوزيع-القاهرة-مصر، ط4، 1425هـ-2004م، ص184.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص183.

³ سورة آل عمران: الآية174.

⁴ سورة يوسف: الآية51.



قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا¹؛ وقوله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²؛ وقوله سبحانه: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾³؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁴؛ وقوله عز وجل: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾⁵؛ وقوله جل جلاله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾⁶؛ وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾⁷؛ وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾⁸؛ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾⁹؛ وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾¹⁰؛ وقوله جل جلاله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾¹¹؛ وقوله سبحانه: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾¹²؛ وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا

¹ (سورة المائدة: الآية 02).

² (سورة البقرة: الآية 245).

³ (سورة يس: الآية 35).

⁴ (سورة آل عمران: الآية 104).

⁵ (سورة الأعراف: الآية 64).

⁶ (سورة الروم: الآية 13).

⁷ (سورة فاطر: الآية 34).

⁸ (سورة الملك: الآية 04).

⁹ (سورة هود: الآية 06).

¹⁰ (سورة الإنسان: الآية 01).

¹¹ (سورة الطارق: الآية 06).

¹² (سورة ص: الآية 06).



وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ¹؛ وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾²؛ وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾³؛ وقوله تعالى: ﴿وَطَلَحَ مَنَّوْدٍ﴾⁴؛ وقوله عز وجل: ﴿قُلْ﴾⁵ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾⁵.

ثالثاً: أحكام الميم الساكنة.

ومن الإدغام ما يختصّ بصوت الميم الساكنة ، وهو ما يندرج ضمن ما أسماه علماء التجويد والقراءات بأحكام الميم الساكنة ؛ والميم الساكنة هي الميم التي تَسْكُنُ الشفتان عند النطقِ بها ، وسكُونُهَا ثابتٌ في الوصل والوقف⁶ ؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁷؛ أي أنّ الميم لا بُدَّ أن يكون سكونها ثابتاً في الوصل والوقف ، لذلك فإنّ تلك الأحكام لا تسري إذا حُرِّكَتِ الميم للتخلص من التقاء الساكنين مثلاً ، كما في قوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهِ﴾⁸؛ كتابيه⁸؛ أو إذا كانت ساكنة سكوناً عارضاً بسبب الوقف ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁹؛ وللميم الساكنة ثلاثة أحكامٍ عند مجاورتها

¹ سورة النور: الآية 01.

² سورة البقرة: الآية 226.

³ سورة الشورى: الآية 41.

⁴ سورة الواقعة: الآية 29.

⁵ سورة النمل: الآية 69.

⁶ يُنظر: تيسير الرّهن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص 189.

⁷ سورة البقرة: الآية 82.

⁸ سورة الحاقة: الآية 19.

⁹ سورة النساء: الآية 26.



الأصوات الأخرى، هي: الإخفاء الشفوي، الإدغام الصّغير والإظهار الشفوي، وقد استعمل مصطلح الشفوي لأنّ مخرج الميم من الشفتين¹. ويتحقّق الإدغام بجمع الميم الساكنة بالميم بعدها ليصيرا ميماً واحدة مشددة، تُعْنُ قدر حركتين. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الم﴾² تُقرأ: (أَلْفٌ لَامِيْمٌ)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾³ تُقرأ: (لَكُمَّا كَسَبْتُمْ)؛ وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁴ تُقرأ: (أَمِّن)؛ وقد سُمّي هذا النوع من الإدغام **بإدغام التماثلين**؛ لأنّ الحرفان اتّحدا مخرجا وصفة واسما ورسمًا، وسُمّي **بالبصغير** لأنّ الأوّل منهما ساكن والثاني متحرّك، فلا يحتاج هذا الإدغام إلى عمل كثير⁵.

ومن أحكام الميم الساكنة الإخفاء الشفوي، ولهذا النوع من الإخفاء حرف واحد هو (الباء) وسُمّي بالشفوي لأن الميم والباء يخرجان من الشفتين؛ ومعناه النطق بالميم الساكنة على صفة بين الإظهار والإدغام، مع مراعاة الغنة وعدم التشديد. فإذا جاء بعد الميم الساكنة باء، أُخفيت الميم الساكنة عند الباء، مع غنة بقدر بحركتين من غير إطباق الشفتين، لكي لا يقع التشديد. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾⁶؛ وقوله جلّ جلاله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾⁷؛ وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

¹ يُنظر: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعد عبد الحميد، ص190-191.

² سورة البقرة: الآية 01.

³ سورة البقرة: الآية 134.

⁴ سورة فصلت: الآية 40.

⁵ يُنظر: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعد عبد الحميد، ص192.

⁶ سورة النساء: الآية 157.

⁷ سورة الفيل: الآية 04.



مُسْتَقِيمٌ¹. ولا يتحقق هذا الإخفاء إلا في كلمتين، بأن تكون الميم الساكنة في كلمة، والباء في أول الكلمة التي تليها.

رابعاً: أحكام اللام الساكنة.

لا تخلو اللام الساكنة في القرآن الكريم من أن تكون في اسم، أو فعل، أو حرف.

1 - اللام الساكنة في الاسم: لا تخلو اللام الساكنة في الاسم من أن تكون أصلية من بنية الكلمة، أو زائدة²؛ فالأصلية نحو: ﴿أَلَسْتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ؛ زُلْزَالاً؛ سُلْطَاناً؛ غُلْفٌ؛ أَلْفَافاً؛ سَلْسَبِيلاً؛ سِلْسِلَةً؛ بَلْدَةً﴾، وحكمها: وجوب الإظهار. والذي أختره للدراسة هو الزائدة، لما تحويه من مظاهر التماثل الصوتي؛ فالزائدة قسمان:

القسم الأول: الزائدة اللازمة، وهي التي لا تفارق الكلمة التي هي فيها، ولا تنفك عنها. وتكون مقارنة لوضع الكلمة مثل: ﴿الَّذِي، اللَّذَانِ، الَّذِينَ، الَّتِي، اللَّائِي، اللَّائِي، الْآنَ، الْيَسَعَ﴾؛ وحكمها: وجوب الإدغام إذا وقع بعدها لام؛ ومن اللامات اللازمة لام لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ التي لا يُمكنُ تجريدتها عمّا بعدها³، فأصل الكلمة (إله) ولما دخلت عليها (ال) الشمسية صارت (ال إله) ثم حذفت الهمزة الأصلية مع حركتها فصارت (ال له)، ليتم إدغام اللامين المتماثلين، فصارت ﴿اللَّهُ﴾.

¹ سورة آل عمران: الآية 101.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 199-206.

³ يُنظر: تيسير الرحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص 201.



القسم الثاني: الزائدة غير اللازمة، وهي التي يعبر عنها بلام التعريف، أو لام (أل)¹، ولها عند حروف الهجاء حالتان:

الحالة الأولى: أن يقع بعدها حرف من الحروف الأربعة عشر، وهي: الهمزة، والباء؛ والغين؛ والحاء؛ والجيم؛ والكاف؛ والواو؛ والحاء؛ والفاء؛ والعين؛ والقاف؛ والياء؛ والميم؛ والماء؛ فإذا وقع حرف من هذه الحروف بعدها فحكمها وجوب الإظهار؛ ومثال ذلك (الأرض، البلد، الغني)؛ ويسمى هذا الإظهار (إظهارا قمريا) وتسمى اللام الواقعة قبل هذه الحروف (اللام القمرية) نسبة إلى القمر، من حيث الظهور²؛ وعلة هذا الإظهار: بُعد مخرج اللام عن مخرج الحروف الأنفة الذكر.

الحالة الثانية: أن يقع بعدها حرف من الحروف الهجائية المتبقية، وعددها أربعة عشر أيضاً، وهي: التاء؛ والثاء؛ والذال؛ والذال؛ والراء؛ والزاي؛ والسين؛ والشين؛ والصاد؛ والضاد؛ والطاء؛ والظاء؛ واللام؛ والنون؛ فإذا وقع حرف من هذه الحروف بعد اللام وجب قلبها حرفاً مجانساً لما بعدها ثم إدغامها فيه؛ ومثال ذلك: (التائبون، الثقلان، الدواب، الذاكرين، الرحمن، الزبور، السماء، الشمس، الصادقون، الضالين، الطارق، الظانين، الله، الليل، النهار، التعيم).
ويسمى إدغام اللام في هذه الحروف إدغاما شمسياً، وتسمى اللام الواقعة قبل هذه الحروف (اللام الشمسية) نسبة إلى الشمس من حيث الخفاء؛ ويعود سبب إدغام اللام فيما ذكر من الأصوات، كون اللام تماثلها، وتقاربها مخرجا وصفة؛

¹ لام التعريف: هي اللام الساكنة المسبوقة بهمزة وصل مفتوح، وبعدها اسم من الأسماء، وهي زائدة عن بنية الكلمة سواء أمكن استقامة الكلمة التي تليها نحو (الأرض) أم لم يكن نحو (الذي). يُنظر: نفسه، ص198.

² وجه تسميتها بالقمرية وبالشمسية أنه من باب تشبيه الحروف التي يدغم اللام فيها بالشمس، والحروف التي لا يدغم فيها بالقمر، أن النجوم تنتكس تحت ضوء الشمس، ولا تنتكس تحت ضوء القمر. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص200.



وللتون ميزة خاصة، يقول محمود خليل الحصري: «وإنما أدغمت لام التعريف فيها في نحو: ﴿النَّاسِ، النَّعِيمِ﴾ لكثرة وقوعها في الكلام العربي، وكثرة انتشارها في القرآن الكريم، فأدغمت في النون تسهيلا للنطق، وتيسيرا على الالفاظ»¹.

2 - اللام الساكنة في الفعل: لا تخلو اللام الساكنة في الفعل من أن تكون أصلية أو زائدة؛ أما الزائدة فهي لام الأمر التي تدخل على الفعل المضارع فتحولّه إلى صيغة الأمر، نحو قول الله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾²، وهذه الحالة لا تماثل فيها، لذلك سأكتفي هنا بذكر الأصلية فقط؛ ولا يخلو فعل اللام الساكنة من أن يكون ماضيا، أو مضارعا، أو أمرا؛ وسأقتصر على ذكر فعل الأمر، لما يتخلله من مظاهر التماثل الصوتي، إذا وقع بعد اللام لام أو راء³.

وتكون اللام في فعل الأمر متوسطة ومتطرفة؛ فمثال المتوسطة: (أَلْقِ؛ وَالْعَنُتُمْ)؛ ومثال المتطرفة: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ، قُلْ تَعَالَوْا، أَنْزِلْني، أَدْخِلْني، وَاجْعَلْ لي، وَاجْعَلْني)؛ وحكمها في هذا الفعل وجوب الإظهار، ما لم يقع بعدها لام أو راء، فإن وقع بعدها لام أو راء وجب إدغامها في اللام والراء نحو قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾⁴؛ وقوله عزّ شأنه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾⁵؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا

¹ أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 204.

² سورة الحج: الآية 29.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 205.

⁴ سورة الإسراء: الآية 95.

⁵ سورة الشورى: الآية 23.



لَأْمْسِكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١﴾؛ وقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا
تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٢﴾؛ وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿٣﴾؛ وسبب الإدغام التماثل بالنسبة للام ، والتقارب أو التجانس
بالنسبة للراء.

إلا أن الملاحظ هنا هو أن اللام الشمسية تُدغم في النون، نحو: (النَّاس) كقوله
تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿٤﴾، بينما لا تُدغم لام الفعل في النون في مثل:
(قُلْ نَعَمْ) كقوله عز وجل: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٥﴾، فما التفسير
الصوتي لذلك؟ يعلل ذلك ابن الجزري فيقول: «فإن قيل: (لم أدغمت اللام
الساكنة في نحو (النَّار) و(النَّاس))، وأظهرت في نحو قوله: (قُلْ نَعَمْ) وكل منهما
واحد؟؛ قلت: لأن هذا فعل قد أعلَّ بحذف عينه، فلم يعل ثانياً بحذف لامه ،
لئلا يصير في الكلمة إجحاف إذ لم يبق منها إلا حرف واحد ؛ و (ال) حرف
مبني على السكون لم يحذف منه شيء ولم يعل بشيء فلذلك أدغم؛ ألا ترى أن
الكسائي ومن وافقه أدغم اللام من (هَلْ) و(بَلْ) في نحو قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾
و(بَلْ تُحْنُ) ولم يدغمها في ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ و﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾» ﴿٦﴾.

والملاحظ هنا أيضاً أن الإدغام قد وقع في مثل ﴿قُلْ رَبِّ﴾ ولم يقع في ﴿قُلْ
نَعَمْ﴾، على الرغم من وجود سبب منع الإدغام، وهو أن (قُلْ) فعل قد أعلَّ
بحذف عينه لأن أصله (قَوْلَ) ، فما هو تفسير ذلك؟ هنا يستدرك ابن الجزري

¹ سورة الإسراء: الآية 100.

² سورة المؤمنون: الآية 93.

³ سورة المؤمنون: الآية 97.

⁴ سورة التاس: الآية 01.

⁵ سورة الصافات: الآية 18.

⁶ التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري، ص 115/1.



لُيْتَبَتُ أَنَّ الْحَالَتَيْنِ تَخْتَلِفَانِ مِنْ حَيْثُ قُوَّةٌ وَضَعْفٌ الصَّوْتِ الْمُؤَثَّرُ؛ فَالرَّاءُ صَوْتٌ قَوِيٌّ وَلِذَلِكَ أُثِّرُ فِي اللَّامِ الضَّعِيفِ، فَأُدْغِمْتُ فِيهِ؛ بَيْنَمَا لَمْ يُوَثَّرِ التَّوْنُ فِيهَا لِأَنَّهُ صَوْتٌ ضَعِيفٌ مِثْلُهَا؛ يَقُولُ ابْنُ الْجَزْرِيِّ: «فَإِنْ قِيلَ: (قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى إِدْغَامِ ﴿قُلْ رَبِّي﴾ وَالْعَلَّةُ مَوْجُودَةٌ!)؛ قُلْتُ: لِأَنَّ الرَّاءَ حَرْفٌ مَكْرَرٌ مَنْحَرَفٌ فِيهِ شِدَّةٌ وَثِقَلٌ يَضَارِعُ حُرُوفَ الاسْتِعْلَاءِ بِتَفْخِيمِهِ؛ وَاللَّامُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَجَذَبَ اللَّامُ جَذْبَ الْقَوِيِّ لِلضَّعِيفِ، ثُمَّ أَدْغَمَ الضَّعِيفَ فِي الْقَوِيِّ عَلَى الْأَصْلِ بَعْدَ أَنْ قَوِيَ بِمُضَارَعَتِهِ بِالْقَلْبِ، وَالرَّاءُ قَائِمٌ بِتَكَرُّرِهِ مَقَامَ حَرْفَيْنِ كَالْمَشْدَدَاتِ، فَاعْلَمْ؛ وَأَمَّا النُّونُ فَهِيَ أضعفُ مِنَ اللَّامِ بِالغِنَةِ؛ وَالْأَصْلُ أَنْ لَا يَدْغَمُ الْأَقْوَى فِي الْأَضْعَفِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّامَ إِذَا سَكَنْتْ كَانَ إِدْغَامُهَا فِي الرَّاءِ إِجْمَاعًا، وَلَا كَذَلِكَ الْعَكْسُ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا سَكَنْتِ النُّونُ كَانَ إِدْغَامُهَا فِي اللَّامِ إِجْمَاعًا، وَلَا كَذَلِكَ الْعَكْسُ؛ وَهَذَانِ سؤَالَانِ لَمْ أَرِ أَحَدًا تَعَرَّضَ إِلَيْهِمَا»¹.

3 - اللَّامُ السَّاكِنَةُ فِي الْحَرْفِ: لَا تَكُونُ هَذِهِ اللَّامُ إِلَّا آخِرَ الْكَلِمَةِ نَحْوُ: (هَلْ أَتَى؛ هَلْ تَعَلَّمَ؛ بَلْ تَأْتِيكُمْ بَغْتَةً؛ بَلْ تَحْبُونَ؛ بَلْ نَتَّبِعُ)؛ وَحَكْمُهَا: وَجُوبُ الْإِظْهَارِ عَلَى الْأَصْلِ فِي جَمِيعِ الظُّرُوفِ، إِلَّا إِذَا كَانَ بَعْدَهَا لَامٌ أَوْ رَاءٌ فَحَكْمُهَا الْإِدْغَامُ حِينَئِذٍ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾²؛ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾³؛ وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

¹ التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري، ص1/115.

² سورة الروم: الآية 28.

³ سورة التازعات: الآية 18.



﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾¹؛ ووجه إدغامها في اللام والراء، التماثل في اللام، والتقارب في الراء².

خامساً: الإمالة.

قضية الفتح والإمالة هي إحدى الظواهر الصوتية التي كانت سائدة بين القبائل العربية منذ زمن بعيد قبل الإسلام؛ فتكلمت قبائل الحجاز وغربي الجزيرة بالفتح بينما اشتهرت قبائل وسط الجزيرة وشرقيها بالإمالة³.

وفائدة الإمالة هي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، أما الفتح أو التفخيم فهو فتح المتكلم لفمه بلفظ الحرف⁴. والغرض من الإمالة هو الإعلام بأن أصل الألف الياء، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء، أو بعبارة أخرى المناسبة فيما أميل لسبب موجود في اللفظ، أو لإمالة غيره⁵؛ وتخص الإمالة الأسماء والأفعال فقط، ما عدا حرف (بلى) ففيه تقليل⁶.

وتنقسم الإمالة إلى قسمين هما:

¹ سورة المطففين: الآية 14.

² للمقارنة بين صفات هذه الأصوات ومخارجها، يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

³ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 138.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 23/2 و 28.

⁵ يُنظر: نفسه، ص 24/2. يُنظر أيضاً: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: أبو عبد الرحمن عاشور

خضراوي الحسني، ص 67.

⁶ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 33/2.



- الإمالة الكبرى، وهي تقريب الفتحة كثيرا نحو الكسرة والألف نحو الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، وتُسمى أيضا الإمالة المحضة أو الإضجاع أو البطح³.

- الإمالة الوسطى، وهي ما بين الفتح والإمالة الكبرى وتسمى أيضا بالتقليل أو بين بين، وقد اختصت رواية ورش أكثر من غيرها بالإمالة المتوسطة، فكل ما روي عنه من طريق الأزرق فيه تقليل فقط باستثناء فتحة الهاء من قوله تعالى: ﴿طه﴾¹ فتمال عنده إمالة كبرى².
وسواء أكانت الإمالة شديدة أم متوسطة فإنها مماثلة جزئية بين الصوائت، حيث تميل الفتحة أو الألف لما قبلهما أو بعدهما من كسرة أو ياء، لتحقيق الملائمة الصوتية بينها في كلمة أو كلمتين متجاورتين.

ولا تتم معرفة كيفية النطق بالإمالة إلا بالمشاهدة؛ ولتقريب الكيفية أعطي مثالين من اللغة الفرنسية ذكرهما الدكتور محمد شاعري، حيث قال: «فالنطق بـ: (La maille)³ لا يشبه النطق بـ: (Le sommeil)، فالكلمة الأولى فيها فتح شديد لا يجوز في اللغة العربية (فهم يفخمون حرف الميم) والكلمة الثانية فيها ما يشبه الإمالة»⁴.

وللإمالة عند الأزرق خمسة أسباب هي:

انقلاب الألف عن الياء: وهي كل ألف أصلية متطرّفة منقلبة عن ياء، ولمعرفة إن كانت الألف منقلبة عن ياء أم لا، نقوم بما يلي: يتم إسنادها في الأفعال إلى ضمير المتكلم فإن ظهرت الياء فالألف منقلبة عن الياء وذلك نحو: (اشترى -

¹ سورة طه: الآية 01.

² يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 138.

³ هي الودقة أو نقطة تتكوّن في حدقة العين.

⁴ (المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 138.



اشترَيْتُ) أو (رمى-رَمَيْتُ)؛ أمّا إن ظهرت الواو فالألف منقلبة عن واو مثل: (دعا-دَعَوْتُ)؛ أمّا في الاسم : فَإِنَّهُ يُشْنَى فَتَظْهَرُ الْيَاءُ، نحو: (الهدى-هُدْيَان) ¹. والألف المنقلبة عن الياء نوعان هما: ذوات الرّاء وغير ذوات الرّاء.

أمّا الألفات ذوات الرّاء، فلا خلاف عن الأزرق في تقليل فتحها سواء وقعت رأس أو وسط الآية ³، نحو قوله تعالى: ﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى﴾ ²؛ و﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ ³؛ ﴿الرَّ﴾ ⁴؛ و﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنِي﴾ ⁵؛ و﴿الْمُرِّ﴾ ⁶.

والألفات غير ذوات الرّاء، فمنها الواقعة رأس الآية، ولا خلاف كذلك عن الأزرق في تقليلها ما لم تكن مصحوبة بهاء التأنيث (ها) ⁷، وذلك نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ⁸؛ وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ⁹؛ وكذلك: ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ¹⁰. وقد وقعت رؤوس الآي الممالّة في عشر سور هي: (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الليل، الضحى والعلق) ¹¹.

¹ يُنظر: التّحجّوم الطّوالع على الدّرر اللّوامع: للمارغني، ص 116.

² سورة النجم: الآية 01.

³ سورة التوبة: الآية 111.

⁴ سورة يونس: الآية 01.

⁵ سورة يونس: الآية 38.

⁶ سورة الرعد: الآية 01.

⁷ ذكر ابن الجزري أربعة مذاهب لأهل الأداء في ذلك، والذي اعتمده هنا هو مذهب الداني في التيسير. يُنظر: التّشّير في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 39/2.

⁸ سورة طه: الآية 24.

⁹ سورة الأعلى: الآية 15.

¹⁰ سورة عبس: الآية 09.

¹¹ يُنظر: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني، ص 68.



أما إذا كانت هذه الألفات الواقعة رأس الآية مصحوبة بهاء التانيث فأحد الوجهين عن الأزرق عدم إمالتها . ووقع هذا بسورتي (الشمس والنازعات) فقط¹، كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَايَهَا﴾²؛ و﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ السَّمَاءُ بَرِيهَا﴾³؛ ويستثنى من سورة النازعات كلمة (ذِكْرِيهَا) في قوله عز وجل: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِيهَا﴾⁴، ففيها تقليل لأنها من ذوات الراء. ومن الألفات غير ذوات الراء تلك الواقعة وسط الآية، وفيها تقليل أيضا، سواء كانت مصحوبة بهاء التانيث أم لا، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾⁵؛ و﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁶؛ إلا إذا وقفنا عليها فتمال الألف إمالة كبرى، وكذلك إذا وقفنا على (ها) من قوله تعالى: ﴿طَه﴾⁷.

ومثال المصحوبة بهاء التانيث في قوله تعالى: ﴿فَنَادِيهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾⁸، تَحْزَنِي⁸، ماعدا ما غلب فيه تغليظ اللام على التقليل في كلمة (لا يصلياها) من قوله عز وجل: ﴿لَا يَصْلَايَهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾⁹، فتغليظ اللام أشهر والتغليظ والتقليل لا يجتمعان في اللام¹⁰؛ وإنما كان التغليظ هنا بتأثير المماثلة، حيث الصاد المستعلية المطبقة.

¹ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص139.

² سورة الشمس: الآية01.

³ سورة النازعات: الآية27.

⁴ سورة النازعات: الآية43.

⁵ سورة الذاريات: الآية39.

⁶ سورة الحجر: الآية84.

⁷ سورة طه: الآية01.

⁸ سورة مريم: الآية24.

⁹ سورة الليل: الآية15.

¹⁰ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص140.



وتكون الإمالة إذا وقفنا على المنون المقصور، نحو قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾¹ وقوله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾²؛ ما عدا كلمة (مُصَلَّى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾³ فتغليظ اللام وصلا ووقفا مقدم في الأداء⁶؛ بتأثير الصاد المجاورة لها.

وكذلك ألف التانيث، وقد سُميت شبه الألف بالمنقلب عن الياء أو الألف الشبيهة بذوات الياء، لأنها تثنى وتجمع بالياء نحو: (أخرى) تثنى: (أخريان) وتجمع: (أخريات)⁴. ويجري على ألف التانيث ما جرى على ذوات الياء من تقسيم إلى ذوات الراء وغير ذوات الراء؛ وتأتي ألف التانيث على عدة أوزان⁴ منها ما يلي:

— فَعَلَى (بفتح الفاء)، نحو قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾⁵؛ و﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾⁶؛ و﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾⁷؛ وكذلك: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁸. ويلحق بها كذلك (يَحْيَى) من قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾⁹؛ ولا يلحق بها (يَحْيَى) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾¹⁰.

¹ سورة الأنعام: الآية 60.

² سورة القيامة: الآية 36.

³ سورة البقرة: الآية 125.

⁴ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 140-141.

⁵ سورة المؤمنون: الآية 44.

⁶ سورة طه: الآية 80.

⁷ سورة يونس: الآية 10.

⁸ سورة الأعراف: الآية 57.

⁹ سورة مريم: الآية 12.

¹⁰ سورة الأعلى: الآية 13.



- فُعَلَى (بضم الفاء)، كقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾¹؛
و﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾²؛ وقوله تعالى: ﴿وَنُيْسِرُكَ
لِلْيُسْرَى﴾³؛ و﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾⁴؛ وكذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾⁵. ويلحق بها كلمة (مُوسَى) في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى﴾⁶.
- فِعَلَى (بكسر الفاء)، نحو قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾⁷؛
﴿وَعَاثَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾⁸؛ ويلحق بها: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ
قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾⁹.
- فِعَالَى (بفتح الفاء)، كمثل قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾¹⁰؛
وقوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾¹¹؛ و﴿وَأَنْكِحُوا
الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾¹².
- فُعَالَى (بضم الفاء)، نحو قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمُ أُسَارَى
تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ﴾¹؛ و﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾²؛ و﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾³.

¹ (سورة التجم: الآية 20).

² (سورة الحديد: الآية 12).

³ (سورة الأعلى: الآية 8).

⁴ (سورة طه: الآية 51).

⁵ (سورة طه: الآية 54).

⁶ (سورة النازعات: الآية 15).

⁷ (سورة النجم: الآية 49).

⁸ (سورة النساء: الآية 20).

⁹ (سورة آل عمران: الآية 52).

¹⁰ (سورة النساء: الآية 2).

¹¹ (سورة البقرة: الآية 113).

¹² (سورة النور: الآية 32).



ملاحظة: كل الكلمات التي لا يوجد فيها إمالة في رواية ورش من طريق الأزرق و كان أصل ألفها واوا رُسمت ألفها في المصحف الشريف بالألف الممدودة، وذلك نحو قوله تعالى في الأسماء: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁴، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾⁵؛ ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾⁶؛ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْلِكُمْ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾⁷؛ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾⁸. وفي الأفعال كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾⁹؛ ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾¹⁰؛ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾¹¹؛ ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾¹².

وتكون الإمالة وصلا ووقفا عند ورش من طريق الأزرق لكل ألف وقعت قبل الكسرة، لأن الكسرة بعدها تؤثر فيها فتجرّها نحو مخرجها ، ومثال ذلك إذا جاءت الألف قبل راء متطرفة مكسورة ، ويُشترط في ذلك شرطان: أن تكون الكسرة كسرة إعراب وأن تكون الراء المكسورة متصلة بالألف¹³ ، ولو اتّصل

¹ سورة البقرة: الآية 85.

² سورة الأنعام: الآية 94.

³ سورة الحج: الآية 02.

⁴ سورة البقرة: الآية 158.

⁵ سورة البقرة: الآية 276.

⁶ سورة آل عمران: الآية 103.

⁷ سورة النور: الآية 35.

⁸ سورة الأحزاب: الآية 40.

⁹ سورة آل عمران: الآية 152.

¹⁰ سورة يوسف: الآية 35.

¹¹ سورة القصص: الآية 4.

¹² سورة فاطر: الآية 24.

¹³ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 142.



بالراء ضمير أو ميم جمع، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾¹؛ ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ يَ إِلَيْكَ﴾²؛ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾³.

وُتَمْنَعُ الإِمَالَةَ عِنْدَ وَرْشٍ فِي الْحَالَاتِ التَّالِيَةِ:

- كون الراء غير متطرفة ، نحو قول الله تعالى : ﴿وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾⁴ ؛ و: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾⁵.

- كون كسرة الراء ليست كسرة إعراب ، نحو قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾⁶.

- كون الراء المكسورة غير متصلة بالألف ، نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾⁷ حيث فصلت الراء المكسورة عن الألف براء ساكنة (مُضَارٌّ)؛ وقوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾⁸ حيث فصلت بهمزة مكسورة.

- وجود حرف استعلاء قبل الألف ، إذ لا يميل ورش كل ألف

أُتْبِعَتْ بِكَسْرِ وَسُبِقَتْ بِحَرْفِ اسْتِعْلَاءٍ⁶ ؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁹ ، وقوله عز وجل: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ﴾¹⁰.

¹ سورة البقرة: الآية 20.

² سورة آل عمران: الآية 75.

³ سورة الرعد: الآية 25.

⁴ سورة الغاشية: الآية 15.

⁵ سورة الشورى: الآية 32.

⁶ سورة آل عمران: الآية 52.

⁷ سورة النساء: الآية 12.

⁸ سورة الأنعام: الآية 38.

⁹ سورة البقرة: الآية 153.

¹⁰ سورة القلم: الآية 25.



ملاحظة: لكلمة (الكافرين) حالة خاصة عند ورش، فعلى الرغم من توفر شروط منع إمالتها من أن الرّاء غير متطرفة وغير متصلة بالألف، إلا أنّها تُخفّف عند ورش بالإمالة لوجود الياء بعد الرّاء ولكثرة تكرارها في القرآن الكريم¹، ومثاله قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾²؛ ويخرُج بذلك ما قلّ تكرارها في القرآن الكريم إذ لا إمالة فيها³، نحو قوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁴.

وتكون الإمالة وقفا لا وصلا عند ورش من طريق الأزرق لكل ألف ممال بعده همزة الوصل؛ فإذا وقفنا على ألف ممال بعده سكون (همزة الوصل) فإننا نقف عليه بالإمالة؛ أمّا في حال الوصل فإن الإمالة تحذف⁵؛ نحو قوله تعالى: ﴿لُنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾⁶؛ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁷؛ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾⁸؛ ﴿وَأَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾⁹؛ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾¹⁰.

ملاحظة: لا إمالة عند ورش في الألفات الآتية:

¹ يُنظر: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني، ص 69.

² سورة المائدة: الآية 102.

³ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 142.

⁴ سورة آل عمران: الآية 144.

⁵ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 143.

⁶ سورة طه: الآيتان: 23-24.

⁷ سورة المؤمنون: الآية 49.

⁸ سورة سبأ: الآية 18.

⁹ سورة الزمر: الآية 58.

¹⁰ سورة الأعلى: الآيتان: 01-02.



- المنون الممدود: هو التنوين على الألف الممدودة ، فإنّ الوقف عليه عند ورش يكون بالفتح نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾¹ فنقرأها بالوقف (أحداً).

- ألف الاثنين: لا إمالة عند ورش في ألف الاثنين¹، نحو قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾².

- ألف نون التعظيم: ولا إمالة عنده أيضاً في ألف نون التعظيم¹ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾³.

سادساً: التفخيم والترقيق.

من صور التماثل في قراءة نافع ، ما يتعلّق ببعض صفات الأصوات ، وفي مقدّمتها صفتا التفخيم والترقيق؛ وهما من أهمّ الصفات العارضة التي تعرّض للصوت أحياناً وتنفكُّ عنه أحياناً أخرى.

والتفخيم: هو سَمَنٌ يطرأ على الصوت فيمتلئ الفم بصداه ، ويُطبّق بتوسيع التجويف الداخلي للفم مع استعلاء اللسان من أقصاه إلى الحنك الأعلى ؛ فعندئذٍ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنّه يصطدم باللسان، فيتجه في تجاويف الفم والشففتين، فينتج عن ذلك: الصّدَى الذي يُسمّى (التفخيم)⁴ ، وهو مرادف للتّغليظ، إلاّ أنّ المستعمل في الرّاءات التّفخيم، وفي اللّامات التّغليظ⁵.

¹ سورة الكهف: الآية 26.

² سورة طه: الآية 44.

³ سورة القدر: الآية 01.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 147.

⁵ يُنظر: التّشريح في القراءات العشر: ابن الجزريّ ، ص 134/2. يُنظر أيضاً: التّجويد الطّوّاع على الدرر اللّوامع: المارغني ، ص.ص: 106 و 117.



أما الترفيق: فعلى العكس من ذلك، هو نَحَالَةٌ تطرأ على الصّوت فلا يكون له صَدَىٌّ في الفم، ويُطَبَّقُ بتضييق التجويف الداخلي للفم مع انخفاض اللسان من أقصاه إلى قاع الفم؛ فعندئذٍ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنه يجد الطريق أمامه سالكاً إلى الخارج، فلا يصطدم بشيء، ولا يحدث صَدَىٌّ¹.

وتنقسم الحروف الهجائية بالنسبة للتفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام: حروف تُفَخِّمُ بصفة دائمة؛ وحروف تُرَقِّقُ بصفة دائمة؛ وحروف تُفَخِّمُ أحياناً وتُرَقِّقُ أحياناً أخرى.

فأما الأصوات المفخمة بصفة دائمة، فهي حروف الاستعلاء السبعة، وهي بترتيب قوتها كالتالي: (الطاء؛ والضاد؛ والصاد؛ والظاء؛ والقاف؛ والغين؛ والحاء)².

وللتفخيم فيها خمس مراتب، هي³:

- المرتبة الأولى: وهي أعلى التفخيم، وهي أن يكون بعد حرف التفخيم ألف مدّ. ومثال ذلك كلمة (الطَّامَّة) نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾⁴؛ ومنه أيضاً كلمة (الصَّابِرِينَ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁵.

- المرتبة الثانية: وهي أقل قوةً من الأولى، وهي أن يكون بعد حرف التفخيم فتحة وليس ألف مدّ؛ ومثال ذلك: كلمة (طَبَعَ) نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص148.

² يُنظر: تيسير الرّهن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص143.

³ يُنظر: نفسه: ص149.

⁴ سورة النازعات: الآية34.

⁵ سورة البقرة: الآية153.



طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا¹؛ ومنه أيضاً كلمة (صَبَرَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾².

- المرتبة الثالثة: وتكون أقل قوة من الثانية، وهي أن يكون حرف التفخيم مضموماً، سواء كان بعده واو أم لا ؛ ومثال ذلك: (اضْطُرَّ) من قوله تعالى: ﴿مَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³؛ ومنه أيضاً كلمة (غُرْفَةٌ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ الْهَذَا مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾⁴.

- المرتبة الرابعة: وتكون أقل قوة من الثالثة، وهي أن يكون حرف التفخيم ساكناً؛ ومثال ذلك: كلمة (أَطْوَاراً) من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾⁵؛ ومنه أيضاً كلمة (بِمِقْدَارٍ) في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾⁶.

- المرتبة الخامسة: وهي الأقل قوة، وهي أن يكون حرف التفخيم مكسوراً؛ ومثال ذلك: كلمة (يُطْعِ) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁷؛ ومنه أيضاً كلمة (غِيْضٍ) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁸. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ورشاً- كغيره من القراء- يراعي الفرق

¹ سورة النساء: الآية 155.

² سورة الشورى: الآية 43.

³ سورة البقرة: الآية 173.

⁴ سورة البقرة: الآية 153.

⁵ سورة نوح: الآية 14.

⁶ سورة الرعد: الآية 08.

⁷ سورة النساء: الآية 80.

⁸ سورة هود: الآية 44.



بين الأصوات المفخّمة دائماً من حيث الإطباق والانفتاح؛ فلطاء؛ و الضاد؛ والصاد؛ و الطاء؛ أصوات مطبقة، بينما القاف؛ و الغين؛ و الخاء، أصوات منفتحة¹؛ فالأصوات المطبقة لا تتأثر بالكسر، وإذا تأثرت فيكون التأثير طفيفاً؛ بينما الأصوات المنفتحة فتتأثر به تأثراً بالغاً؛ فالقاف والغين والحاء سواء كانت مكسورة كقوله عزّ وجلّ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾²، أو ساكنة وقبلها كسر كسر أصليّ نحو قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾³، أو قبلها كسر عارض كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾⁴، أو كانت كانت بعد ياء ساكنة كقوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁵، تكون في مرتبة ضعيفة من التّفخيم، وهو ما يُسمّى بالتّفخيم النسبي⁶.

ويجب بيان الأصوات المفخّمة وعدم خلطها بغيره من الأصوات؛ ومثال ذلك: صوت الضاد، الذي يُعتبر من أعسر الأصوات اللغويّة، لذلك يُراعى بيانه وعدم خلطه بالحروف القريبة منه، وخاصةً إذا تبعه صوت الطاء، أو الطاء، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾⁷؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁸؛ كما يجب الانتباه إلى الصاد

¹ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

² سورة الفاتحة: الآية 06.

³ سورة الكهف: الآية 96.

⁴ سورة البقرة: الآية 253.

⁵ سورة يوسف: الآية 78.

⁶ يُنظر: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص 144.

⁷ سورة الشرح: الآية 03.

⁸ سورة المائدة: الآية 03.



الصاد لكي لا يتحوّل إلى سين، خاصةً إذا جاءت ساكنة وجاء بعدها تاء، كما في كلمة: (حَرَصْتُمْ)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾¹؛ ويجب بيانها إذا جاءت ساكنة وجاء بعدها طاء، حتى لا تقترب من الزاي، كما في كلمة: (المصطفين) نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾².

أما الأصوات المرفقة بصفة دائمة، فهي باقي الحروف الهجائية، وهي حروف الإستفال، عدا (الألف اللينة و اللام والراء) فلها أحكام خاصة، إذ تفخم أحيانا وترقق أحيانا أخرى.

1 - الألف اللينة أو الألف المدية : وهي التي يُعرفها القدماء بالألف الساكنة المفتوح ما قبلها³؛ وهو صوت ليس له حيز، فلا يوصف هو ذاته بتفخيم أو ترقيق، بل يتبع ما قبله في التفخيم والترقيق، فإن سبقه حرف مفخم فُخم تبعاً له، وإن سبقه حرف مرقق رُقق تبعاً له؛ ومثال تفخيمه في كلمة (طال) من قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾⁴؛ وفي (طاب) من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾⁵؛ وفي (الضالين) من قوله عزّ وجلّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁶؛ ومثال ترقيقه في

¹ سورة النساء: الآية 129.

² سورة النساء: الآية 47.

³ الحقيقة التي أثبتها الدرس الصوتي الحديث أنّ ألف المد ليست صوتاً ساكناً مسبقاً بفتحة، وإنما هي حركة طويلة، أي فتحة طويلة، وقد أشار إلى هذه الحقيقة بعض علماء العربية القدماء كابن جني. يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 38-39.

⁴ سورة الأنبياء: الآية 44.

⁵ سورة النساء: الآية 04.

⁶ سورة الفاتحة: الآية 07.



كلمة (سائق) من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾¹؛ وفي (بارئكم) من قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرَائِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾²؛ وفي (التائبون؛ العابدون؛ الحامدون؛ السائحون؛ الآمرون؛ الناهون؛ الحافظون) من قوله عز وجل: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾³؛ وتلحق الواو والياء المديتان بالألف المدية في التفخيم والترقيق، بحسب الصوت الذي يسبقهما، فإن سبقهما مفخم فُخمت تبعاً له، وإن سبقتا بصوت مرقق رُققت تبعاً له⁴. وكذلك الغنة لا تُوصف هي ذاتها بتفخيم ولا بترقيق فهي تابعة لما يُجاورها من أصوات، إلا أن الفرق بينها وبين أصوات المدّ أن أصوات المدّ تتبع ما قبلها، بينما تكون الغنة تابعة لما بعدها تفخيماً وترقيقاً⁵، فهي تتبع حالة صوت الإخفاء الذي يأتي بعدها، فإن كان هذا مُرَقَّقاً، مُرَقَّقاً، فإنها تُرَقِّقُ تَبَعاً له، كما في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁶؛ وقوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁷؛ وإن كان مُفَخِّمًا، فإنها تُفَخِّمُ تَبَعاً له، كما في قوله

¹ سورة ق: الآية 21.

² سورة البقرة: الآية 54.

³ سورة التوبة: الآية 112.

⁴ يُنظر: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: عبد الكريم مقيدش، تقديم شيخ القراء بدمشق: كريم راجح، مكتبة اقرأ-قسنطينة-الجزائر، ط1، 2008م، ص40.

⁵ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص152.

⁶ سورة البقرة: الآية 25.

⁷ سورة الانفطار: الآية 01.



سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾¹؛ وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾².

2 - اللام: وتقسّم أحكامها، من حيث التعليل (التفخيم) والترقيق، إلى قسمين هما: أحكام لام لفظ الجلالة؛ وأحكام اللام في غير لفظ الجلالة.

- أحكام لام لفظ الجلالة (الله، اللهم): يُؤثر نوع الحركة التي تسبق لام لفظ الجلالة فيها، فهي ترقق إذا سُبقت بكسر، سواء كان الكسر أصليا أو عارضا؛ نحو قول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾³؛ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾⁴؛ وقوله جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁵ وقوله وقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁶.

وترقق أيضا إذا تقدّمها ياء المدّ (الكسرة الطويلة)، مثل قوله سبحانه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁷؛ وقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ

¹ سورة الأنعام: الآية 01.

² سورة الشورى: الآية 43.

³ سورة الفاتحة: الآية 01.

⁴ سورة آل عمران: الآية 04.

⁵ سورة الأنفال: الآية 70.

⁶ سورة آل عمران: الآية 26.

⁷ سورة إبراهيم: الآية 10.



لا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾. كما ترفق أيضاً إذا وصل لفظ الجلالة بتنين آخر كلمة قبله ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾²؛ وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾³ في حال وصل الآيتين.

والأصل في اللام الترفيق عكس الراء ، ولا تفخم إلا بموجب⁴ ، والقصد من تفخيمها تعظيم اسم الله تعالى⁵ ، ومن موجبات تغليظها أن يتقدم لفظ الجلالة فتح أو ضم؛ ومثال ذلك قول الله عز وجل: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾⁶؛ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾⁷؛ وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁸؛ وقوله عز وجل: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾⁹ . ومن موجبات تغليظها أيضاً أن يتقدمه صائت طويل من جنس الفتحة أو الضمة ، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾¹⁰؛ وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ

¹ (سورة الزمر: الآية 61).

² (سورة الأعراف: الآية 164).

³ (سورة الإخلاص: الآيتان: 01 و 02).

⁴ يُنظر: التجوم الطواع على الدرر اللوامع : المارغني، ص 117. يُنظر أيضاً: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 153.

⁵ يُنظر: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: عبد الكريم مقيدش، ص 41.

⁶ (سورة المائدة: الآية 119).

⁷ (سورة آل عمران: الآية 10).

⁸ (سورة البقرة: الآية 204).

⁹ (سورة البقرة: الآية 10).

¹⁰ (سورة غافر: الآية 31).



الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾. ومن موجبات التفخيم أيضاً الابتداء بلفظ الجلالة لتقدم فتحة همزة الوصل على اللام، نحو قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾².

- أحكام اللام في غير لفظ الجلالة : الأصل في لام غير لفظ الجلالة الترقيق مطلقاً³، لكن الإمام ورشا رحمه الله اختص بتغليظها إذا كانت مفتوحة مسبوقة مسبوقة بأحد أصوات الاستعلاء المطبقة الثلاثة : الصّاد، أو الطّاء، أو الظّاء، سواء كانت اللام مشددة ، أو مخففة، أو متوسّطة أو متطرّفة؛ واشترط في الأصوات الثلاثة شرطين أساسيين هما: أن تكون هذه الأصوات الثلاثة ساكنة أو مفتوحة؛ وألا يفصل بين اللام وبينها فاصل غير الألف⁴؛ ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الله عز وجل : ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾⁶؛ وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁷؛ وقوله عز وجل : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾⁸، والملاحظ هنا عدم ورود الطاء الساكنة متبوعة باللام المفتوحة المخففة إلا في كلمة (مَطَّلَع) من هذه الآية الكريمة. ومن أمثلة الظّاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁹؛ وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

¹ (سورة الأنفال: الآية 32).

² (سورة آل عمران: الآية 02).

³ يُنظر: التّجوم الطّوالع: المارغني، ص 117. يُنظر أيضاً: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 153.

⁴ يُنظر: التّجوم الطّوالع على الدرر اللّوامع: المارغني، ص 117-118.

⁵ (سورة الكهف: الآية 71).

⁶ (سورة الصّافات: الآية 55).

⁷ (سورة البقرة: الآية 228).

⁸ (سورة القدر: الآية 05).

⁹ (سورة البقرة: الآية 57).



خَاضِعِينَ¹؛ وقوله عز وجل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾²؛ ومن أمثلة الصاد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾³؛ وقوله سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾⁴؛ وقوله عز وجل: ﴿وَيُصَلِّي سَعِيرًا﴾⁵؛ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾⁶؛ وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁷.

وقد ذكر ذلك الإمام ابن بري في أرجوزته الموسومة بالدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، فقال:⁸

غَلَّظَ وَرَشَ فَتَحَةَ اللَّامِ يَلِي طَاءَ وَظَاءَ وَلِصَادٍ مُهْمَلٍ
إِذَا أَتَيْنَ مُتَحَرِّكَاتٍ بِالْفَتْحِ قَبْلُ أَوْ مُسْكَنَاتٍ

وللمارغني كلام جميل بهذا الخصوص، أنقله كما هو للفائدة، حيث عُلِّلَ لهذه الشروط، وفسر هذه الحالة تفسيراً صوتياً، مؤكداً أن تواتر النقل والرواية تؤكد ذلك، وأن هذه التعاليل إنما هي تابعة لذلك النقل المتواتر، فقال: «فوجه تغليظ اللام بعد الأحرف الثلاثة المناسبة، لأن الحروف الثلاثة تقتضي نهاية التفخيم

¹ سورة الشعراء: الآية 04.

² سورة الشورى: الآية 33.

³ سورة البقرة: الآية 03.

⁴ سورة الأنعام: الآية 114.

⁵ سورة الإنشقاق: الآية 12.

⁶ سورة النساء: الآية 10.

⁷ سورة البقرة: الآية 160.

⁸ نقلاً عن: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 117-118.



لكونها مستعلية مطبقة، فغلظت اللّام بعدها ليعمل اللسان عملاً واحداً فتحصل المناسبة؛ ولم تُعتبر القاف والخاء والغين مع كونها مستعلية لأنها غير مطبقة مع بعد مخرجها عن مخرج اللّام؛ ولم تعتبر الضاد الساقطة مع مشاركتها للأحرف الثلاثة في الاستعلاء والإطباق لأنها لم تقرب من اللّام كقرب الأحرف الثلاثة منها كونها امتدّت في مخرجها حتى قربت من مخرج القاف، فرقت اللّام معها كما رقت مع القاف؛ وخُصّت اللّام المفتوحة بالتغليظ لمناسبتها لها وسهولته فيها بخلاف المضمومة والمكسورة والسّاكنة؛ واشترط في الأحرف الثلاثة الفتح أو السكون لحنّة كلّ منهما بالنسبة إلى الضمّ والكسر؛ واشترط تقدّم الأحرف الثلاثة لأنّ كلّاً منها سبب في التغليظ، والسبب إذا كان متقدّماً يكون أقوى منه إذا كان متأخراً¹.

أمّا إذا وقف القارئ على اللّام المتطرّفة، مع توفر الشّروط السابقة، فإنّ ورشاً يجوز تغليظ اللّام، وترقيقها، والتغليظ عنده مقدّم.

والحكم نفسه إذا حال بين اللّام وبين أحد الحروف الثلاثة (الصاد، والطاء، والظاء) ألف لينة، وصلاً ووقفاً، إذ أنّ ورشاً يجوز تغليظ اللّام، وترقيقها، والتغليظ عنده مقدّم؛ وقد وقع ذلك في ثلاثة ألفاظ في القرآن، في خمسة مواضع وهي: (فصّالاً؛ يصّالها؛ طال) من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾²؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾³؛ وقوله سبحانه: ﴿أَفْطَالٍ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ

¹ التجوم الطّوابع على الدرر اللّوامع: المارغني، ص118.

² سورة البقرة: الآية233.

³ سورة النساء: الآية128.



غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿١﴾؛ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾²؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾³.
أمّا إذا وقعت بعد اللام ألف ذات ياء، وهي الألف الأصلية المتطرّفة المنقلبة عن
ياء، ففيها وجهان عند ورش: ترقيق اللام مع الإمالة الصغرى (تقليل الألف)،
وتغليظها مع الفتح، وصلا ووقفا، بشرط أن تكون في غير رؤوس الآي من
السور الإحدى عشرة⁴، وقد وقع ذلك في القرآن الكريم في سبعة مواضع،
وهي: قوله الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾⁵، في حالة الوقف على (مُصَلًّى)؛ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا﴾⁶؛ وقوله تعالى: ﴿وَيُصَلِّي سَعِيرًا﴾⁷؛ وقوله سبحانه: ﴿الَّذِي يَصَلِّي
النَّارَ الْكُبْرَى﴾⁸، في حالة الوقف على (يَصَلِّي)؛ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَصَلِّي نَارًا
حَامِيَةً﴾⁹؛ وقوله جَلَّ جلاله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾¹⁰؛ وقوله سبحانه:
﴿سَيَصَلِّي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾¹¹.

¹ سورة طه: الآية 86.

² سورة الأنبياء: الآية 44.

³ سورة الحديد: الآية 16.

⁴ هذه السور هي: طه؛ النجم؛ المعارج؛ القيامة؛ النازعات؛ عبس؛ الأعلى؛ الشمس؛ الليل؛ الضحى؛ العلق؛ فرؤوس آياتها فيها التقليل فقط.

⁵ سورة البقرة: الآية 125.

⁶ سورة الإسراء: الآية 18.

⁷ سورة الإنشقاق: الآية 12.

⁸ سورة الأعلى: الآية 12.

⁹ سورة العاشية: الآية 04.

¹⁰ سورة الليل: الآية 15.

¹¹ سورة المسد: الآية 03.



3 - الرّاء: الأصل في الرّاء التّفخيم عند الجمهور¹، ولا ترقق إلا لسبب من الأسباب، وقد تحققت المماثلة الصّوتيّة من باب التّفخيم والترقيق في صوت الرّاء، وهذا واضح من قول المارغني معللاً رأي فريق من العلماء عن الرّاء: «ترقق مع الكسرة لتسفلها، و تفخم مع الفتحة والضمة لتصعدهما، فإذا سكنت جرت على حكم المجاور لها»².

ترقق الرّاء في رواية ورش في الحالات الآتية:

- إذا كانت مكسورة مطلقا، سواء كان الكسر أصليا، أم عارضا؛ ومثال الأصليّ في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾³؛ أمّا العارض ففي نحو قوله جَلَّ جلاله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁴.

- إذا سُبقت بكسرة أصلية بكلمة واحدة، ومن أصل الكلمة نفسها، وقفا ووصلا، نحو قول الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾⁵. أما إذا لم تكن الكسرة من أصل الكلمة نفسها، فخمت الرّاء، مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾⁶؛ وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾⁷.

¹ يُنظر: التّحجيم الطّوالع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص106-107.

² نفسه، ص107.

³ سورة الحجّ: الآية27.

⁴ سورة الكوثر: الآيتان: 02-03.

⁵ سورة ص: الآية04.

⁶ سورة الإسراء: الآية65.

⁷ سورة غافر: الآية05.



- إذا سُبقت بياء المدّ أو اللين¹، بكلمة واحدة، وصلا ووقفًا، مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾²؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾³؛ وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁴.

- إذا سبقها حرف ساكن غير الحروف الثلاثة (الصاد؛ والطاء؛ والقاف)، وكان قبله كسر أصلي، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁵؛ وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾⁶؛ وقوله سبحانه: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾⁷.

- إذا وقعت الراء بعد حرفٍ ممال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾⁸؛ وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁹.

¹ بياء المدّ هي الكسرة الطويلة، وياء اللين هي الباء الساكنة المسبوقة بفتح كقولنا (بيّت).

² سورة الحجّ: الآية 06.

³ سورة غافر: الآية 05.

⁴ سورة البقرة: الآية 54.

⁵ سورة التّور: الآية 33.

⁶ سورة الشّرح: الآية 02.

⁷ سورة الأنبياء: الآية 03.

⁸ سورة ص: الآيتان: 46-47.

⁹ سورة الأنعام: الآية 27.



- إذا أميلت الألف بعد الراء ، مثل: كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾¹؛ وقوله سبحانه: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾²؛ وقوله عز وجل: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾³.
وتفخّم الراء في رواية ورش في الحالات الآتية:

- إذا جاءت مضمومة أو مفتوحة غير مماله ، ولم يقع قبلها في الكلمة الواحدة كسر أصلي ، ولا ياء مدّ ، مثل قول الله عز وجل: ﴿عُرْبًا أْتْرَابًا﴾⁴؛ وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾⁶.
ويستثنى من هذه القاعدة كلمة واحدة في القرآن الكريم، وهي (بشّر) حيث ترقّق عند ورش الراء الأولى والثانية، وصلاً ووقفاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾⁷.

- إذا جاءت ساكنة وقبلها فتح ، أو ضم، مثل قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾⁸؛ وقوله سبحانه: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾⁹.

- إذا جاءت ساكنة، أو مفتوحة، أو مضمومة، بعد كسر عارض، مثل قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

¹ سورة المائدة: الآية 14.

² سورة الحج: الآية 02.

³ سورة طه: الآية 23.

⁴ سورة الواقعة: الآية 37.

⁵ سورة التحل: الآية 102.

⁶ سورة القلم: الآية 48.

⁷ سورة المرسلات: الآية 32.

⁸ سورة المائدة: الآية 12.

⁹ سورة التكاثر: الآية 02.



رَصَدًا¹؛ وقوله سبحانه: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾².

- إذا سبقها حرف ساكن ، وكان قبله كسر عارض ، مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾³؛ وقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَأَتِ امْرُؤٍ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾⁴.

- إذا جاءت ساكنة أو متحركة بعد كسر أصلي ، و اتصل بها حرف استعلاء بعدها في كلمة واحدة، مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾⁵؛ وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾⁶؛ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾⁷. وكذلك إذا فصل بينها وبين حرف الاستعلاء ألف ، مثل: قول الله تعالى: ﴿وَوَظَنَّا أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾⁸؛ وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾⁹. أمّا إذا كان حرف الاستعلاء مكسوراً، فلورش فيها الوجهان

¹ سورة الجن: الآية 27.

² سورة التور: الآية 50.

³ سورة النساء: الآية 128.

⁴ سورة النساء: الآية 176.

⁵ سورة الأنعام: الآية 07.

⁶ سورة التوبة: الآية 122.

⁷ سورة التبا: الآية 21.

⁸ سورة القيامة: الآية 28.

⁹ سورة النساء: الآية 128.



الوجهان (التفخيم والترقيق)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾¹، والمقدم الترقيق.

- إذا وقعت الراء مكررة في كلمة وقبلها كسر أصلي ، كنعو قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾²؛ وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾³؛ وقوله سبحانه: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾⁴.

- تفخيم الراء في كل اسم أعجمي ، ولو وُجد فيه سبب الترقيق، وذلك في الكلمات الآتية، حيثما وقعت: (إبراهيم)؛ (إسرائيل)؛ (عمران)؛ (إرم ذات العماد).

- إذا وقعت بين الراء وبين الكسرة أحد الحروف الثلاثة (الصاد؛ والطاء؛ والقاف)، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁶؛ وقوله سبحانه: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾⁷.

ولورش جواز الوجهين (الترقيق، والتفخيم) في الحالات الآتية:

- ما كان على وزن (فِعْلًا)، وهي ست كلمات مخصوصة: (ذِكْرًا)؛ (سِتْرًا)؛ (إِمْرًا)؛ (وِزْرًا)؛ (حِجْرًا)؛ (صِهْرًا)؛ والتفخيم أولى عنده ؛ إلا إذا اجتمع مدّ البدل مع هذه الكلمات الست المخصوصة ، وكان حكم البدل

¹ سورة الشعراء: الآية 63.

² سورة التوبة: الآية 107.

³ سورة نوح: الآية 06.

⁴ سورة نوح: الآية 11.

⁵ سورة الأعراف: الآية 157.

⁶ سورة الروم: الآية 30.

⁷ سورة الدّاريات: الآية 02.



- التوسّط¹، فإنّ الإمام ورش رحمه الله يفخّمها ولا يرقّقها، كقول الله تعالى:
- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾².
- في كلمة (حَيْرَان) من قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾³، فيها الوجهان والتفخيم مقدم حملا على كلمة (عِمْرَان)⁴.
- في كلمتي (يَسْرِي) و(نُذْرِي) من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي﴾⁵؛
- يَسْرِي﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي﴾⁶: الوجهان، والترقيق مقدم.
- في كلمة (فِرْق) من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁷، والمقدم الترقيق.
- في كلمة ﴿الْقَطْرِ﴾ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾⁸، والترقيق مقدم.
- في كلمة (مِصْرَ)، وحكم الرّاء هنا الوجهان أيضاً إلا أنّ التفخيم مقدّم على الترقيق، عكس كلمة ﴿الْقَطْرِ﴾، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾⁹.

¹ للإمام ورش رحمه الله فيها خمسة أوجه وهي: قصر البدل مع ترقيق الرّاء وتفخيمها (أي الوجهان جائزان)، وتوسط البدل مع التفخيم فقط، وطول البدل مع ترقيق الرّاء وتفخيمها (أي الوجهان جائزان). يُنظر: التّجوم الطّوالع: المارغني، ص110-111.

² سورة البقرة: الآية200.

³ سورة الأنعام: الآية71.

⁴ يُنظر: التّجوم الطّوالع على الدرر اللّوامع: المارغني، ص108.

⁵ سورة الفجر: الآية04.

⁶ سورة القمر: الآية16.

⁷ سورة الشعراء: الآية63.

⁸ سورة سبأ: الآية12.

⁹ سورة يوسف: الآية99.



سابعاً: أحكام الهمزة.

تميّزت رواية ورش بتسهيل الهمزة أكثر من غيرها، ولا تخلو أحكام الهمزة، من بعض المظاهر الصوتية بفعل التأثير والتأثر؛ والهمز لغة هو الدفع بسرعة، يقال (همز الفرس) أي دفعه بسرعة؛ ي قول ابن منظور: «هَمَزَ رَأْسَهُ يَهْمِزُهُ هَمَزاً غَمَزَهُ، وَقَدْ هَمَزْتُ الشَّيْءَ فِي كَفِي [...] وَهَمَزَ الْجَوْزَةَ بِيَدِهِ يَهْمِزُهَا [...] قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ: (وَقَدْ يَكُونُ جَمْعٌ مِهْمَزٍ). قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: (وَهَمَزَ الْقَنَاةَ ضَعَطَهَا بِالْمَهَامِزِ إِذَا تُقِفَتْ. وَالْمَهَامِزُ عِصِيٌّ وَاحِدَتَا مِهْمَزَةٍ، وَهِيَ عَصَا فِي رَأْسِهَا حَدِيدَةٌ يُنْحَسُ بِهَا الْحِمَارُ) [...] وَالْهَمْزُ مِثْلُ الْعَمَزِ وَالضَّعَطِ، وَمِنْهُ الْهَمْزُ فِي الْكَلَامِ لِأَنَّهُ يُضَعَطُ، وَقَدْ هَمَزْتُ الْحَرْفَ فَانْهَمَزَ، وَقِيلَ لِأَعْرَابِي: (أَتَهْمِزُ الْفَارِ؟)، فَقَالَ: (السَّنُورُ يَهْمِزُهَا). وَالْهَمْزُ مِثْلُ اللَّمَزِ، وَهَمَزَهُ دَفَعَهُ وَضْرِبَهُ، وَهَمَزْتُهُ وَلَمَزْتُهُ وَلَهَزْتُهُ وَنَهَزْتُهُ إِذَا دَفَعْتَهُ»¹.

و سمي هذا الحرف كذلك لأن الصوت يدفع عند النطق به لثقله، وقد عدّه القدامى من الأصوات الجهورية، وهو صوت شديد مستفل، مصمت منتفخ، مخرجه من أقصى الحلق²، وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أنه من الحنجرة الحنجرة أو من الزمار نفسه³. ولما كانت الهمزة أثقل الأصوات نطقاً وأبعدها مخرجا؛ تنوع العرب في تخفيفها بمختلف أنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم لها تخفيفاً، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفها من طرقهم كنافع من رواية ورش⁴.

¹ لسان العرب: ابن منظور، مادة (هم ز)، ص 425/5.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 118.

³ يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 88-89.

⁴ يُنظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ص 262/1.



وأحكام الهمزة كثيرة لا يُمكنُ حصرها في بضع صفحات، وسأكتفي هنا بذكر ما يتعلق من أحكامها بمظاهر التماثل الصوتي في رواية ورش.

أحكام الهمز أربعة : (التحقيق) وهو الأصل في الهمز، ويُقابله التغيير بأحد الأنواع الثلاثة (التسهيل؛ و الإسقاط؛ و الإبدال)¹؛ و الهمز قسمان : مفرد ومزدوج؛ وسأكتفي في هذا الفصل بذكر بعض أحكام الهمز المفرد، لما لها من علاقة وطيدة بالتماثل الصوتي، تاركاً الحديث عن الهمز المزدوج للفصل الرابع الخاص بالظواهر التخالفية في قراءة نافع.

الهمز المفرد هو الهمز الذي لم يلاصق مثله²؛ فيه عدة مسائل في رواية ورش من طريق الأزرق، ومنها حالات يُبدل فيها ورش الهمزة صوت مدّ، وهي:

- الهمزة الساكنة فاء الكلمة أصلاً: فإذا كانت الهمزة الساكنة فاء الكلمة أصلاً فإن ورشاً يبدل هذه الهمزة صوت مدّ يُناسب الحركة التي قبلها³، ومثاله في الآيات الآتية: ﴿وَقَالَ الْآخِرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾⁴؛ فلما كانت الهمزة الساكنة في: (تَأْكُلُ) فاءً لأصل الكلمة (أَكَلَ) ولما سُبقت هذه الهمزة بفتح، أُبدلت عند ورش بما يُناسبها من أصوات المدّ وهو (الألف) لتصبح (تَأْكُلُ).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾⁵ فالهمزة الساكنة في: (يُؤْمِنُ) هي فاء أصل الكلمة (ءَأْمَنَ) ولما سُبقت هذه الهمزة الساكنة بضمّ أُبدلت عند ورش بما يُناسبها من أصوات المدّ وهي (الواو) لتصبح (يُؤْمِنُ).

¹ يُنظر: التّجويد الطّوالع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص51.

² يُنظر: نفسه، ص63.

³ يُنظر: نفسه، ص81-82.

⁴ سورة يوسف: الآية36.

⁵ سورة يونس: الآية40.



وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾¹ فالهمزة الساكنة في: (ائتنا) هي فاء أصل الكلمة (أتى) ولما سُبقت هذه الهمزة الساكنة بكسر أُبدلت بما يُناسبها من أصوات المدّ وهي (الياء)² لتُقرأ: (ائتنا). ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾³ حيث الهمزة الساكنة في: (أوئمن) هي فاء أصل الكلمة (ائتمن) ولما سُبقت هذه الهمزة الساكنة بكسر أُبدلت بما يُناسبها من أصوات المدّ وهي (الياء) لتُقرأ: (الذيتمن).

ويوجد عند ورش مستثنيات لهذا النوع من المدّ، إذ يوجد في القرآن الكريم سبع كلمات تنطبق عليها القاعدة السابقة ولا مدّ فيها عند ورش، والهمزة فيها محققة، وكلها مشتقة من كلمة (أوى)، ووجه الاستثناء هنا هو التخفيف، لأنّ الإبدال في (تؤويه) يُوجب ثقلاً أشدّ من ثقل الهمزة، يقول المارغني: «لأنّه يُؤدّي إلى اجتماع واوين، الأولى ساكنة وهي المبدلة من الهمزة، والثانية متحرّكة، ولا شك أنّ اجتماعهما أثقل في التطق من تحقيق الهمز، فترك الإبدال وحقق الهمز»⁴؛ وهذه الكلمات السبع موجودة في الآيات التالية من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾⁵؛ ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَايَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ﴾⁶؛ ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁷؛ ﴿مَاؤَايِكُمْ النَّارُ هِيَ

¹ سورة الأنفال: الآية 32.

² يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 82.

³ سورة البقرة: الآية 283.

⁴ التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 83.

⁵ سورة النازعات: الآية 41.

⁶ سورة آل عمران: الآية 197.

⁷ سورة الكهف: الآية 16.



مَوْلَاكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ¹؛ ﴿وَفَصَّلْتَهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾²؛ ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾³؛ ﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾⁴.

ويوجد في القرآن الكريم سبع (07) كلمات يُبدل ورشُّ الهمزة فيها صوت مدٍّ من جنس الحركة التي تسبقها، للمماثلة بينهما، ويكون مقدار مدّها بحسب ما يليها من أسباب المدِّ؛ فمن هذه الكلمات:

– الهمزة الساكنة عين الكلمة المسبوقة بكسر: حيث تُبدل الهمزة بصوت

المدِّ (الياء)⁵، وقد وردت في القرآن الكريم في ثلاث (03) كلمات هي (بِئْسَ؛ وِبِئْرٍ؛ وَذَيْبٍ)، نحو قوله تعالى في كلمة (بِئْسَ): ﴿بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾⁶؛ وكلمة (بِئْرٍ) من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾⁷؛ مَشِيدٍ⁷؛ وكذلك (الذَّيْبُ) من: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّيْبُ﴾⁸.

– الهمزة الساكنة المسبوقة بفتح، في لفظ لا يوزن لآئه أعجمي: حيث

تُبدل الهمزة صوت مدٍّ من جنس الفتحة التي سبقتها، ومثال ذلك (يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁹.

¹ سورة الحديد: الآية 15.

² سورة المعارج: الآية 13.

³ سورة الأنفال: الآية 16.

⁴ سورة الأحزاب: الآية 51.

⁵ يُنظر: التَّجْوِيدُ الطَّوَالِعُ عَلَى الدَّرْرِ اللَّوَامِعِ: المَارغِي، ص 84-85.

⁶ سورة هود: الآية 99.

⁷ سورة الحج: الآية 45.

⁸ سورة يوسف: الآية 14.

⁹ سورة يوسف: الآية 14.



- الهمزة المتحرّكة بالفتح المسبوقة بفتح: حيث تُبدل الهمزة بصوت المدّ الذي يُناسبه (الألف)¹، نحو: قوله عزّ وجلّ في كلمة (سأل): ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾²؛ وكلمة (أرأيت): ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾³؛ وكذلك وكذلك (منسأته): ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾⁴.

ويوجد حالات أخرى في القرآن الكريم تتعلق بالهمزة المتحرّكة، ومن ذلك:

- الهمزة فاء الكلمة المتحرّكة بالفتح المسبوقة بضمّ: حيث تُبدل الهمزة بصوت يُناسب الضمّة قبلها في المخرج (وهو الواو)⁵، نحو: قوله عزّ وجلّ في كلمة (موجلاً): ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً﴾⁶؛ ﴿مُوجَّلاً﴾⁶؛ وكلمة (مؤذن): ﴿ثُمَّ أَدْنَىٰ أُذُنًا يُؤَدِّنُ بِهَا الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ لِيَذُكُرُوا الْحِكْمَ الَّذِي فَضَّلْنَا لَكَ﴾⁷؛ وكلمة (يؤاخذكم): ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾⁸؛ وكلمة (المؤلفة): ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾⁹.

- الهمزة فاء الكلمة المتحرّكة بالفتح المسبوقة بكسر: حيث تُبدل الهمزة بصوت يُناسب الكسرة قبلها في المخرج والصفات (وهو الياء)، إذ الكسرة

¹ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: خالد شكري، ص87.

² سورة المعارج: الآية01.

³ سورة الماعون: الآية01.

⁴ سورة سبأ: الآية14.

⁵ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: خالد شكري، ص86.

⁶ سورة آل عمران: الآية145.

⁷ سورة يوسف: الآية70.

⁸ سورة البقرة: الآية225.

⁹ سورة التوبة: الآية60.



من جنس الياء¹، نحو: قوله عز وجل في كلمة (لئلا): ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾²؛ وقوله عز وجل في كلمة (لأهب): ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾³.

ولورش حالات خاصة في الهمز المفرد المتحرك، ومن ذلك:

- كلمة (اللائي): يُسهل ورش الهمزة في هذه الكلمة فتكتب (اللي) وتقرأ في حال الوصل بين الهمز والياء أو كالهاء (اللاوي). أمّا في حال الوقف عليها فتقرأ (اللائي) فتتمدّ ست حركات. وقطع المغاربة بإبدالها ياءً ساكنة⁴. وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَاللِّي يَبْسُتَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾⁵، وفي قراءة المغاربة مظهر من مظاهر التماثل الصوتي في المخارج، كون الهمزة بعيد المخرج عن اللام، فأبدلت بصوت قريب المخرج من اللام ويتمتع بالصفات نفسها (الجهر) وهو الياء الساكنة⁶، ثم إن الياء تناسب كسرة الهمزة، فالكسرة من جنس الياء.

- كلمة (النسيء): يُبدل ورش الهمزة المضمومة ياءً مضمومة لتُناسب ياء المدّ قبلها، ليتمّ الإدغام بعد ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾⁷، طلباً للمناسبة الصوتية والتماثل.

¹ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: خالد شكري، ص 87.

² سورة آل عمران: الآية 145.

³ سورة مريم: الآية 19.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 314/1.

⁵ سورة الطلاق: الآية 04.

⁶ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

⁷ سورة التوبة: الآية 37.



ولا يختصّ الهمز المفرد بالإبدال فقط، بل الحذف أيضاً سبيل من سبيل المماثلة الصوتية، ومن ذلك:

- كلمة (هَأَنْتُمْ) حيثما وردت: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾¹، حيث تم حذف الهمزة والإبقاء على الصائت الطويل قبلها.

- وكلمة (بَيْس) من قول الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيَسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾²، حيث حُذفت الهمزة مع بقاء الصائت الطويل بعدها، وحُذفت الفتحة قبلها طلباً للتماثل الصوتي مع الصائت الطويل.

- وكلمة (الصَّابِينَ) من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾³، حيث حُذفت الهمزة.

- وكلمة (الصَّابِتُونَ) من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴، حيث حُذفت الهمزة، وحُذفت الكسرة قبلها طلباً للتماثل الصوتي مع الصائت الطويل (الواو).

ولا يختصّ الهمز المفرد بالإبدال والحذف فقط، بل النقل أيضاً سبيل من سبيل المماثلة الصوتية، حيث يُقرأ لورش بنقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن قبلها مع حذف الهمزة، على شرط أن يكون الساكن قبلها صحيحاً منفصلاً⁵، ومن

¹ سورة آل عمران: الآية 66.

² سورة الأعراف: الآية 165.

³ سورة الحج: الآية 17.

⁴ سورة المائدة: الآية 69.

⁵ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية: أحمد خالد شكري، ص 88.



ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾¹، تُقرأ (قَدْ فَلَاحَ)، حيثُ حرك الساكن قبل الهمزة بحركتها (الفتحة) وحُذفت الهمزة؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيذُهَا سِيرَتَهَا الْاُولَى﴾²، تُقرأ (لُولَى)، حيثُ حرك الساكن قبل الهمزة بحركتها (الضمّة) وحُذفت الهمزة؛ وقوله سبحانه: ﴿قَالَتِ احْدَاهُمَا يَا اَبْتِ اسْتَاغِرْهُ اِنْ خَيْرٍ مِّنْ اسْتَاغَرْتَ الْقَوِيَّ الْاَمِينُ﴾³، تُقرأ (قَالَتِ حِدَاهُمَا)، حيثُ حرك الساكن قبل الهمزة بحركتها (الكسرة) وحُذفت الهمزة.

ثامناً: أحكام المدّ.

أحكام وأنواع المدّ كثيرة ومتنوّعة، وفي أنواع المدّ عند ورش حالات تظهر فيه ظواهر التماثل الصوتي، تدرج كلّها ضمن قسمين رئيسين هما: المدّ الأصلي (أو الطبيعي) والمدّ الفرعي.

فالمدّ الأصلي، ويُسمّى أيضاً المدّ الطبيعي⁴، هو المد الذي لا يتوقف تحقّقه على أي سبب من الأسباب، وعلامته أن لا يوجد قبل حرف المدّ همز ولا بعده همز ولا سكون، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ إلاّ به، ولذلك يُسمّى بعض العلماء بالمدّ الذاتي وينعته آخرون بمدّ الصيغة، ويُعبّر عنه بالقصر⁵. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾⁶ حيث نلاحظ أن كلّ المدود في هذه الآية أصلية طبيعية

¹ سورة المؤمنون: الآية 01.

² سورة طه: الآية 21.

³ سورة القصص: الآية 26.

⁴ سُمّي طبيعياً لأنّ صاحب الطبيعة السليمة لا يُنقصه ولا يزيده عن حركتين، أي بقدر ألف، وهو الرّمّ اللازم للتّلق بجرّكتين متتاليتين. يُنظر: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص 209.

⁵ يُنظر: التّجويد الطوالع على الدّرر اللّوامع: للمارغني، ص 47.

⁶ سورة التّور: الآية 35.



لانعدام الهمز قبلها وبعدها، ولعدم إلحاقها بالسكون. و مقدار المد الطبيعي حركتان أي مقدار صائتين قصيرين، والحركة كما ذكر العلماء بمقدار زمن قبض الإصبع أو بسطه بحال وسط بين الإسراع والتأني¹؛ ومثال ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿أَتَجَادِلُونِي﴾².

ويستثنى مما تنطبق عليه قاعدة المد الطبيعي كلمتان في كتاب الله عز وجل، وهما: (أنا) و(لكننا)، حيث يقرأ لورش إثباته الألف في كليهما حال الوقف، فتُمدان مدّاً طبيعياً أي مقدار حركتين حيثما وردتا كسائر القراء. أمّا في حال الوصل فلهما قراءة خاصة عند ورش³.

حيث يُحذف المد الطبيعي في كلمة (أنا) وصلاً في حالتين:

- إذا وليها حرف غير الهمز: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾⁴ تُقرأ: (أَنعَابِدُ)؛ وقوله عز وجل: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾⁵ تُقرأ: (أَنخَيْرُ)؛ ليتحوّل للمقطع القصير قبله (أ).

- إذا وليها همز مكسور: وذلك في ثلاثة مواضع من قول الله تعالى: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾⁶ يقرأها ورش: (إِنَالاً). ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾⁷ يقرأها: (إِنَالاً). ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾⁸ يقرأها: (أَنَالاً).

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص211.

² سورة الأعراف: الآية71.

³ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص94.

⁴ سورة الكافرون: الآية4.

⁵ سورة ص: الآية76.

⁶ سورة الأعراف: الآية188.

⁷ سورة الشعراء: الآية115.

⁸ سورة الأحقاف: الآية9.



أما إذا وليها همزة القطع المفتوحة والمضمومة فالمعروف عند ورش إثباته ألف (أنا)¹ نحو قوله عز وجل: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾² و﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾³.

بينما يُبدلُ الصَّائت الطويل (الألف) بآخر قصير يُناسبه (الفتحة) في (لكنَّا) وصلا كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾⁴، حيث يقرأها ورش: (لَكِنَّهُوَ اللَّهُ) بدون مد⁵؛ وأصلها كلمتين (لكن+أنا) حُذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى النون الساكنة فأصبحت (لكننا)، ثم أدغمت النون في النون فأصبحت (لكنَّا)⁶؛ ووجه التماثل هنا هو تتابع صوتين مثلين (النونين) وإدغام أحدهما في الثاني، بفعل حذف الهمزة.

وكذلك تظهر بعض مظاهر التماثل الصوتي في مد البدل عند ورش، ويكون ذلك في مستثنيات مد البدل، ومن ذلك كلمة (يُؤَاخِذُ) ومشتقاتها، حيث يُثبتُ ورش القصر فقط، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾⁷. حيث ذكر الداني إجماع أهل الأداء على ترك زيادة التمكين للألف للألف في هذه الكلمة حيث وقع، وكأن ذلك عندهم من (وَآخِذَتْ) غير مهموز⁸؛ ولذلك أثبت الواو بدل الهمزة لتتناسب مع الضمة قبلها.

¹ يُنظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص188.

² سورة يوسف: الآية45.

³ سورة يوسف: الآية69.

⁴ سورة الكهف: الآية38.

⁵ يُنظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص391.

⁶ يُنظر: حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زخلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1402هـ-1982م، ص417.

⁷ سورة البقرة: الآية225.

⁸ يُنظر: التجويد الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص57.



تاسعاً: هاء الكناية.

هاء الضمير في اصطلاح القُرَّاء هي الهاء الزائدة الدالة على الواحد المذكر الغائب ، وتُسَمَّى أيضا (هاء الضمير) ، وتتصل بالاسم وبالفعل وبالْحَرْف¹.

فمثال ما تتصل بالفعل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾² ، فهاء الضمير في كلمة (جاءه) زائدة وليست أصلية كما في (نَفَقَهُ) من قوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾³ ، تَقُولُ﴾³ ، كما أن الهاء في كلمة (جاءه) تدل على الواحد المذكر الغائب ولا تدل على الواحدة المؤنثة كما في (عَلَيْهَا) من ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾⁴ ، ولا على التثنية مثل (عَلَيْهِمَا) من ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾⁵ ، ولا على الجمع نحو (عَلَيْهِمْ) من قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁶.

ومثال ما تتصل بالاسم وبالْحَرْف في قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾⁷ .

والأصل في هاء الضمير البناء على الضم ، إلا إذا سبقها كسر أو ياء مدية أو ياء ساكنة فإنها تكون مكسورة طلباً للتخفيف والمماثلة والمشاكلة⁸ ، نحو قوله

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص241.

² سورة البقرة: الآية275.

³ سورة هود: الآية91.

⁴ سورة آل عمران: الآية37.

⁵ سورة الصافات: الآية119.

⁶ سورة الفاتحة: الآية07.

⁷ سورة البقرة: الآية131.

⁸ يُنظر: التجويد الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص39-40.



تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهِي وَأَخَاهُ﴾¹، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾²، ﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾³.

وتتجلى المماثلة أيضاً في صلة هاء الضمير، فقد وصلها القراء بواو حال كونها مضمومة وبياء حال كونها مكسورة، وذلك من أجل تبيين الهاء لخفائها⁴، وكان الأصل في الصلة الواو، مثلما كان الأصل في الهاء الضم؛ يقول المارغني: «وإذا وصلت المكسورة انقلبت الواو، التي كانت مع الضمة، ياءً، لأنهم يفرّون في كلامهم من الواو الساكنة بعد الكسر، طلباً للتخفيف»⁵.

ويلحق بهاء الكناية في ذلك الهاء التي تسبق ميم الجمع، وهي الميم الزائدة الدالة على جمع المذكورين حقيقة وتزيلاً⁶؛ حيث تكون الهاء معها مضمومة، فإذا تقدمها كسر أو ياء ساكنة كسرت مجانستهما⁵. يقول الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَّاءَ فَزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾⁷، حيث قلبت ضمة الهاء في (أَيْدِيهِمْ) كسرة لتوافق الكسرة الطويلة قبلها (ياء المدّ)، وكسرت الهاء في (عَلَيْهِمْ) لتوافق الياء الساكنة قبلها، وقلبت ضمة الهاء كسرة في (قَبْلِهِمْ) لتوافق الكسرة قبلها، بينما بقيت مضمومة في (لَهُمْ) لعدم وجود تنافر بينها وبين الفتحة قبلها؛ وهو تأثر كليّ في حالة الانفصال⁸، حيث تأثرت الضمة في

¹ سورة الشعراء: الآية 36.

² سورة القلم: الآية 37.

³ سورة المزمل: الآية 08.

⁴ يُنظر: التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العُكبري محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين،

تحقيق: علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية-القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص1/09.

⁵ التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص31.

⁶ يُنظر: نفسه، ص34.

⁷ سورة آل عمران: الآية 07.

⁸ يُنظر: التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، ص34.



في ضمير النصب والجر لهاء الضمير الغائب في جمع المذكر (هَمْ) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة، أو ياء ساكنة، فقلبت الضمة كسرةً.

عاشراً: ياءات الإضافة.

ياء الإضافة في اصطلاح القراء هي الياء الزائدة الدالة على المتكلم¹ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾²؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾³؛ و﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾⁴.

وخرج بالزائدة الياء الأصلية نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾⁵.

وخرج بالدالة على المتكلم الياء من جمع المذكر السالم، والياء الدالة على مخاطبة المؤنثة، نحو قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁶؛ وقوله جلّ شأنه: ﴿وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁷؛ ونحو: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾⁸.

¹ يُنظر: التّحوم الطّوالع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص172.

² سورة الأحقاف: الآية15.

³ سورة البقرة: الآية186.

⁴ سورة نوح: الآية6.

⁵ سورة الروم: الآية29.

⁶ سورة البقرة: الآية196.

⁷ سورة الحج: الآية35.

⁸ سورة مريم: الآية26.



وتتصل ياء الإضافة بالحرف وبالفعل وبالاسم ؛ فتكون مع الاسم في محل جر مضاف إليه، نحو قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾².

وتكون مع الفعل في محل نصب مفعول به³، كقوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنِّي أَنَّ تَذَهَبُوا بِهِ﴾⁴؛ ومع الحرف في محل جر أو نصب، فمجرورة المحل كقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتِرِلُونِ﴾⁵؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾⁶. أمّا منصوبة المحل، ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾⁷.

فَاسْمِعُونِ﴾⁷.

والفائدة من دراسة ياء الإضافة هي معرفة قراءتها وصلا صوتاً صامتاً بالفتح أم صوت مدّ، وتحديد الحالات التي تلجأ إليها الكلمات في المماثلة بين أصواتها ؛ ذلك أن ياء الإضافة تقع إما بعد حرف محرك أو بعد حرف ساكن أو صوت مدّ.

فإذا وقعت بعد حرف ساكن أو بعد صوت مدّ فلا خلاف عند ورش في فتحها مهما كان الحرف الذي يليها، لتصبح بذلك صوتاً صامتاً لا صوت مدّ ، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾⁸؛ و﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾⁹؛ و﴿مَا أَنَا

¹ سورة المائدة: الآية 25.

² سورة طه: الآية 124.

³ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 172.

⁴ سورة يوسف: الآية 13.

⁵ سورة الدخان: الآية 21.

⁶ سورة مريم: الآية 47.

⁷ سورة يس: الآية 25.

⁸ سورة ق: الآية 23.

⁹ سورة ص: الآية 75.



بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ¹؛ ﴿قَالَ يَا
يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ﴾²؛ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي
وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى﴾³؛ إلا في (محياي) من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴، فقد روى ورش فيها الوجهين
(محياي، محياي)، لكن المقروء به هو الإسكان (محياي)⁵.

أما إذا وقعت بعد حرف محرك، فإن تلك الحركة تُصبح كسرة لتتماثل مع الياء
بعدها، ولورش في ذلك حالات، فهو يشبعها أحيانا أو يمدّها مدّا طبيعيا،
ويختزلها أحيانا أخرى، بحسب ما يقع بعدها، إذ أنّها تقع إمّا قبل همزة القطع، أو
قبل همزة الوصل، أو قبل حرف آخر غيرهما، فهي بحسب موقعها على ثلاثة
أنواع:

أ - ياء الإضافة قبل همزة القطع: يقوم ورش بإشباع ياءات الإضافة قبل
همز القطع، سواء كان هذا الهمز مفتوحا أم مكسورا أم مضموما، في آيات
مخصوصة من كتاب الله تعالى، نذكرها في الجدول الآتي:

السورة	رقم الآية	الآية
البقرة	152	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
الأعراف	143	﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
التوبة	49	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾
هود	47	﴿وَالْإِلَّا تَعْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

¹ سورة إبراهيم: الآية 22.

² سورة يوسف: الآية 19.

³ سورة طه: الآية 18.

⁴ سورة الأنعام: الآية 162.

⁵ يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص 174.



﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾	43	مریم
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾	26	غافر
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	غافر
﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	14	الأعراف
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	36	الحجر
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	79	ص
﴿قَالَ رَبِّ السَّحْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	33	يوسف
﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾	34	القصص
﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾	41	غافر
﴿لَا جْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ﴾	43	غافر
﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾	15	الأحقاف
﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾	10	المنافقون
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾	40	البقرة
﴿قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾	96	الكهف

أما ما ذكر في القرآن الكريم من ياءات الإضافة قبل همز القطع في غير هذه الآيات البيّنات فإن ورشا يفتحها كلّها ولا يمدّ فيها¹، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾²، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾³، ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾⁴.

ب - وإذا وقعت ياء الإضافة قبل همزة الوصل الواقعة في الأفعال، فإن ورشاً يجتزئها في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ يَا

¹ يُنظر: التّحجّوم الطّوالع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص175-176.

² سورة مریم: الآية10.

³ سورة الزمر: الآية11.

⁴ سورة المائدة: الآية28.



مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي¹؛ ﴿هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾²؛ وكذلك: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾³.

أمّا في غير هذه المواضع الثلاث فإن ورشا يفتح ياءات الإضافة الواقعة قبل همزة الوصل، سواء كانت همزة الوصل في الأسماء أم في الأفعال⁴، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾⁵؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁶؛ وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁷.

ج - ويمدّ ورش في جميع ياءات الإضافة الواقعة قبل حرف آخر غير همزتي القطع والوصل، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾⁸، وقوله وقوله جلّ جلاله: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾⁹.

ويستثنى من ذلك أحد عشر موضعاً، يفتح فيها ورش ياء الإضافة الواقعة قبل غير الهمزتين ولا يمدّها¹⁰، أجملها في الجدول الآتي:

السورة	رقم الآية	الآية
البقرة	125	﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾
البقرة	186	﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

¹ سورة الأعراف: الآية 144.

² سورة طه: الآيتان: 30 و31.

³ سورة الفرقان: الآية 27.

⁴ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 176.

⁵ سورة البقرة: الآية 258.

⁶ سورة الأنبياء: الآية 83.

⁷ سورة الفرقان: الآية 30.

⁸ سورة الأنعام: الآية 153.

⁹ سورة الشعراء: الآية 62.

¹⁰ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 157.



﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾	20	آل عمران
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾	79	الأنعام
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	162	الأنعام
﴿وَلِي فِيهَا مَا رُبُّ أُخْرَى﴾	18	طه
﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾	26	الحج
﴿وَنَحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	118	الشعراء
﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	22	يس
﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُون﴾	21	الدخان
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين﴾	06	الكافرون

أما كلمة (محيي) فلورش في ذلك وجهان - كما ذكرنا آنفاً -: الفتح والإسكان (محيي، محيي)، والإسكان أولى¹.

ملاحظة: إذا وقعت قبل ياء الإضافة ياء ساكنة، وتم إدغامها فيها، فإنها تفتح وتُشدّد²؛ وقد تحقّق ذلك في تسع (09) كلمات في اثنين وسبعين (72) موضعاً من القرآن الكريم، وهي: إِلِيّ؛ عَلِيّ؛ يَدِيّ؛ لَدِيّ؛ بَنِيّ؛ بُنْيّ؛ ابْنَتِيّ؛ وَالِدِيّ؛ مُصْرِحِيّ.

حادي عشر: الوقف.

تتعدّد أحكام الوقف في قراءة نافع، وتتعدّد معها الظواهر الصوتية، بتأثر الأصوات المتجاورة بعضها في بعض؛ والوقف لغة هو الكف عن الفعل والقول³، والقول³، واصطلاحاً هو قطع الصوت عن آخر الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة

¹ يُنظر: ص211 من هذا البحث.

² يُنظر: التجوم الطواع على الدرر اللوامع: المارغني، ص137.

³ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (وقف)، ص359/9.



بنية استئناف القراءة ، فلا بدّ من التنفس فيه ¹ . ويكون الوقف في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يكون في وسط الكلمة، ولا فيما أتصل رسماً ² .
والفرق بينه وبين السكت هو أنّ هذا الأخير يتمّ بقطع الصوت زمناً أقل من زمن الوقف من غير تنفس، ويقع وسط الكلمة وفيما أتصل رسماً ¹ ، ويُستعمل في رواية ورش من طريق الأزرق عند الفصل بين سورتين بدون قراءة البسملة ³ .
بينما القطع معناه الانتهاء من القراءة والانصراف عنها، ولا يكون القطع إلاّ على رؤوس الآي، إلاّ أنّ بعض المتقدّمين يستعملون هذا مصطلح وهم يريدون به الوقف ¹ .

والأصل في الوقف أن يكون بإسكان المتحرّك آخر الكلمة ⁴ ، لأنّ السكون أخفّ من الحركة ، فالوقف موضع تخفيف واستراحة، وكما يختصّ الابتداء بالحركة، يختصّ الوقف بالسكون ² .

وقد يقف القراء بإسكان الحرف بعد حذف ما يليه من تنوين المرفوع والمجرور، أو صلة هاء الضمير ، أو صلة ميم الجمع ، أو الياءات الزوائد. وقد يكون الوقف عند القراء بأوجه أخرى غير الإسكان والحذف، وهي: الإبدال؛ والروم؛ والإشمام ⁵ .

1 - الوقف بالإبدال : إذا وقف القارئ على تنوين منصوب وجب عليه إبدال هذا التنوين بصوت المدّ الذي يُناسبه (الألف)، نحو قوله تعالى:

¹ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص121.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص232.

³ هذا ما اختاره الداني، وإلاّ فلورش وجه آخر استعمله أحياناً، وهو قراءة البسملة إذا وصل بين سورتين، إلاّ في سورة التوبة لأنّها في المصحف بدون بسملة. يُنظر: التجوم الطوالع: المارغني، ص26-27.

⁴ إنّما كان السكون هو أصل الوقف ، لأنّ الوقف معناه لغة الكفّ والترك، والوقف يترك حركة الحرف الموقوف عليه. يُنظر: التجوم الطوالع: المارغني، ص157.

⁵ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص121-122.



﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾¹. ومن ذلك نون التوكيد الخفيفة بعد الفتح كما في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾²، حيثُ تبدل هذه النون ألفاً لتصبح (لَنَسْفَعًا)؛ ومثل ذلك نون (إِذَا) من قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذِقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾³، حيثُ يوقف عليها بألف المدّ بدل التنوين، فتبدلُ النون الساكنة فتحة للتماثل مع الفتحة قبلها، وما ألف المدّ إلا فتحتان. ومن الوقف بالإبدال أيضاً أنه إذا وقف القارئ على تاء التانيث المتحركة اللاحقة للأسماء المرسومة هاء (أي مربوطة) وجب عليه إبدال هذه التاء هاءً، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾⁴؛ وقوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾⁵، حيثُ تُنطق (الجنّة) و(الرحمة)؛ فعند الوقف على التاء يتم حذف حركتها، ومن ثمّ إبدالها هاءً، لأنّ الوقوف عند هاء ساكنة أسهل على اللسان من الوقوف على تاء ساكنة مسبوقه بصائت قصير، فالتاء من طرف اللسان بينما الهاء فمن أقصى الحلق؛ وبعبارة أخرى الوقوف عند مقطع متوسّط مغلق بهاء أسهل على اللسان من الوقوف عن مقطع متوسّط مغلق بتاء.

2 - الوقف بالرّوم: وهو إضعاف صوت الحركة من غير أن يذهب الصوت كلية، فيسمع من الحركة جزء يسير بصوت خفي، يسمعه القريب دون البعيد، ويدركه الأعمى بحاسة سمعه⁶، ولا يجوز مع الرّوم إلا القصير⁷.

¹ سورة الإسراء: الآية 06.

² سورة العلق: الآية 15.

³ سورة الإسراء: الآية 75.

⁴ سورة هود: الآية 23.

⁵ سورة الكهف: الآية 58.

⁶ يُنظر: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 158.

⁷ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص 198.



والرّوم¹ عند القُراء إنّما يكون في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور، ولا يكون في المنصوب ولا المفتوح، بخلاف النحويين الذين يرون الرّوم في ذلك كلّه. وحجّة القُراء في ذلك أنّ الرّوم بعض الحركة، والفتحة خفيفة، فإذا خرج بعضها خرج سائرها لأنّها لا تقبل التبويض كما يقبله الكسر والضمّ بما فيهما من الثقل²؛ والعبرة هنا بالحركة المفلوظ بها، سواء كانت أصلية أم نائبة عن غيرها، فيلحقون الرّوم بكسرة (السّموات) من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللهُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾³، رغم كونها منصوبة لأنّ نصبها بالكسرة؛ ولا يُلحقونه في الاسم الذي لا ينصرف، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾⁴، إِبْرَاهِيمَ⁴، رغم كونه مجروراً، لأنّ جرّه بالفتحة، والفتحة لا يدخلها الرّوم⁵.

3 - الوقف بالإشمام: وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت⁶، ويكون بضم الشفتين مباشرة بعد تسكين الحرف من غير تراخ، فهو فعل يُرى ولا يُسمع له أي صوت، ولا يُدرك ذلك الأعمى كالرّوم، لأنّه إيماء بالعضو إلى الحركة، وذلك خاصّ برؤية العين⁵. ولا يكون ضم الشفتين إلا مع الضمة، وسبب امتناعه مع الفتحة والكسرة ذكره الحصري بقوله: «إنّما يُناسبُ الضمة

¹ قد يستعمل بعض القُراء مصطلح (الإشارة) للدلالة على الرّوم والإشمام. إنّما يُستحسن الوقف بالإشارة إذا كان بحضرة القارئ من يسمع قراءته، ليعلم السّامع حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل. يُنظر: التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 93/2.

² يُنظر: التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 94/2.

³ سورة العنكبوت: الآية 44.

⁴ سورة البقرة: الآية 125.

⁵ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 234.

⁶ يُنظر: التّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 90/2.



لأنضمام الشفتين عند النطق بها، دون الفتحة والكسرة، لخروج الفتحة بانفتاح، والكسرة بانخفاض، ولأنَّ إشمام المفتوح والمكسور يُوهِمُ ضمَّها في الوصل»¹.
وإذا كان الروم يختصّ بآخر الكلمة، فإنَّ الإشمام قد يكون في أولها وفي وسطها، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُو لَنَاصِحُونَ﴾²، إلاَّ أنَّه في وسط الكلمة لا يكون بلا صوت، بل يكون مقارناً لصوت الحرف، وهو النون الساكنة³؛ ونحو قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾⁴، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁵، فقبل النطق بكسرة السين نشير إلى الضمة بضم الشفتين مع إسماع قليل من الضمة وكثير من الكسرة⁶.

وقد تجتمع الإشارة مع المدِّ في حالات مخصوصة منها:

- أن تكون الكلمة الموقوف عليها متحرّكة الآخر، ويكون قبل الحرف الأخير منها حرف مدّ ولين أو حرف لين فقط، وكانت حركة الحرف الأخير ضمة، سواء كانت ضمة إعراب نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁷، أم ضمة بناء نحو: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾⁸، فحينئذٍ يجوز في الوقف

¹ أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص235.

² سورة يوسف: الآية11.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص235.

⁴ سورة هود: الآية77.

⁵ سورة الملك: الآية27.

⁶ يُنظر: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص161.

⁷ سورة الفاتحة: الآية05.

⁸ سورة مريم: الآية46.



على الكلمة ثلاثة أوجه مع الإشمام (القصر والتوسط والإشباع)، ووجه واحد مع الروم وهو القصر، مراعاةً لحال المدّ وصلًا¹.
أما إذا كانت حركة الحرف الأخير كسرةً، سواءً كانت كسرة إعراب نحو: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾²، أم كانت كسرة بناءً نحو: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾³، فإنه يجوز الروم مع القصر⁴.
القصر⁴.

- إذا كان آخر الكلمة همزة متحركة، وكان قبل الهمزة حرف مدّ، فإن كانت حركة الهمزة كسرةً، سواءً كانت كسرة إعرابٍ نحو: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾⁵، أم كسرة بناءً نحو: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾⁶، فإنه يجوز في الوقف على الكلمة الروم مع التوسط أو الإشباع⁷.
فإن كانت الهمزة مضمومة، سواءً كانت ضمة إعرابٍ نحو: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾⁸، أو ضمة بناءً نحو: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾⁹، فإنه يجوز عند الوقف على هذه الكلمة وجهان مع الإشمام (التوسط و الإشباع)، ووجه واحد مع الروم وهو التوسط⁷.

¹ وهناك أوجه أخرى في حال الوقف بالسكون الخض دون الإشارة. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 267-238.

² سورة البقرة: الآية 142.

³ سورة الرعد: الآية 30.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 238.

⁵ سورة البقرة: الآية 19.

⁶ سورة الأنبياء: الآية 44.

⁷ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 240.

⁸ سورة البقرة: الآية 74.

⁹ سورة هود: الآية 44.



- إذا كان آخر الكلمة حرفاً مشدداً وقبله حرف مدّ ، فإن كان الحرف المشدّد مكسوراً نحو: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾¹، جاز الوقف بالروم مع إشباع المدّ².
فإن كان الحرف الأخير مضموماً نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَّتْ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾³، تعيّن في حرف المدّ الإشباع، وجاز في الحرف الأخير الإشمام، والروم⁴.

- إذا كان آخر الكلمة هاء كناية، فإذا وقعت هاء الضمير بعد فتحة أو ألف أو ساكن غير الواو والياء، فحكمها عند ورش هو جواز الإشارة (الروم والإشمام)، محافظة على بيان حركتها حيث لم يكن ثقل⁵. أمّا إذا وقعت بعد ضمة أو كسرة أو بعد ياء أو واو فهناك خلاف في جواز الإشارة فيها، والمأخوذ به عن الداني الجواز⁶؛ ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾⁷ (هاء الضمير بعد الكسرة)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ وَعَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾⁸ (بعد الضمة)؛ وكذلك: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه﴾⁹ (بعد الواو)؛ و﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾¹⁰.

¹ سورة الأنفال: الآية 22.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 241.

³ سورة النمل: الآية 10.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 241.

⁵ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص 243.

⁶ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 199.

⁷ سورة القيامة: الآية 16.

⁸ سورة آل عمران: الآية 101.

⁹ سورة الحاقة: الآية 30.

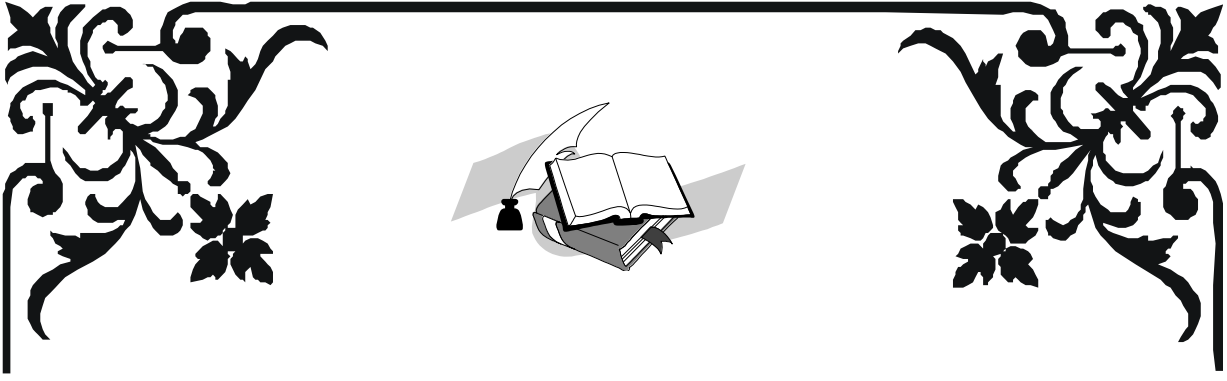
¹⁰ سورة الطور: الآية 38.



ويجبُ حذف صلة الهاء مع الروم ، فيوقفُ على الهاء المضمومة بضمّة من غير إشباع، ويوقفُ على الهاء المكسورة بكسرة من غير إشباع¹؛ وفي هذا إشارة إلى أن تماثل حركة الهاء الموقوف عندها حركة الصّوت الذي سبقها.

وبهذا يتبيّن لنا بشكل واضح كيف تجلّت تلك الظواهر الصوتية التماثلية في بعض أحكام التجويد الخاصّة بقراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق ، وإن كانت بعض التعليقات التي ذكرتها لا تُغني عن الأصل شيئاً، إذ المعمول به عند علماء القراءات والتجويد ، أنّ التعليقات لا تُقبلُ إلاّ إذا وافقت الأصل؛ والأصل هو التلقّي والمشافهة والنقل؛ فالتعليل إنّما هو تابع له. ويتّضح لنا من خلال هذا كلّهُ أنّ القراءات القرآنية، ومنها قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق ، لم تتعد كثيراً عن اللهجات العربية القديمة فيما يخصّ الظواهر الصوتية التماثلية، وقد تجلّى ذلك من خلال أحكام التلاوة التي بينها علماء القراءات والتجويد . ولعلّ الأمر نفسه بالنسبة لورود الظواهر الصوتية التخالفية في هذه القراءة، والذي يتّضح جليّاً من خلال الفصول التالية من هذا البحث.

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص243-244.



المباجج الثاني

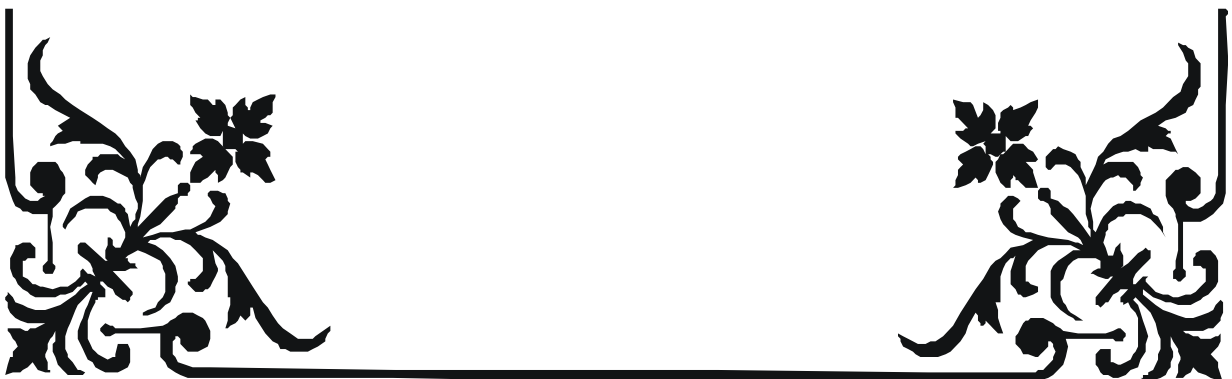
الظواهر الصوتية التخالفية

في قراءة نافع

الفصل الأول

المفهوم والتفسير الصوتي

للظواهر التخالفية





ذكرتُ في الفصول والمباحث السابقة أن طبيعة اللغة في تركيبها الصوتي وبنيتها التي تمرّ بمسارب سياقية واسعة، تجعل أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النموّ والاتّساع والتغيّر، وترتبط تلك التغيّرات بالسياق الصوتي، وتتحدّد بطبيعة الفونيمات المحيطة بالفونيم المتغيّر، وتظهر في صور عديدة، منها ظواهر التماثل الصوتي، الذي تركز إليها العربيّة في معالجة ما يشوب أبنيتها من اضطراب صوتي، درءاً للثقل واقتصاداً في الجهد العضليّ المبذول أثناء النطق. إلاّ أن بعضاً من ذلك التصدّع الذي يمس أبنية اللغة العربيّة، قد يتسبّب في حدوثه تجاوز بعض الأصوات المتماثلة أو المتقاربة، حيث يثقل على اللسان، في الكثير من الأحيان، الجمع بين صامتين متماثلين في كلمة واحدة، وبخاصّة إذا تجاوزا، فتلجأ العربيّة حينئذٍ إلى ملاذ آخر لتحقيق الأهداف نفسها من درء الثقل و طلب الخفة والتيسير في النطق ورأب التصدّع الذي يمس أبنيتها، فتتحوّ باتجاه معاكس للمماثلة الصوتيّة، وتتخذ من التخالّف والمغايرة بين تلك الأصوات سبيلاً لذلك، فيتمّ تغيير أحد هذين الصّامتين إلى صوت آخر يُخالفه؛ يقول عبد القادر عبد الجليل: «يرى علماء الدرس الصوتيّ الحديث أنّ المخالفة هي المسلك الصوتيّ اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات، من أجل إعادة حالة التوازن، وتقليل المدّ التأثيري للمماثلة، وهذه الظاهرة بمثابة القوّة السّالبة في الميدان اللّغويّ، وعن طريقها تُفسّر الكثير من ظواهر الإعلال و الإبدال الصوتيّة»¹.

فما هو مفهوم التخالّف الصوتي؟ وما هو التفسير الصوتيّ لمختلف صورهِ عند علماء العربيّة القدامى والمحدثين؟

¹ (علم الصّرف الصوتيّ: عبد القادر عبد الجليل، سلسلة الدراسات اللّغويّة (8)، دار أزمنة، 1998م، ص148).



أولاً: عند التّحاة واللّغويين.

إنّ المستقرئ لمجهودات علماء العربيّة القدامى في مجال الدراسات الصوتيّة، يلحظ مدى وَعَيْهِمُ البالغ لمختلف الظواهر الصوتيّة للغة العربيّة، ومنها ظاهرة التّخالف الصوتيِّ، إلّا أنّ المؤاخذ على تلك المجهودات أنّها كانت تفتقر إلى الإحاطة والشّمولية والمنهج الذي يتناول جزئياتها وتفصيلها، فقد كانت إشاراتهم إلى هذه الظواهر الصوتيّة متفرّقة هنا وهناك في ثنايا كتب الصّرف والنحو والدلالة والمعاجم، وغيرها من العلوم، كما أنّهم لم يتّفقوا على مصطلح واحد للدّلالة عليها؛ ومن ذلك أنّنا نجد مسائل التّخالف الصوتيِّ بمسمّيات مختلفة، وموزّعة على أبواب صرفية ونحويّة متنوعة، نحو: الإبدال والإعلال وغيرهما من الظواهر اللّغويّة الأخرى؛ ومن ذلك ما نجده في كتاب سيويوه (ت188هـ)؛ ومعاني القرآن للفرّاء (ت207هـ)؛ والمقتضب للمبرّد (ت286هـ)؛ وغيرها من مؤلّفات علماء العربيّة القداماء. والملاحظ من طريقة تعامل أولئك العلماء مع هذه المسائل أنّهم كانوا على دراية تامّة بمدى أهميّة هذه الظواهر الصوتيّة التّخالفية في معالجة ما تُواجهه بعض أبنية اللّغة العربيّة التي تستثقل في تركيبها تتابع صوتيّن متماثلين أو متقاربين، فحدّدوا بدقّة متناهية تلك المواطن التي تستوجب تدخّل مثل تلك الظواهر، كما أنّهم لم يكتفوا بسرد تلك الظواهر ومواطن حضورها، وإّما استطاعوا أيضاً تفسيرها وتعليلها وتحديد أسباب وجودها.

فقد تناول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) هذه الظواهر ضمن مسمّى المغايرة، على أساس وجود تغييرٍ في بعض أصوات أبنية معيّنة، ومن ذلك قوله: «وأما قولك (لبيك) إنّما يريدون قرباً ودنوا على معنى (إلباب بعد



إلِّباب) أي (قرب بعد قرب) فجعلوا بدله لبيك؛ ويقال (ألِّب الرجل بمكان كذا وكذا) أي (أقام)؛ وكان الوجه أن تقول: لبيتك، لأنهم شبهوا ذلك باللب، فإذا اجتمع في الكلمة حرفان غيِّروا الحرف الأخير، كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيْهَا﴾¹، والأصل (دَسَّسها)، فقالوا: لبيك قربت وأقمت². كما استعمل الخليل مصطلح (بدل) للدلالة إلى هذا الإجراء، ومثَّل له بكلمة (طست) التي أصلها (طس)، حيث تمَّ تغيير صوت السين بصوت التاء؛ قال الخليل: «والتاء بدل من السين لأن الأصل فيه (طس)، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت قلت (طُسيْس) فترده إلى السين»³.

وقد أشار الخليل إلى لجوء العربيَّة للمخالفة الصوتيَّة، وذلك في حال اجتماع حرفين من جنس واحد في البناء، حيث تلجأ العربيَّة إلى تغيير أحد الحرفين ليُخالِف مُجانسه، واستعمل أحد مشتقَّات المغايرة، فقال: «وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفاً من غير ذلك الجنس، من ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيْهَا﴾⁴، معناه (دسسها)، ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾⁵ (يتمطط)؛ فحوِّلت السين والطاء ياءً»³.

واستعمل الخليل مصطلحات أخرى للدلالة على ظاهرة المخالفة كالإبدال مثلاً، ولم يكتفِ بسرد الأمثلة على هذه الظاهرة الصوتيَّة، التي تستعين بها العربيَّة في

¹ سورة الشمس: الآية 10.

² الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، ط 1، 1985م، ص 176.

³ نفسه، ص 298.

⁴ سورة الشمس: الآية 10.

⁵ سورة القيامة: الآية 32.



بعض أبنيتها حين يجتمع فيها صوتان متماثلان أو متقاربان؛ بل نجده يُفسّر ذلك تفسيراً صوتياً ويعلّله، بقوله: «مثل التاء التي في (ستة) أصله (سدسة)، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت أو نسبت قلتَ (سدس) و(سدسي)، وإنما دخلت التاء في (سته) لأن السين والدال مخرجهما من مكان واحد، فأبدلت التاء بالدال لتخف على اللسان في النطق»¹.

أمّا سيبويه (ت188هـ) فقد أشار إلى هذه الظواهر الصوتية التي تلجأ إليها العربية للتخلص من ذلك الثقل الذي يتولد مما أسماه التضعيف، أي توالي الأصوات المتماثلة في بعض أبنيتها؛ حيث تلجأ العربية للمخالفة لتفادي هذا التضعيف المكروه والمستثقل، وقد تحدّث عن ذلك في أبواب متفرقة من كتابه، فقال: «باب ما شدّ فأبدل مكان اللام والياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد»²، وقال في موضع آخر: «باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم، وليس بمطرد»³ ثم ذكر كلاماً جميلاً وتعليلاً دقيقاً لكيفية تعديل وتغيير السين إلى التاء، في كلمة (ست) التي الأصل فيها (سدس)، حيث تتابع صوتان متماثلان، فعلى الرغم من وجود فاصلٍ بينهما وهو صوت الدال، إلا أن هذا الصوت الفاصل ضعيف لقرب مخرجه من السين؛ يقول سيبويه:

«فمن ذلك ست، وإنما أصلها سدس، وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجزٌ قويٌّ، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين»³، والحاجز الذي يقصده

¹ الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص299.

² الكتاب: سيبويه، ص446/1.

³ نفسه، ص462/1.



سيبويه هنا هو صوت الدال، ثم قال: «فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً، فتلقي السينات. ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك»¹، وبذلك يكون السبب الرئيس الذي منع إدغام الدال في السين هو إمكانية تتابع ثلاثة أصوات متماثلة، وهو ما يزيد البناء ثقلاً؛ ثم ذكر أن العرب يلجأون في مثل هذه الحالات إلى تغيير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت أقرب من الصوت الفاصل بينهما مخرجاً، فقال: «فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء، كأنه قال (سدت)، ثم أدغم الدال في التاء؛ ولم يبدلوا الصاد لأنه ليس بينهما إلا الإطباق»¹؛ وهكذا تحوّلت (سدس) إلى (سدت) بإبدال السين تاءً، لأن التاء أقرب الأصوات مخرجاً من الدال، وهي تُشبه السين في معظم الصفات وأهمها الهمس، فالتاء والسين مهموستان بينما الدال مجهورة؛ ثم تحوّلت بعد ذلك إلى (ست) بإدغام الدال في التاء، أي أن كلمة (ست) تحققت بالمخالفة أولاً ثم بالمماثلة ثانياً.

ثم ذكر سيبويه بناءً آخر حيث تتخذ حركة التغيير في أصواته المسار نفسه، إلا أن التغيير هنا يكون من التاء إلى السين، ويتوقف في حدود المخالفة فقط ولا يتعداه إلى المماثلة بعد ذلك، وذلك في حديثه عن إبدال السين من التاء في (استخذ) من (اتخذ)، حيث قال: «وقال بعضهم: استخذ فلان أرضاً، يريد اتخذ أرضاً، كأنهم بدلوا السين مكان التاء في (اتخذ)، كما أبدلوا حيث كثرت

¹ الكتاب: سيبويه، ص 462/1.



في كلامهم وكانتا تاءين، فأبدلوا السين مكانها، كما أبدلت التاء مكانها في (ست). وإنما فعلوا هذا كراهية التضعيف»¹.

ثم ذكر مثلاً آخر في باب (ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم) عن التقاء صوتين متجانسين في الصفات، حيث تستثقل العربية مثل هذا البناء، فتعمد إلى أن تخالف بينهما، فتستبدل أحدهما بصوت آخر يختلف عنهما في تلك الصفات، ويكون الأقرب إلى الصوت المتأثر في المخرج، ومثل ذلك بكلمة (الطَجَع) التي أصلها (اضْطَجَع)، وقال: «ومثل ذلك قول بعض العرب: (الطَجَع) في (اضْطَجَع)، أبدلوا اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف»²، وبذلك كان الصوت المناسب لذلك هو اللام لأنه منفتح غير مطبق وهو أقرب الأصوات مخرجاً من الضاد.

وقد فسّر سيبويه ذلك بقوله: «اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد [...] وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعةً واحدة، وكان أخف على ألسنتهم»². وبذلك يقرّر سيبويه أن السبب الرئيس للجوء العرب إلى المخالفة الصوتية في حال التضعيف هو أنه مستثقل في كلامهم³.

¹ الكتاب: سيبويه، ص 462/1.

² نفسه، ص 444/1.

³ يُنظر: نفسه، ص 463/1.



والملاحظ في إشارات سيبويه إلى هذا التغيير الذي يحدث في بعض الأبنية العربية بسبب الثقل الناتج عن تجاور الأصوات المتماثلة أنه لم يكتفِ بمصطلح الإبدال فقط، للتعبير عن هذا التغيير، بل استخدم مصطلحات أخرى، منها تلك المشتقة من مصدر المخالفة، حيث استعمل كلمة (اختلاف) كما ورد في نصّه السابق، واستعمل الفعل (يختلف) كما في قوله: «وأما قولهم: حيوانٌ فإنهم كرهوا أن تكون الياء الأولى ساكنة ولم يكونوا يلزموها الحركة ههنا، والأخرى غير معتلة من موضعها، فأبدلوا الواو ليختلف الحرفان، كما أبدلوها في (رحوى) حيث كرهوا الياءات، فصارت الأولى على الأصل، كما صارت اللام الأولى في (ممل) ونحوه على الأصل، حين أبدلت الياء من آخره»¹.

وليست المخالفة خاصّة بالأصوات المتماثلة كلياً فقط، بل تخصّ حتى الصوتين المتقاربين صفة أو مخرجاً إذا تجاوزا، ومن الأمثلة التي ذكرها سيبويه في ذلك، ما ثبت في كلام بعض القبائل العربية من إبدالهم الجيم شيئاً إذا جاورت الدال، ومن ذلك قولهم (أشدر) بدلاً من (أجدر)²؛ يقول سيبويه: «من ذلك قولهم في الأجدر: أشدر؛ وإنما حملهم على ذلك أنها من موضع حرفٍ قد قرب من الدال»³. والذي قصده سيبويه بقوله (قرب من الدال) ليس القرب في المخرج، وإنما القرب في الصفات؛ لذلك يفهم من قوله أن الشين من موضع الجيم، أي من مخرجه، والجيم قد قارب الدال وشاركها في كلّ الصفات، فالجيم والدال صوتان متجانسان⁴ حيث تطابقا في الصفات واختلفا في المخرج؛ ولذلك أبدلوا

¹ الكتاب: سيبويه، ص 441/1.

² أجدر: من (جدر)، بمعنى (أولى) و(أفضل)، ومنها هو جديرٌ بكذا ولكذا، أي خليقٌ له. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج د ر)، ص 119/4.

³ الكتاب: سيبويه، ص 461/1.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 140.



الجيم التي ماثلت مجاورها (الدال) في الصفات إلى صوت آخر من مخرجها يختلف عنها في الصفات، ومن ثمَّ يختلف عن مجاوره (الدال)، فكان الصوت الأنسب لذلك هو الشين.

ولم يبتعد الفراء (ت207هـ) كثيراً عن المفاهيم التي أقرها كل من الخليل وسيبويه حول ظواهر التخالف الصوتي، حيث أشار في أكثر من موضع وفي أبواب متفرقة إلى هذا التغيير المضاد للتماثل، مستعملاً مصطلح الإبدال، للدلالة على ذلك، وواصفاً التماثلين بالمشدد، ومن ذلك قوله: « والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو»¹؛ وقد ذكر بعض الأمثلة من القرآن الكريم ومن كلام العرب، ومن ذلك إبدال السين الثانية من (دَسَسَتْ) ياءً بغية المخالفة بين الصوتين التماثلين المتتابعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَدَّ آفَلَحَ مَسَ رَكَّيْهَا ۖ وَفَدَّ خَابَ مَسَ دَسَّيْهَا﴾²، حيث قال الفراء: «نرى- والله أعلم - أن (دَسَّهَا) من: (دَسَسَتْ)، بُدِّلَتْ بعض سيناتها ياء، كما قالوا: (تظنيت) من: (الظن)؛ و (تقضيت) يريدون: (تقضضت) من: تقضض البازي؛ وخرجت أتلقى: ألتمس اللعاع³ أرعاه»¹. ثم ذكر كيف تبدل العرب أحد التماثلين واواً، فقال: «سمعت بعض بني عقيل ينشد: يشبو⁴ بها نشجانه⁵، هذا آخر بيت، يريد:

¹ معاني القرآن: الفراء، ص213/5.

² سورة الشمس: الآيتان 09 و10.

³ اللعاع أول التبت؛ ويقال عسل متلّع ومُتلّع وهو الذي إذا رفَعته امتدَّ معك فلم ينقطع للزوجته؛ وفي الأرض لعاعة من كلالشيء الرقيق؛ واللعاعة: الكأ الخفيف رعي أو لم يُرع. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل ع ع)، ص319/8.

⁴ من الظهور. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ش ب ب)، ص480/1.

⁵ من التشيع؛ والشجوة: الحزن؛ والتشيع: الصوت الذي يتردد في الحلق، أو هو صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبي بكاءه في صدره. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت، 1399هـ-1979م، (شجا) و(نشج)، ص1101/2 و125/5.



يَشْبُ: يظهر، يقال: (الخمار الأسود يشب لون البيضاء) فجعلها واوا؛ وقد سمعته في غير ذلك»¹.

ثم ذكر بعض الأمثلة من كلام العرب، حيث يُبدل أحد الصوتين في المشدّد ياءً، ومن ذلك: (أما) و(دِنَار) و(دَوَّان) و(دِبَّاج) و(قِرَّاط)؛ حيث قال: «ويقال: (أما فلان فصالح) و(أبما)؛ ومن ذلك قولهم: (دينار) أصله (دِنَار)، يدل على ذلك جمعهم إياه (دنانيير)، ولم يقولوا: (ديانير)؛ و(ديوان) كان أصله: (دَوَّان) لجمعهم إياه: (دواوين)؛ و(ديباج): (ديابيج)؛ و(قيراط): (قراريط)، كأنه كان (قِرَّاط) [...] وكل صواب»².

واستعمل المبرد (ت286هـ) المصطلح نفسه (الإبدال) للدلالة على بعض ظواهر التخالف الصوتي، والتي من ضمنها إبدال العرب أحد التماثلين ياءً؛ حيث قال: «وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد، لأن الكسرة بعض الياء، وأن الياء تغلب على الواو رابعةً فما فوقها حتى تصيرها ياءً، ولا يكون إلا ذلك»³.

ثم ذكر بعض الأمثلة في ذلك فقال: «وذلك قولهم في (تقضّضت): (تقضّضت)، وفي (أملت): (أملت). وكذلك (تسريت) في (تسرت)؛ والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف، كقولك: (دينار)، و(قيراط)، والأصل (دِنَار) و(قِرَّاط)، فأبدلت الياء للكسرة، فلما فرقت بين المضاعفين رجع الأصل فقلت (دنانيير)، و(قراريط)، و(قيريط)»³.

¹ معاني القرآن: الفراء، ص213/5-214.

² نفسه، ص214/5.

³ المقتضب: المبرد، ص55/1.



ولم يتعد المبرد عمّن سبقوه في تفسير هذه الظواهر، حيث قال مفسراً ومعللاً: «واعلم أنّ التضعيف مستثقل، وأنّ رفع اللسان عنه مرة واحدة ثم العودة إليه فليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما، فلذلك وجب»¹.

وقد ذكر المبرد رأياً لبعض علماء العربية يُخالف رأي الخليل في كلمة (ءاية)، وكيف أنّ ألف المدّ في هذه الكلمة إنّما قلبت عن أحد الصوتين المتماثلين في الصوت المشدّد وهو الياء، إذ كان الأصل فيها (أَيَّة)، واستعمل لذلك مصطلحاً آخر وهو (القلب)، فقال: «وزعم سيويوه عمرو بن عثمان أنّ غير الخليل ولم يسمهم كان يقول: (هي فعلة في الأصل وكان حقها أن تكون (أَيَّة)؛ ولكن لما التقت ياءان قلبوا إحداهما ألفاً كراهية التضعيف؛ وجاز ذلك؛ لأنه اسم غير جارٍ على فعل؛ وقول الخليل أحب إلينا»¹؛ وهو بهذا يرجح قول الخليل بن أحمد على أقوال معارضييه.

والملاحظ في هذه الأمثلة أنّ معظم صيغ الكلمات التي اشتملت على صوتين متماثلين متتابعين تحوّلت إلى صيغ أخرى عن طريق المخالفة بإبدال أحد المتماثلين إلى أحد أصوات المدّ واللّين² أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللّين كاللامّ والنون، وهذا ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث³.

¹ (المقتضب: المبرد، ص33/1).

² هي الألف والواو والياء، وقد وُصف هذه الأصوات بهذه الصّفة لسهولة التّطرق بها، وعدم الكلفة في إخراجها من مخرجها، وجريانها على اللّسان في يسر وسهولة، والواو والياء الساكنتين إذا انفتح ما قبلهما يُقال لكلّ منهما: صوت لين، وإنّ جانسهما ما قبلهما قيل لكلّ منهما: صوت مدّ ولين، أمّا الألف فلا تكون إلاّ صوت مدّ ولين. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص103.

³ يُنظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص212.



والملاحظ أيضاً أن علماء العربية قد فطنوا إلى أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، وهو ما يتطلب الاستعانة بظواهر التخالف الصوتي لتيسير هذا المجهود العضلي، ولما كانت أصوات المد واللين وأشباهها لا تتطلب جهداً عضلياً كبيراً فقد حلت محل أحد المتماثلين². كما نلاحظ بجلاء أن تفسيراً لهذه الظواهر الصوتية اقترنت بشكل واضح مع ما قرره الدرس الصوتي الحديث، بميولهم إلى نظرية السهولة والتيسير التي نادى بها كثير من المحدثين، ومن ذلك اعترافهم بكرامية التضعيف واستثقاله في النطق².

والملاحظ أيضاً أن العربية تستنجد بالمخالفة- في أغلب أحوالها- إذا كان الصوتان المتجاوران من أصوات الإطباق، أو الأصوات الرخوة¹، وهي أصوات تحتاج إلى جهد عضلي للنطق بها²، وهذا ما فطن إليه علماء العربية القدامى وأشاروا إليه في أكثر من وضع كما رأينا.

وقد أشار إلى ذلك ابن دريد (ت321هـ) في كتابه (جمهرة اللغة) بقوله: «اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت؛ لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرساً واحداً وحركات مختلفة؛ ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاءً في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في: (هم والله) وكما قالوا في (أراق) (هراق)؛ ولو جدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاءً؛ وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف»³.

¹ للمقارنة، يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات آخر هذا البحث.

² يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص214.

³ نقلاً عن: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ص152-153.



ومن الأمثلة التي استشهد بها علماء العربية في ما يخصّ ظواهر التّخالف الصوتيّ كلمة (المهيّمين)، حيث ذهب أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ) إلى أنّ الهاء هنا جاءت عوضاً عن الهمزة؛ فقال: «ويقال إن (المهيمن) الرقيب الحافظ؛ ويقال بل (المهيمن) أصله (المؤيمن) فأبدلت الهمزة هاء؛ كما قالوا (هَرَقْتُ¹ الماء) و(أرقت²)؛ و(هَنَرْتُ² الثوب) و(أنرت²)؛ و(هَرَحْتُ الدابة) و(أرحتها)؛ و(هياك) و(إياك)³؛ وهو موافق لما جاء في كثير من كتب اللغة والتفسير ، فالمبرد (ت285هـ) يقرر أن الهاء في (مهيمن) مبدلة من الهمزة ، وأن الأصل (مؤيمن)، وقد تتابع في الكلمة الأصلية صوتان مجهوران (الميم والهمزة) فأبدل أحدهما (الهمزة) صوتاً من مخرجها ويُخالفهما في صفة الجهر، وهو الهاء الذي من صفاته الهمس، فتّمّت المخالفة. وقد ذكر أبو بكر الأنباري (ت327هـ) رأياً لبعض نحويي البصرة يوافق هذا الرأي ويُقويّه، بقوله: «قال بعض نحويي البصرة أصل (مهيّمين) (مؤيّمين) فأبدلوا من الهمزة هاء كما قالوا : (أرقتُ الماء) و(هَرَقْتُ)⁴، ويؤكد الأزهري (ت370هـ) هذا الكلام أيضاً، وتبعه في ذلك

¹ قال سيبويه: «قالوا (أرقتُ الماء) ثم أبدلوا من الهمزة هاء فقالوا: (هَرَقْتُ الماء)». وقال الفراء: «والهمزة تبدل منها الهاء في أول الحرف كثيراً، قالوا (هبرية) وأصلها (إبرية)؛ وقالوا (هنرت) وأصله (أنرت)؛ و(هَرَحْتُ) وأصله (أرَحْتُ)؛ و(هَرَقْتُ) والأصل (أرقتُ)». وقال سيبويه: «ثم لزمت الهاء فصارت كأنها من نفس الحرف ثم أدخلت الألف بعد على الهاء وتركت الهاء عوضاً من حذفهم العين لأن أصله (أرقتُ) فقالوا: (أهَرقتُ) ونظيره (أسطعتُ تُسطيع)». يُنظر: أدب الكاتب: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي المروزي الدينوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية-مصر، ط4، 1963م، ص492.

² هنرت الثوب وأنرت²، إذا جعلت له علماً، وهو أن أُغْلِمَه، يُنظر: هذيب اللغة: الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، حققه وقدم له: عبد السلام محمد هارون، وراجعته: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، 1384هـ-1964م، مادة (ن هـ ر) و(ل ي)، ص325/2 و200/5.

³ تفسير أسماء الله الحسنى: الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية-دمشق-سوريا، 1974م، ص32.

⁴ الزاهر في معاني كلمات الناس: الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، ص82/1.



ابن فارس (ت395هـ) بقوله: «الهاء والميم والنون ليس بشيء، فأما المهيمن وهو الشاهد فليس من هذا، إنما هو من باب أمن والهاء مبدلة من همزة»¹. وما ذكره الجوهري (ت383هـ) عن كلمة (المهيمن) دليل واضح أن هذه الكلمة اعترها التخالف الصوتي لتستقرّ على هذه الصيغة، وهي من الشواهد التي ذكرها الكثير من اللغويين، حيث قال: «المهيمن: الشاهد، وهو: مَنْ آمَنَ غيرَه من الخوف»² وقال في موضع آخر: «وأصل (آمن) (أَمَنَ) بهمزتين، لينت الثانية؛ والأمن: ضدُّ الخوف»³. ولذلك نجد عند بعض المفسرين أن (المهيمن) مشتق من (أمن)، وأن أصله اسم فاعل من (آمنه عليه) بمعنى (استحفظه به)، وأن أصله (مؤمن)؛ يقول ابن عاشور (ت1393هـ): «فكأنهم راموا أن يفرّقوا بينه وبين اسم الفاعل من (آمن) بمعنى (اعتقد) وبمعنى (آمرو)، لأن هذا المعنى المجازي صار حقيقة مستقلة فقلبوا همزة الثانية ياء وقلبوا همزة الأولى هاء، كما قالوا في (أراق) (هراق)، فقالوا: (هيمن)»⁴. وبذلك يتقرر أن الأصل هو (مؤمن) من (أمن) بهمزتين، ثم تدخلت المخالفة فقلبت همزة الثانية ياء كراهة اجتماع التماثلين فصارت (مؤمين)، ثم صيرت الأولى هاء لتصبح (مهمين).

إلا أن ابن عاشور نقل رأياً آخر لبعض اللغويين يخالف هذا يرى، مفاده أن الاء في (المهيمن) أصلية وأن فعله بوزن (فيعل) على نحو (سيطر)، وأنه لم يُسمع له فعل مجرد (همن)؛ وأنه لا نظير لهذا الفعل إلا (هينم) إذا دعا أو قرأ،

¹ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس أحمد أبو الحسين بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-دمشق، 1399هـ-1979م، مادة (هـ م ن)، ص6/63.

² الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، مادة (هـ م ن)، ص2/257.

³ نفسه، مادة (أ م ن)، ص1/23.

⁴ التحرير والتنوير: ابن عاشور محمد التونسي، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، ص5/123.



و(بَيَّقِر) إذا خرج من الحجاز إلى الشام، و (سَيَّطِر) إذا قهر. وليس له نظير في وزن (مُفَيِّعِل) إلا اسم فاعل هذه الأفعال، وزادوا (مُبَيِّطِر) بمعنى اسم طيب الدواب¹. وقد أشار الجوهري إلى بعض الأبنية التي تجاور فيها صوتان متماثلان، فاتَّخذت العربية من المخالفة سبيلاً لاستبدال أحد المتماثلين صوت مدّ؛ ومن ذلك قوله: «وقد يبدلون بعض الحروف ياء، كقولهم في (أَمَّا): (أَيِّمًا)، وفي (تَسَنَّ): (تَسْنِي)، وفي (تَقَضَّضَ): (تَقَضَّى)، وفي (تَلَعَّعَ): (تَلَعَّى)، وفي (تَسَرَّرَ): (تَسَرَّى)»².

وإذا كان الدرس الصوتي الحديث قد أشار إلى أن المخالفة الصوتية تشغل حيزاً لغوياً أقلّ مما تشغله ظاهرة المماثلة³، فإن علماء العربية قد أشاروا إلى ذلك أيضاً أثناء حديثهم عن الظواهر الصوتية، ومن ذلك قول ابن جنّي (ت392هـ): «الحروف في التأليف على ثلاثة أضرب، أحدها: تأليف المتباعدة وهو الأحسن؛ والآخر تضعيف الحرف نفسه وهو يلي القسم الأول في الحسن؛ والآخر تأليف المتجاورة وهو دون الاثنين الأولين فإمّا رفض البتة وإمّا قل استعماله»⁴.

واستعمل ابن جنّي مصطلح (القلب) قاصداً به ظاهرة التخالّف الصوتي، ومثّل لذلك بكلمتي: (آيَة) التي تحوّلت بفعل المخالفة إلى (آية)، و(دَوِيَّة) التي تحوّلت إلى (داوية)، لتفادي ثقل التماثل (الواوين في الكلمة الأولى، والياءين في الثانية)، حيث قال: «على أن من العرب من يقلب في بعض الأحوال الواو والياء

¹ يُنظر: التحرير والتنوير (المعروف بتفسير ابن عاشور): ابن عاشور، ص5/123.

² (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة (س ف ت)، ص1/252.

³ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص330.

⁴ (سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ص2/816).



الساكنتين ألفين للفتحة قبلهما [...] وأجاز غير الخليل في (آية) أن يكون أصلها (آية) فقلبت الياء الأولى ألفا لانفتاح ما قبلها ، وقالوا (أرض داوية) منسوبة إلى (الدو) وأصلها (دوية) فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها؛ إلا أن ذلك قليل غير مقيس عليه غيره»¹.

وقد نقل الخفاجي (ت466هـ) رأياً لبعض من سبقوه من علماء العربية حول مسببات التنافر في بعض أبنية اللغة العربية، حيث أرجعوا ذلك إلى طرفي نقيض، وهما تقارب الأصوات في المخارج أو تباعدها بعداً شديداً ، وحينئذ تلجأ العربية إما إلى المخالفة للمباعدة بين المتماثلين أو المتقاربين، وإما إلى المماثلة لتقريب المتباعدين، وفسر ذلك تفسيراً صوتياً فقال: «وقد ذهب علي بن عيسى أيضاً إلى أن التنافر أن تتقارب الحروف في المخارج أو تتباعد بعداً شديداً ، وحكي ذلك عن الخليل بن أحمد [...] لأنه بمرتلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال»².

إلا أن للخفاجي رأي آخر بخلاف ذلك، حيث خصّ حدوث التنافر بتقارب الأصوات فقط، فقال: «ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب، ويدل على صحة ذلك الاعتبار فإن هذه الكلمة (ألم) غير متنافرة وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج ؛ لأن الهمزة من أقصى الحلق والميم من الشفتين واللام متوسطة بينهما [...] على غاية ما يمكن من البعد ؛ وكذلك (أم) و(أو) لأن الواو من أبعد الحروف من الهمزة؛ وليس هذان المثالان

¹ سرّ صناعة الإعراب: ابن جني، ص23/1.

² سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص102.



مثل (عح ولا (سز) لما يوجد فيهما من التنافر لقرب ما بين الحرفين في كل كلمة؛ ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجهها في التنافر»¹. بل وذهب إلى أبعد من ذلك، فقرّر أنّ ظاهريّ الإدغام والإبدال مردّهما في أغلب الأحوال إلى التنافر الذي يحدث بسبب تقارب الحروف المتجاورة، حيث قال: «فأما الإدغام والإبدال فشاهدان على أن التنافر في قرب الحروف دون بعدها لأتّهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرارا من تقارب الحروف»¹. ومن هذا كلّ يتّضح لنا أنّ الجنوح إلى التّخالف الصوتي بتغيير أحد الصوتين المتماثلين للتّخلص من الجهد المكرّر والثّقل، لم يكن أمراً مجهولاً عند قدامى علماء العربيّة، فقد أشاروا إلى ذلك وتناولوه في أكثر من موضع؛ وإذا ما بحثنا في مقرّرات الدّرس الصوتي الحديث، وجدناها لا تبتعد عنها كثيراً؛ غير أنّ معالجاتهم لمسائلها كانت تفتقد إلى نوع من الشمولية والاستقلالية، حيث تناولوا جزئياتها موزعة على أبواب متفرّقة وبمسمّيات متعدّدة، أو ضمن ظواهر لغويّة متفرّقة كالإعلال والإبدال والإدغام والتّفخيم والإمالة وغيرها من مسائل الصّرف والتّحو؛ ثمّ إنّهم لم يستندوا إلى منهج واضح المعالم كما هو الشّأن في الدّرس الصوتي الحديث.

ثانياً: عند الصوتيين المحدثين.

تناول الدّرس الصوتي الحديث الظواهر الصوتية التّخالفية وفق منهج علميّ دقيق، استطاع من خلاله تحديد كلّ جزئياتها وتفصيلها؛ حيث قرّر جلّ علماء

¹ سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص102.



الأصوات المحدثين أن المخالفة هي الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة السلبية التي تهدف في منحائها إلى التقليل أو التخلص من الفروق المميّزة للأصوات¹. وبذلك يكون مفهوم المخالفة الصوتية (Dissimilation)² عند المحدثين هو حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة، ويحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التضعيف بلن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صائت طويل (الواو، أو الياء أو الألف)، أو أحد أصوات اللين (الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما)، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات المد وهي الأصوات المسماة بالأصوات المائعة³ (Consonne Liquide)⁴ وهي (اللام والنون والميم والراء)؛ يقول إبراهيم أنيس: «نلاحظ أن كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب- أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان، ولا سيما اللام والتون»⁵. ولذلك قرّر الدرس الصوتي الحديث أن البناء المشتمل على تجاور المتماثلين إنما يُستثقل في النطق إذا كان المتماثلان من غير الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، لأنّ تجاور هذا النوع من

¹ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص243.

² يُنظر: معجم اللسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألباني بالألفاظ العربية: بسام بركة، مادة (Dissimilation)، ص62.

³ أطلق عليها بعض المحدثين تسمية (أشباه أصوات اللين)، وأطلقوا على الصوائت الطويلة والقصيرة عبارة (أصوات اللين). يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص42.

⁴ يُنظر: معجم اللسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألباني بالألفاظ العربية: بسام بركة، مادة (Consonne Liquide)، ص125.

⁵ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص212.



الأصوات لا يحتاج إلى تيسير ، كتجاور اللامين أو التونين مثلاً، ولذلك لا تلجأ العربية إلى المخالفة في مثل هذه الحالات إلا في النادر من الأحيان¹. كما أن تتابع الصوتين المتجاورين في المخرج يُستثقل في كثير من الأحيان، فيلجأ المتكلم إلى المخالفة بينهما بأن يُبدل أحدهما صوتاً آخر بعيد المخرج عنهما، لأن الأصوات إذا تباعدت مخارجها حسن تأليفها²، وقد أقرّ بذلك الكثير من علماء العربية قديماً وحديثاً، وليس ذلك خاصاً باللغة العربية الفصحى، بل يوجد في كثير من اللهجات العامية العربية ، ومنها العامية الجزائرية، فقد نقل بعض الباحثين أمثلة من العامية الجزائرية لبعض التبدلات الصوتية التي تحدث للأصوات نتيجة تأثيرها في بعضها عندما تتجاور³، ومن ذلك ما يتداوله عامة الناس في الجزائر في تخاطبهم اليومي، بقولهم (دشيشة) بدلاً من الأصل الفصحى لهذه الكلمة وهو (جشيشة)⁴، حيث تجاورت الجيم مع الشين، وهما من مخرج واحد، فأبدلت الجيم صوتاً آخر بعيد من مخرجيهما ويُجانس الشين في صفاته، فكان الصوت المناسب هو الدال.

ولذلك ذهب علي عبد الواحد وافي إلى أن تجاور صوتان متّحدان أو متقاربان يؤدي إلى التنافر أحياناً، وعندئذ تلجأ اللغة إلى أحد الأمور الثلاثة⁵:

- تحويل صوت أحدهما إلى صوت مغاير للآخر؛

¹ يُنظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص215.

² يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ص1/153.

³ يُنظر: "العامية الجزائرية وجذورها الفصحى-دراسة مقارنة": حسين بن زروق، ص149.

⁴ (الجشيش والجشيشة ما جُش من الحب ؛ وقيل الجشيشُ الحبُّ حين يُدق قبل أن يُطبخ ، فإذا طُبِّح فهو جشيشه؛ قال ابن سيده: وهذا فرق ليس بقويّ. وفي الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على بعض أزواجه بجشيشة» قال شمر: الجشيش أن تُطحن الحنطة طحناً جليلاً ثم تُنصب به القدر ويُلقى عليها لحم أو تمرٌ فيُطبخ فهذا الجشيش. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور ، مادة (ج ش ش)، ص6/273.

⁵ يُنظر: علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص299-300.



- أو حذف أحدهما؛ ولعلّ ما يحدث لبعض الكلمات العربيّة المشدّدة في الاستعمال اليومي من هذا الباب، نحو: (عَمَّهَا) حيث نطقها بالعامية الجزائرية (عَمَّها)، بحذف أحد صوتيّ المشدّد (الميم)، والإبقاء على واحد فقط، لأنّ النطق بالمشدّد أثقل على اللسان؛
- أو إبدال الصّوتين صوتاً آخر غريب عنهما.
وقد نعت علي عبد الواحد وافي الحالة الأولى باسم التباين المقابل للمصطلح الأجنبي (Dissimilation)، وعلّق على ذلك بقوله: «استخدمنا كلمة (Dissimilation) في معناها الواسع الذي يشمل التفاعل بين صوتين متجاورين، لأنّها لا تُطلق في معناها الاصطلاحي إلاّ على التفاعل بين صوتين يفصل بينهما فاصل»¹؛ وهو بذلك يُخرج المخالفة التي تتاب الصوتين المتماثلين المتماسين من مفهوم المصطلح الأجنبي (Dissimilation).

وقد عرّف إبراهيم أنيس المخالفة بقوله: «أنّ الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كلّ المماثلة فيقلّب أحدهما إلى صوت آخر لتتمّ المخالفة بين الصّوتين المتماثلين»¹.

ويرى إبراهيم أنيس أنّ المخالفة تبدأ عملها من حيث تنتهي المماثلة، وذلك من خلال قوله: «فالمماثلة تُقرّبُ بين الأصوات المتجاورة في الصّفة والمخرج، وقد يصل هذا التقريب بين الصّوتين المتجاورين أنّ يُصبحا متماثلين تمام التّماثل، وهنا تبدأ عمليّة المخالفة التي تهدف أيضاً إلى التقليل من الجهد العضلي»². ومثّل لذلك ببعض أبنية العرب على صيغة (اَفْعَل) من الفعل (ظَلَمَ) حيث تتخذ العربيّة من المماثلة مساراً لها نحو التغيّر، فإذا تمّ لها التّماثل الكلّي باتّحاد الصّوتين

¹ الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص211.

² نفسه، ص214.



المتجاورين تمام الاتّحاد، لجأ بعض العرب إلى المخالفة طلباً للتيسير في النطق أكثر؛ وتكون مراحل التغيّر في هذا البناء بفعل المماثلة أوّلاً ثمّ المخالفة ثانياً، وفق المراحل التالية:

- ظَلَمَ.
- اظْتَلَمَ (حيث تجاورت الظاء والتاء وهما مختلفتان في الجهر والهمس، والشدة والرّخاوة، والإطباق والاستفال؛ فالظاء مجهورة رخوة مطبقة، بينما التاء فمهموسة شديدة مستفالة).
- اظْطَلَمَ (حيث قُرّبت مسافة الخلاف بينهما لتيسير النطق، فأبدلت التاء طاءً، لأنّ الطاء مجهورة مطبقة، وهي من مخرج التاء).
- اظْلَمَ (حيث زاد التيسير بإبدال الطاء ظاءً، فاتّحد الصّوتان المتجاوران تمام الاتّحاد، وهو أقصى ما يصل إليه التيسير في عمليّة المماثلة).
- انْظَلَمَ (فقد ثبت أنّ بعض العرب نطقوا بهذا الفعل على هذه صورة، وهم بذلك يلجأون إلى الاتّجاه المعاكس الذي سار وفقه هذا البناء نحو التّمائل، ليس من أجل الرّجوع إلى الأصل المُستثقل في النطق (اظْتَلَمَ)، وإثما لتيسير النطق أكثر، فلجأوا إلى عمليّة المخالفة ليُخالفوا بين الظّاءين المتجاورين باستبدال إحداهنّ نوناً، فراراً من التّضعيف، وبذلك ازداد النّطق تيسيراً).
- كما قرّر إبراهيم أنيس، باستقراء بعض الأبنية العربيّة، أنّ المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان من الأصوات المطبقة أو الرخوة، لأنّ هذا النوع من الأصوات يح تاج إلى جهد عضلي للنطق به؛ جاء ذلك في قوله: «المخالفة لا تكاد تتمّ إلاّ حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرّخوة، على أنّ المخالفة قد تكون في النّادر من الأحيان بين



الأصوات الشديدة، مثل (إَجَار) التي رُوِيَ فيها أيضاً (إِنْجَار) وكلاهما بمعنى سطح المنزل، وفي حديث الهجرة: (استقبل النَّاس في المدينة النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأناجير)، وكذلك (إَجَاص)¹ روي فيها (إِنْجَاص)².

وقد عرّف راغب فاضل المطلبي المخالفة بقوله: «هي جنوح أحد الصّوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير»³.

أو هي على حد قول أحمد مختار عمر: «تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنّه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين»⁴.

ويراها غيرهما بأنها قانون يعتمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر⁵.

ومن مقرّرات الدّرس الصّوتيّ الحديث أنّ الصّوت الجديد المخالف به غالباً ما يكون أحد الصّوائت الطّوال أو صوتاً من أصوات المجموعة المائعة⁶.

إلاّ أنّ الملاحظ عند علماء الأصوات المحدثين أنّ اللّغة العربيّة لم تلجأ إلى المخالفة في كلّ حالات تجاور الصّوتين المتماثلين، حيث يرى برتيل مالبرج أنّه لو قدر لهذا الاتجاه أن يعمل بلا ضابط لانتهى الأمر بانعدام وجود الفروق التّمييزيّة تماماً بين الفونيمات التي لا غنى عنها للفهم، وإنّما تستنجد اللّغة بالمخالفة في حال ما

¹ فمن صفات الجيم الشدّة. يُنظر: الملخص الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

² الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص 214-215.

³ في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المد العربية: غالب فاضل المطلبي، ص 283.

⁴ دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص 329.

⁵ يُنظر: التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التّوّاب ، ص 57. و: دروس في علم أصوات العربية: جون كاتنينو، ص 26.

⁶ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر ، ص 330. و: في الأصوات العربية- دراسة في أصوات المد العربية: غالب فاضل المطلبي، ص 283. وكذلك: التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التّوّاب، ص 57.



إذا هددت آثار المماثلة الفروق التمييزية الهامة بين الأصوات ، إذ غالباً ما تتدخل اللغة حينئذٍ لتقابل مسار التماثل هذا بوسيلة أخرى تمكنها من إعادة ترسيخ الفروق الجوهرية والعمل على تأكيد الشخصية المستقلة للفونيمات ، ويعرف التغيير الفونتيكي الذي يجسد تلك الفروق بالمخالفة¹ . ولعل ذلك من أهم الأسباب التي جعلت التخالف الصوتي يشغل حيزاً لغوياً أقل مما تشغله ظاهرة التماثل الصوتي، إلا أن وجودها ضروري في اللغة؛ يقول أحمد مختار عمر: «وهي ظاهرة تحدث بصورة أقل من حدوث المماثلة، وإن كانت ضرورية لتحقيق التوازن، وتقليل فاعلية عامل المماثلة»² .

وليست ظاهرة التخالف الصوتي حكراً على اللغة العربية فقط؛ فلقد استعانت بها معظم اللغات من أجل التقليل من ثقل النطق بالمتماثلين، ومثال ذلك كلمتا (Marble) و (Pilgrim)³ في اللغة الإنجليزية، واللذان كان أصل الصوت (l) فيهما هو (r) أي (Marbre) و (Pirgrim)² .

ومثلما تعددت المصطلحات الدالة على المماثلة الصوتية، فكذلك تعدت تلك الدالة على التغيير الفونتيكي الذي يجسد الفروق التمييزية بين الأصوات؛ فأغلب الصوتيين المحدثين استعملوا لفظ (المخالفة)، كقول أحمد مختار عمر : «المخالفة (Dissimilation) أو (Différenciation) عكس المماثلة»⁴ . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه من الصوتيين المحدثين من يجعل هذا النوع من التغيير الصوتي

¹ ينظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج ، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب-القاهرة-مصر، 1984م، ص148.

² دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص330.

³ (Marble) معناها الرخام أو المرمر، و (Pilgrim) معناها الرحالة أو السائح أو المهاجر أو الحاج.

⁴ دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر ، ص329. يُنظر أيضاً: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص211. وكذلك: علم الصرف الصوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص148. وأيضاً: في الأصوات اللغوية: غالب فاضل المطليبي، ص283.



المضاد للمماثلة، الذي يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين أصواتيتين ،
نوعان¹: نوع في حالة كون الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف متباعدة، أي
كون الفونيمات مفصولة عن غيرها، ويُسمّى هذه الظاهرة
(Dissimilation)؛ وآخر يخصّ الوحدتان المتصلتين، أي كون الفونيمين

متجاورين ويُطلق عليه مصطلح التنبوع (Différenciation).

وقد تداول آخرون مصطلح (التباين)² للدلالة على التخالّف الصوتي؛ يقول
علي عبد الواحد وافي: «فتارة يتحوّل صوت أحدهما إلى صوت مغاير للآخر
(ظاهرة التباين Dissimilation)»³.

وفضّل آخرون استعمال مصطلح (المغايرة) للدلالة على هذه الظاهرة الصوتية،
بينما استعمل غيرهم مصطلحاً آخر هو (التمايز)، وهناك مصطلح آخر فضّل
استعماله بعض الصوتيين وهو (المفارقة)⁴.

وإذا كان الدرس الصوتي الحديث قد قرّر أنّ ظاهرة التماثل الصوتي
تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير التطق ، على حساب الجانب
الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين، فإنّ التخالّف الصوتي-
على عكس ذلك- يهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين
الأصوات، ولا يُلقى بالاً إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف

¹ ينظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص148-149.

² ينظر: معجم اللسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية: بسام بركة، مادة (Différenciation)، ص60.
وكذلك: دروس في علم أصوات العربية، ص26. وأيضاً: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص67.

³ علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص299-300.

⁴ ينظر: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي: أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزّهاء-القاهرة-مصر، 1989م،
ص28-29.



الصوتين¹. وهذا ما ذهب إليه هنري فليش (Henri Fleish) (1904م-1985م) عندما قرّر أنّ المتكلم يتجاذبه عاملان، هما: عامل الحد الأدنى من الجهد (Le moindre effort) وعامل الحد الأعلى من التمييز (Différentiation maximum)². وبذلك كانت المماثلة والمخالفة السبيلين المثاليين لتحقيق التوازن في اللغة بتيسير النطق وتيسير الفهم والإفهام؛ يقول المهدي بوروبة: «ومن هنا تعدّ المماثلة والمخالفة بمثابة القطبين اللذين يتجاذبان اللغة، ولكل منهما فاعليته وتأثيره، كما أنّ لكليهما هدفه وغايته، ومن صراعهما يتحقّق التوازن بين مطلب سهولة النطق ومطلب سهولة التمييز بين المعاني»³.

إلاّ أنّ إبراهيم أنيس يرى أنّ المخالفة الصوتية مثلها مثل المماثلة، فهي مظهر من مظاهر التطور اللغوي، ومحطة من محطاته، تستعين بها اللغة في مسارها التحوّلي الذي يميل دوماً إلى الأيسر والأسهل؛ يقول إبراهيم أنيس: «الإنسان في نطقه يميل إلى تلمّس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضليّ، فيبدلُ مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة»⁴.

ومن مقرّرات الدرس الصوتي الحديث أنّ المخالفة التي تستعين بها اللغة العربيّة لتفادي الثقل الناتج عن تتابع المتماثلين، لا تكون بين الصّامتين المتماثلين

¹ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص331. و: علم الصّرف الصوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص148.

² يُنظر: العربيّة الفصحى: فليش، ص48 (نقلاً عن: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص331). يُنظر: أيضاً: معجم اللسانية فرنسي-عربي، مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، ص133.

³ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص244-245.

⁴ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص212.



فقط، بل وبين الصّائتين المتماثلين أيضاً¹، وقد تحدث بين الصّوامت والصّوائت أيضاً.

1 - المخالفة بين الصّامتين المتماثلين.

حاول المنشغلون بعلم الأصوات الحديث - علماء وباحثين - استقراء بعض كلام العرب للاستشهاد ببعض الكلمات التي تحوّلت عن أصلها بفعل المخالفة بين بعض أصواتها، ولم يكن ذلك التحوّل إلاّ بغية الفرار من ذلك التنافر في تركيبه الأصوات التي لا تُحبّذه اللّغة العربيّة، والذي ينتج في غالب الأحيان عن تجاوز صوتين صامتين متماثلين؛ وقد جمع المحدثون عشرات الكلمات من كتب اللّغة والنحو فيها تتابع مثلين²، ما أدّى إلى استئثارها على اللسان العربيّ، فعمدت اللّغة العربيّة إلى إبدال أحد الصّوتين صوتاً آخر يُخالفه في الصّفات أو المخرج؛ وغالباً ما يكون الصّوت الجديد الذي تجلبه العربيّة لهذا البناء أحد أصوات المدّ واللين (الألف والواو والياء)، أو أحد الأصوات المائعة أو التي تُسمّى بأشباه أصوات اللين وهي (اللام والنون والميم والراء).

ومن تلك الأمثلة التي حوّلت فيها أحد الصّوتين المتماثلين إلى الصّائت الطويل (الألف)، ما يلي:

- (الذّم) تحوّلت بعد المخالفة إلى (الذّام)؛ ومعناه (العيب)، حيثُ الألف مُبدّلةً من ياءٍ وأصله (الذيم)³؛ وقد نقل أبو بكر الأنباري (ت328هـ) نصّاً

¹ ينظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص ص248 و261.

² ينظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص ص213-214. و"ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص ص248-260.

³ يُنظر: إعراب لامية الشنفرى: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، المكتب الإسلامي-بيروت، ط1، 1984م، ص91.



للفراء جاء فيه: «(الذام) (الذم) يقال: (ذامت الرجل أذمه ذاماً) و(ذمته أذمه ذماً) و(ذمته أذيمة ذيماً)؛ ويقال: (رجل مذموم ومذؤوم ومذيم). بمعنى واحد؛ قال الله عز وجل: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾¹». وقال الجوهري: «الذام: العيب، يُهمز ولا يُهمز، يقال: (ذأمه) (يذأمه): إذا عابه وحقره، مثل (ذأبه)، فهو (مذءوم)»³.

- (سيّة) أصبحت بعد المخالفة (ساية)؛ نقل ابن السراج النحوي نصاً للفراء يقول فيه: «(ضربَ عليهم ساية) أن معناه (طريق)، قال: وهي (فعلّة) من (سويت)؛ قلبوا الياء ألفاً استثقلاً لسيّة؛ لأنّ قلبها فتحة»⁴. وبذلك تكون (سيّة) على وزن (فعلّة) من (سويت)، فكان الأصل فيها (سوية)، ولما اجتمع واو وياء وسبق الأول منهما بالسكون، صارتا (ياء شديدة)، فكانت (سيّة)، وهي مستثناة في كلام العرب، فحولوا إحداهما ألفاً لفتحة ما قبلها.

- (دوية) إلى (داوية)؛ الدوُّ والدويّة والدأوية ويُخفّف، بمعنى واحد، وهي الفلاة⁵. يقول ابن سيده (ت458هـ): «(الدأوية) المفاضة؛ قيل: الألف فيه مُتقلّبة عن الواو الساكنة، ونظيره انقلابه عن الياء في (طاية) و(غاية)»⁶. وهذا ما ذهب إليه ابن جني إلاّ أنّه يعتبره غير مقيس عليه، حيث قال: «قالوا (أرض

¹ (سورة الأعراف: الآية 17).

² (الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري، ص2/02).

³ (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص5/19252).

⁴ (الأصول في النحو: ابن السراج، ص3/346).

⁵ يُنظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي، (فصل الدال)، ص1/1657.

⁶ (الحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية-بيروت،

2000م، ص9/367).



داوية) منسوبة إلى (الدوّ) وأصلها (دَوِيَّة) فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها؛ إلا أن ذلك قليل غير مقيس عليه غيره»¹.

- وكذلك تحوّلت: (ضِرَّة) إلى (ضارّة)؛ و(عَيْر) إلى (عَاير)؛ و(طَح) إلى (طاح)؛ و(المَح) إلى (الماح)؛ و(زَح) إلى (زاح)؛ و(غَم) إلى (غام)؛ و(حَن) إلى (حنا)؛ و(ضِرّه) إلى (ضارّه)؛ وغيرها كثير في كلام العرب.

- (تَسَنَّن) تحوّلت إلى (تَسَنَّى) بمعنى تغير؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَفْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾² «أي متغير، فأبدل من إحدى النونات ياء»³.

- (تسرّر) أصبحت (تسرّى)؛ نقول تسرّر الثوب أي تشقق، و(فلان اتخذ سرية) و(بنت فلان تزوجها لكثرة ماله وقلة مالها) وهو (لئيم وهي كريمة)، ويقال في هذا الفعل (تسرّى)⁴.

- (تقضّض) تحوّلت إلى (تقضّى)؛ يُقال (تقضّى البازي)، أي (انقضّ)، يقول الجوهري: «وأصله (تقضّض) فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء»⁵.

- ومثل ذلك: (تمطّط) (تمطّى) بمعنى مدّ يده، ومنه (المشيّة المُطَيّاء) وهي التبخر¹. يقول ابن منظور: «(تمطّط)، أي تمدّد، وكذلك (تمطّى)، وهو من من مُحَوَّلِ التَّضْعِيفِ، وَأَصْلُهُ تَمَطَّطٌ»².

¹ (سر صناعة الإعراب: ابن جني، ص23/1).

² (سورة الحجر: الآية26).

³ يُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص2384/6.

⁴ يُنظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة- القاهرة، ص426/1.

⁵ (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة (ق ض ي)، ص2464/6).



- وكذلك تحوّلت (تصدّد) إلى (تصدّي)؛ وغيرها من الكلمات المشابهة لها والتي تتابع فيها مثلان فكرهت العربية الجمع بينهما، وعملت على إبدال أحدهما ألفاً، خفته وسهولة النطق به؛ فأصوات المدّ عموماً خفيفة نظراً لمخرجها وطريقة صدورها؛ ذلك أنّ الأصوات تختلف بعضها عن بعض بحسب طبيعة الاحتكاك المسموع الذي ينتج جرّاء بعض الحواجز التي تعترض النّفس الصّادر من الرّئتين أثناء النّطق بها، وتتحدّد طبيعة الاحتكاك المسموع بطبيعة الإعاقة التي تُحدثها تلك الحواجز³؛ ومواقع تلك الحواجز هي المخارج (Points d'articulation)⁴ في اصطلاح القدماء والحديثين. وهذا ما يُميّز أصوات المدّ عن الأصوات اللّغويّة الأخرى، حيث لا يعترض طريقها حاجز، ولا يحدث معها احتكاك⁵، فهي بحسب تعبير الخليل بن أحمد الفراهيدي: «تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارج اللّسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللّهاة إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيزٌ تُنسب إليه إلاّ الجوف»⁶؛ فهي تصدر بيسر وسهولة ونطقٍ مفتوح⁷، وهي بذلك أوضح الأصوات في السّمع⁸؛ وقد حدّد العلماء المحدثون المعايير التي تُميّز

¹ يُنظر: أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص1/104.

² لسان العرب: ابن منظور، مادة (م ط ط)، ص20/109.

³ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد مختار عمر، ص113. و: في الأصوات اللّغويّة- دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص27.

⁴ يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألباني بالألفاظ العربيّة : بسّام بركة، مادة (Articulation)، ص20.

⁵ يُنظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص26. و: دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد مختار عمر، ص113. و: في الأصوات اللّغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص26-27.

⁶ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص1/57.

⁷ يُنظر: دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد مختار عمر، ص113.

⁸ يُنظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص26-28.



أصوات المدّ بعضها عن بعض، وأهمّ هذه المعايير عضلة اللسان التي تُعتبر الجزء الفعّال في عمليّة تنوّع هذه الأصوات، من حيث ارتفاعه في داخل جوف الفم، دون أن يؤدّي ذلك إلى ما يعوق الهواء الخارج من الفم؛ يقول غالب فاضل المطلي: «إنّ اختلافها فيما بينها يرجع إلى وضع اللسان في أثناء ذلك، إذ أنّ اختلاف هذا الوضع من وضع إلى آخر يؤدّي على تغيير حجرة الرنين، فتختلف من أجل ذلك أصوات المدّ الصّادرة عنها تبعاً لتلك التغييرات»¹؛ ومما تختلف فيه أصوات المدّ بعضها عن بعض، الحفّة والثقل، فالواو أثقل الثلاثة، والألف أخفّها على الإطلاق²، وهو أعمقها مخرجاً، ومعه يكون المجرى أوسع ما يكون³، كما أنّه لا يقبلُ الحركات البتّة؛ يقول سيويه: «وإنما خفت الألف هذه الحفّة لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تحرك أبداً، فإنما هي بمترلة النفس، فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء»⁴؛ وتلك الحفّة جعلت جعلت الألف أَعذب الأصوات وأرقّها؛ يقول تقيّ الدّين ابن تيمية (ت728هـ) عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾⁵: «وَكَانَ مَجِيئُهُ بِالْأَلْفِ أَحْسَنَ فِي اللَّفْظِ مِنْ قَوْلِنَا (إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ)؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ أَخْفُ مِنَ الْيَاءِ»⁶.

¹ في الأصوات اللّغويّة- دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص27.

² يُنظر: كتاب الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص157. و: الكتاب: سيويه، ص361/1. و: الباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، ص99/1. وكذلك: كتاب الكلبيات: أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ-1998م، ص1051.

³ يُنظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص28.

⁴ الكتاب: سيويه، ص418/1.

⁵ سورة طه: الآية62.

⁶ مجموع الفتاوى: تقيّ الدّين بن تيمية، ص263/15.



ولذلك فإنّ اللجوء إلى قلب الصّوامت ألفاً إنّما هو في حقيقة الأمر لجوء إلى التخفيف؛ وكذلك قلب الياء ألفاً لأنّه انتقال من الخفيف إلى الأخرّف.

وبدراسة مقطعيّة¹ سريعة للنّماذج السابقة الذكر، نلاحظ أنّها نوعان:

- كلمات احتوت على تضعيف في بنائها (أي صوتان متماثلان متتابعان أدغم الأوّل في الثاني)، وفي هذه الحال نجد هذه الكلمات قد حافظت على عدد مقاطعها الصّوتيّة وكذا على طول تلك المقاطع التي ينتابها التّغيير، سواء في حال الوقف عليها أم في حال وصلها بما بعدها؛ وذلك نحو: (الذّم) في حال الوقف مكوّنة من مقطعين صوتيين (مقطع متوسّط مُغلق، ثمّ مقطع طويل ثنائي الإغلاق : أذ+ذمم) التي أصبحت بعد المخالفة (الذام) مكوّنة من مقطعين اثنين (مقطع متوسّط مُغلق، متبوع بمقطع طويل أحادي الإغلاق : أذ+ذام)، وبذلك تحوّل المقطع الطّويل ثنائي الإغلاق في نهاية الكلمة إلى مقطع طويل أحادي الإغلاق.

أمّا في حال الوصل فتكون (الذّم) مكوّنة من ثلاثة مقاطع صوتيّة (مقطعين من نوع المتوسّط المُغلق، ثمّ مقطع قصير: أذ + ذم + م) التي أصبحت بعد المخالفة (الذام) مكوّنة من ثلاثة مقاطع صوتيّة (مقطع متوسّط مُغلق، متبوع بمقطع

¹ الأشكال المقطعية الخمسة في العربيّة بأصنافها وأوصافها ورموزها هي: 1- المقطع القصير المفتوح، مكوّن من (ص م)، نحو: (ض) (اخترت الرّموز: (ص) لتمثيل الصّامت؛ (م) للصّانت القصير؛ و(م-) لتمثيل الصّانت الطويل؛ وهي نفس الرّموز التي اختارها أستاذي الدكتور المهدي بوروبة - حفظه الله). 2- المقطع المتوسّط المفتوح: مكوّن من (ص م-)، نحو: (ما). 3- المقطع المتوسّط المُغلق: مكوّن من (ص م ص)، نحو: (كم). 4- المقطع الطويل المُغلق بصامت: مكوّن من (ص م- ص)، يقلّ في حشو الكلمة، نحو: (باب)، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿الضّالّين﴾ (سورة الفاتحة: الآية 07)، ﴿والصّافات﴾ (سورة الصّافات: الآية 01)، و﴿الحاقّة﴾ (سورة الحاقّة: الآية 01)، و﴿مُدّهامتان﴾ (سورة الرّحمن: الآية 64)، وأنسب المواقع هي نهاية الكلمات. 5- المقطع الطويل المُغلق بصامتين: مكوّن من (ص م ص ص)، لا يظهر إلّا في نهاية الكلمات وفي حالة الوقف عليها بالسّكون، مثل: (بذُر). 6- وهناك شكل سادس نادر الحدوث: مكوّن من (ص م- ص ص)، مثل (شاق، ضال)، ولقلّة تردّد في الكلمة العربيّة فقد أغفله الكثير من الباحثين فلم يذكره في نظام المقاطع العربيّة. يُنظر: "ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص 289-290.



متوسّط مفتوح، ثم مقطع قصير: أذ + ذا + م)، وبذلك تحوّل المقطع الطويل ثنائي الإغلاق في نهاية الكلمة إلى مقطع طويل أحادي الإغلاق.

والقاعدة نفسها تنطبق على باقي الكلمات التي في تركيبها تضعيف، نحو: (عَيْر) فهي مكوّنة من مقطعين صوتيين (من نوع المتوسّط المغلق: عَي + يِر) التي أصبحت بعد المخالفة (عَاير) مكوّنة من مقطعين اثنين (مقطع متوسّط مفتوح، متبوع بمقطع متوسّط مغلق: عَا + يِر)، وبذلك تحوّل المقطع المتوسّط المغلق في بداية الكلمة إلى مقطع متوسّط مفتوح.

وكذلك الفعل (حَنَّ) وهو مكوّن من مقطعين صوتيين (مقطع متوسّط مغلق متبوع بمقطع قصير: حَنَّ + نَ) التي أصبحت بعد المخالفة (حَان) مكوّنة من مقطعين اثنين (مقطع متوسّط مفتوح، متبوع بمقطع قصير: حَا + نَ)، وبذلك تحوّل المقطع المتوسّط المغلق في بداية الكلمة إلى مقطع متوسّط مفتوح.

وبذلك تكون القاعدة المستوحاة أنّ المقطع المتوسّط المغلق، أيّاً كان موقعه في البناء، يتحوّل بعد المخالفة إلى مقطع متوسّط مفتوح؛ وأنّ المقطع الطويل ثنائي الإغلاق يتحوّل إلى مقطع طويل أحادي الإغلاق.

- كلمات احتوى بناؤها على ثلاثة أصوات متماثلة متجاورة، حيث نجد أنّ مقاطعها أثناء تحوّلها قد تقلّصت عدداً وطولاً في حال الوصل، بينما يختلف ذلك في حال الوقف؛ ومثال ذلك في حال الوصل الفعل (تَمَطَّط) وهو مكوّن من أربعة مقاطع صوتية (مقطع قصير، متبوع بمقطع متوسّط مغلق، ثم مقطعين قصيرين: تَ + مَط + طَ + طَ) التي أصبحت بعد المخالفة (تَمَطَّى) مكوّنة من ثلاثة مقاطع صوتية (مقطع قصير، متبوع بمقطع متوسّط مغلق، ثم مقطع متوسّط مفتوح: تَ + مَط + طَى)، وبذلك تحوّل المقطعان القصيران في



نهاية الكلمة إلى مقطع متوسط مفتوح ؛ ولذلك أباح علماء العروض التعديل في السبب الثقيل (المركب من مقطعين صوتيين قصيرين)، بحذف الصائت القصير نهاية المقطعين القصيرين المتتابعين، ليصبح بذلك سبباً خفيفاً¹؛ ولهذا لم يُفرّق علماء العروض، عند تحديدهم للوحدات الإيقاعية الصغرى (أو المقاطع العروضية من الأسباب والأوتاد والفواصل)، بين المقطع المتوسط المغلق والمقطع المتوسط المفتوح ، واعتبروهما مقطعاً عروضياً واحداً ، هو السبب الخفيف. ذلك أنّ الإيقاع الموسيقي في اللغة يُبنى بالأساس على المقاطع الصوتية¹، فالمقطعين (المتوسط المفتوح والمغلق) يتعادلان قوّة ونغماً ويتساويان فيما يعتريهما من تغيّرات في تيار الكلام².

أمّا في حال الوقف (تمطّط) فإننا نلّفها مكوّنة من ثلاثة مقاطع صوتية (مقطع قصير، متبوع بمقطعين من النوع المتوسط المغلق : ت+مطّ+ططّ)، أصبحت بعد المخالفة (تمطّط) مكوّنة من ثلاثة مقاطع صوتية (مقطع قصير، متبوع بمقطع متوسط مغلق، ثمّ مقطع متوسط مفتوح : ت+مطّ+ططّ)، وبذلك تحوّل المقطع المتوسط المغلق في نهاية الكلمة إلى مقطع متوسط مفتوح ؛ وبذلك تكون الكلمة قد حافظت، في حال الوقف عليها، على عدد وطول مقاطعها الصوتية.

ولم تكن الألف وحدها بديلاً عن أحد الصوتين المتماثلين، تخفيفاً للنطق، بل كانت الياء أيضاً، لأنّها لا تقلّ في خفائها وخفتها عن الألف، يقول المهدي بوروبة: «وقد شاع هذا الإبدال في العربية حتى كاد يستغرق أصوات المنظومة

¹ يُنظر: الجواهر في البحور والدوائر: رضوان محمد حسين النجار ، مكتبة فلاوسن-تلمسان-الجزائر، ط1، 1431هـ-2000م، ص53.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروبة، ص276.



كاملة»¹؛ وقد ذكر العلماء قديماً وحديثاً نماذج كثيرة من اللغة العربية، ومن ذلك:

- (دَبَّاج) (ديباج)؛ ومعناه الثياب من الحرير ؛ يقول ابن الأثير (ت606هـ): «هو الثيابُ المتَّخذة من الإبريسم، فارسي مُعَرَّبٌ وقد تفتح دأله ويُجمَع على (دَيَابِج) و(دَبَابِج) بالياء والباء لأن أصله (دَبَّاج)»².

- (دِمَّاس) و(ديماس)؛ ومعناه الغطاء؛ يقول مرتضى الزبيدي (ت1205هـ): «أنَّه من الدَّمَسِ، وهو التَّغْطِية، وَقَالُوا: يَاؤُهُ بَدَلٌ عَنِ المِيمِ، وَأَصْلُهُ، دِمَّاسٌ، كَمَا قَالُوا فِي (دِينَارٍ) وَنَحْوِهِ»³.

- (دِنَّار) و(دينار)؛ (الدينار) اسم للمسكوك من الذهب الذي وزنه اثنتان وسبعون حبة من الشعير المتوسط، وهو معرب أصله (دَنَّار) من الرومية⁴. يقول الأزهري: «أصل (دينار) (دِنَّارٌ) فقلبت إحدى النونين ياءً، ولذلك جُمع على دنانير»⁵.

- (دَوَّان) و(ديوان)؛ يقول البغدادي (ت1093هـ): «(الديوان) أصله فارسي معرب واستعملته العرب وجعلوا كل محصل من كلامٍ أو شعر ديواناً»⁶. و(الدِّيوانُ) أصله (دِوَانٌ)، عُوِّضَ من إحدى الواوين ياءً لأنه يجمع على (دَوَاوِينِ)، ولو كانت الياء أصلية لقالوا (دِياوين). يقول ابن منظور: «وفي الحديث: (لا يَجْمَعُهُم دِيوَانٌ حَافِظٍ)؛ قال ابن الأثير: (هو الدفتر الذي

¹ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص250.

² (النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ص202/2).

³ (تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (د م س)، ص89/16).

⁴ يُنظر: التحرير والتنوير (المعروف بتفسير ابن عاشور): ابن عاشور، ص132/3.

⁵ (تهذيب اللغة: الأزهري، مادة (ر ن د)، ص446/4).

⁶ (خزانة الأدب ولب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، ص426/7).



يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وأول من دَوَّنَ الدِّيوانَ عمر رضي الله عنه، وهو فارسي معرب»¹.

- (رِزٌّ) و(رِيزٌ)؛ ومعناه الكَتَّانُ؛ يقول مرتضى الزبيدي: «ومن العرب مَنْ يَقْلِبُ أَحَدَ الْحَرْفَيْنِ الْمُدْغَمَيْنِ يَاءً فَيَقُولُ فِي (مَرٍّ): (مَيْرٌ) وَفِي (زِرٌّ) (زَيْرٌ) وَفِي (رِزٌّ) (رِيزٌ)؛ و(الزَيْرُ) : الكَتَّانُ»².

- (شِرَّازٌ) و(شِيراز)؛ ومعناه اللَّبَنُ؛ يقول مرتضى الزبيدي: «الشِّيرازُ، بِالْكَسْرِ: الَّذِي يُؤْكَلُ، وَهُوَ اللَّبَنُ الرَّائِبُ الْمَسْتَخْرَجُ مَاؤُهُ؛ وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ اللَّبْنَ بِالْفَارِسِيَّةِ شِيرازُ، جَمْعُ (شَوَارِيزُ)، كَمِيزَانٍ وَمَوَازِينٍ؛ وَقِيلَ: (شَرَارِيزُ)، وَأَصْلُهُ (شِرَّازٌ)، مِثْلُ (دِينَارٍ) : وَ (دَنَانِيرٍ) [...] وَ(شِيرَازُ بْنُ طَهْمُورَثَ) : مَلِكُ الْفُرْسِ، بَنَى قَصْبَةَ بِلَادِ فَارِسَ، فَسُمِّيَتْ بِهِ»³. و(شيران) بلد عظيم مشهور معروف في بلاد فارس؛ يقول ياقوت الحموي (ت626هـ): «ذهب بعض النحويين إلى أن أصله (شِرَّاز) وجمعه (شَرَارِيز) وجُعِلَ الياء قبل الراء بدلا من حرف التضعيف»⁴.

- (قِرَّاطٌ) و(قِيرَاطٌ)؛ يقول ابن منظور: «وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من قرأ أربعمئة آية كتب له قِنْطَارٌ، الْقِنْطَارُ مِائَةٌ مِثْقَالٌ، الْمِثْقَالُ عِشْرُونَ قِيرَاطًا، الْقِيرَاطُ مِثْلُ جَبَلِ أَحَدٍ)»⁵. و(القيراط) معيار معيار في الوزن وفي المقياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم في

¹ (لسان العرب: ابن منظور، مادة (د و ن)، ص13/164.

² تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ز ن هـ ر)، ص16/89.

³ نفسه، مادة (ش ر ز)، ص15/177.

⁴ معجم البلدان: ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي، دار الفكر-بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص3/380.

⁵ (لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ن ط ر)، ص5/118.



الوزن أربع قمحات ، وفي وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات ، وفي القياس جزء من أربعة وعشرين ، وهو من الفدان يساوي خمسة وسبعين ومائة متر¹ ؛ وقال مرتضى الزبيدي: اتَّفَقَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّهُمْ يَمَسْحُونَ أَرْضَهُمْ بِقَصَبَةٍ طُولُهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ ، بِالنَّجَارِيِّ ، فَمَتَى بَلَغَتْ الْمِسَاحَةُ أَرْبَعِمِائَةَ قَصَبَةٍ فَاسْمُهَا الْفَدَانُ ، ثُمَّ أَحَدُثُوا قَصَبَةً حَاكِمِيَّةً طُولُهَا سِتَّةُ أَذْرُعٍ وَرُبْعُ سُدُسٍ بِالذَّرَاعِ الْمِصْرِيِّ ، وَجَعَلُوا الْقَصَبَتَيْنِ فِي الضَّرْبِ بِدَانِقٍ ، وَالثَّلَاثَةَ إِلَى الْأَرْبَعَةِ ، وَالْخَمْسَةَ إِلَى السَّبْعَةِ بِجَبَّةٍ ، وَالثَّمَانِيَةَ نِصْفَ الْقِيرَاطِ ، وَالْعَشْرَ بِجَبَّتَيْنِ وَهَكَذَا إِلَى الْمِائَةِ تَنْقُصُ قَصَبَتَيْنِ وَبَعْضُ قَصَبَةٍ رُبْعَ فَدَانٍ [...] وَأَمَّا الْقِيرَاطُ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ فَقَدْ جَاءَ تَفْسِيرُهُ فِيهِ أَنَّهُ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ . قُلْتُ : يُشِيرُ إِلَى حَدِيثٍ : (مَنْ شَهِدَ الْجِنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ . قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ)² .

ولم تخص هذه الظاهرة الكلمات التي ظهر فيها التضعيف فقط، بل إننا نجد في اللغة العربية نوعاً آخر من البناء أين تلجأ العربية إلى إبدال أحد الصوتين ياءً ، تيسيراً للنطق ، وإن كان هذان المتماثلان غير متماسين ، بأن يُفَرَّقَ بينهما صوتٌ آخر، ومثال ذلك ما تعرّضت له كلمة (دَهْدَهْتُ) من تغيير بفعل المخالفة، وقد نقل سيبويه رأياً للخليل في ذلك، وفسر هذه الظاهرة بقوله: «(دَهْدَيْتُ) هي فيما زعم الخليل (دَهْدَهْتُ) بمتزلة (دَحْرَجْتُ) ، ولكنه أبدل الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والحفة نحوها»³ .

¹ يُنظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، ص727/2.

² تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ق ر ط)، ص16/20.

³ الكتاب: سيبويه، ص436/1.



أما الصّائت الطويل الثالث (الواو)، وهو أثقلُ أصوات المدِّ، فإنَّ العربيَّة تُعوّضُ أحد المتماثلين به، فراراً من الثَّقَل، حيث يكون في النّطق بهما كلفةً ومشقّةً وتعب، ومثال ذلك:

- (يَضْرُئِي) و(يَضُورِي)؛ يقول الجوهري: «ضاره يضوره ويضيره ضورا وضيرا، أي ضره». قال الكسائي: سمعت بعضهم يقول: (لا ينفعني ذلك ولا يضورني)»¹.

- (العُوسّ) و(العُوس)؛ و العُوسُّ: ضربٌ من الغنم ، يقال : (كبشٌ عوسي)².

- (عُشّ الطائر) و(عُوش الطائر)؛ العُش هو موضع فراخ الطير إذا كان من حطام النبت والزغب ، وإذا كان من غير ذلك فإنَّ العرب تقول : الوكر والوكن والموكن، وإذا كان في الأرض فهو الأفحوص، وإذا كان للنعامة فهو الأدمي³.

- (يَشُبُّ) و(يَشْبُو)؛ يَشْبُو النَّارَ: أي شَبَّها. وشَبَّوتُ إلى كُلِّ شَيْءٍ عُلُوًّا: إذا نَزَّوتَ إليه. و شَبَّوتُ بالرَّجُلِ: تَعَلَّقَتْ بِثَوْبِهِ ؛ والشبو: حَدُّ كُلِّ شَيْءٍ، والجمْعُ: شَبَّوات⁴؛ يقول الفراء: «والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو [...] وسمعت بعض بني عقيل ينشد: (يشبو بها نشجانه) (من

¹ (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص2/723.

² يُنظر: نفسه، مادة (ع و س)، ص3/954.

³ يُنظر: إتفاق المباني وافتراق المعاني: تقي الدين المصري أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار-عمان، ط1، 1985م، ص1/251.

⁴ يُنظر: المحيط في اللغة: الصحاح بن عبّاد أبو القاسم إسماعيل، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب-بيروت، ط1، 1414هـ-1994م، مادة (ش ب)، ص2/182.



النشيج)، هذا آخر بيت، يريد: يَشُبُّ: يظهر، يقال: (الخمير الأسود يشب لون البيضاء)، فجعلها واوا، وقد سمعته في غير ذلك»¹.

وقد أثبتت الدراسات أن العرب لم يُبدلوا أحد المتماثلين في البناء المستثقل بأحد أصوات المدّ فقط، طلباً للخفّة أثناء النطق، بل إنهم كثيراً ما كانوا يُبدلون أحد الصّوتين بصوت آخر يتمتّع بالخفّة ووضوح السّمع أيضاً، وهذه الأصوات (اللام والميم والنون والراء) وهي أصوات شبيهة في خصائصها بأصوات المدّ، ولذلك وصفوها بأشباه أصوات اللّين² (Semi-voyelle)³، أو أشباه أصوات المدّ، وقد يُسمّىها آخرون بالأصوات المائعة⁴ (Consonne Liquide)، وأكثر ما يُمثّل تلك المشابهة بين الأصوات المائعة والصّوائت هو اتّساع الجرى أثناء النطق بها، وهو ما يؤدي إلى قلة الاحتكاك أو انعدامه، ومن ثمّ ضعف الحفيف المصاحب لها أو انعدامه⁵؛ وبذلك كانت هذه الأصوات (المائعة والصّائتة) أكثر الأصوات وضوحاً في السّمع، غير أن وضوح الأصوات المائعة أقلّ من وضوح الأصوات الصّائتة؛ يقول المهدي بوروبة: «وقد اهتدى البحث الصوتي الحديث إلى أن الأصوات المائعة تتميز بقوة إسماع عالية، فهي من أندى الأصوات وأصغها لشدة ارتفاع رنينها، فهي تحتلّ المرتبة الثانية بعد الصّوائت، من حيث قوّة الرنين في سلّم جسر سن الذي يتشكّل من ثماني درجات يبدأ بأضعف

¹ معاني القرآن: الفراء، ص 214/5.

² يُنظر: الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ص 37.

³ يُنظر: معجم اللّسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربيّة: بسّام بركة، ص 186.

⁴ أطلق عليها بعض المحدثين تسمية (أشباه أصوات اللّين)، وأطلقوا على الصّوائت الطويلة والقصيرة عبارة (أصوات اللّين). يُنظر:

الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ص 42.

⁵ يُنظر: الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ص 26-27.



الأصوات رنيناً لينتهي بأقواها»¹. ففي أثناء النطق بالأصوات المائعة ينشأ شيء قليل من الاحتكاك بسبب ارتفاع اللسان ارتفاعاً يمنع تلك الحرية في خروج الهواء²؛ وبذلك تكون هذه الأصوات تتوسّط بين الصّوائت والصّوامت، من حيث السّهولة في النطق بها، ومن حيث الوضوح السّمعيّ؛ فهي أقرب الصّوامت إلى الصّوائت؛ يقول إبراهيم أنيس: «ومن النتائج التي حقّقها المحدثون أنّ اللّام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين»³. ولذلك سُمّيت بالأصوات المتوسّطة أيضاً، وقد عدّت هذه الأصوات من حروف الذّلاقة، ويُقال لها أيضاً الحروف الذّلق أو المذّقة أو الذّقيّة، وعددها ستّة مجموعة في عبارة (فَرٌّ مِنْ لُبٍّ)؛ وإنّما سُمّيت بذلك لأمرين هما: أنّ خروجها من ذّلق اللسان أو الشّفة، أي طرّفه، والأمر الآخر: أنّها تخرج من مخرجها بسهولة وخفّة من غير كُلفة⁴؛ وعكس الإذلاق الإصمات، فباقي الأصوات إنّما هي مصمّتة، والإصمات في اللّغة هو المنع، لأنّه من (صمت) إذا منع نفسه من الكلام، وفي الاصطلاح: امتناع انفرادها مجتمعة أصولاً في كلمة عربيّة رباعية أو خماسية، إذ لا بدّ من وجود حرف أو أكثر من الحروف المذّقة معها⁴؛ ولذلك عدّت بعض الكلمات الرباعية والخماسية الخالية من الحروف المذّقة دخيلة في كلام العرب، نحو (عَسَجَد) و(عَسَطوس)⁵؛ يقول مرتضى الزبيدي: «العَسَجَدُ: الذّهَبُ، وقيل: هو اسمُ جامِعٍ، يُطلَقُ على الجَوْهَرِ كُلِّهِ، كالدرِّ والياقوتِ. وقال المازنيُّ: (العَسَجَدُ: البعيرُ الضَّخْمُ، واللّطيمُ: الصَّغِيرُ من

¹ "ظواهر التشكيل الصوتي عند التّحاة واللّغويين العرب حتّى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص244-245.

² يُنظر: في الأصوات اللّغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص42.

³ الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص27.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص95.

⁵ عسطوس: هي شجرة لبنة الأغصان لا أبن لها ولاشوك، يقال لها الخيزران. يُنظر: تَهذيب اللّغة: الأزهري، ص170/1.



(الإبل). وفي الصحاح: (العَسَجْدُ: أَحَدُ مَا جَاءَ مِنَ الرَّبَاعِيِّ بَعِيرِ حَرْفٍ ذَوَلْقِي ؛
والحروف الذَوْلَقِيَّةُ سِتَّةٌ: ثَلَاثَةٌ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ ، وهي: الرَّاءُ وَاللَّامُ وَالثُّونُ ،
وثلَاثَةٌ شَفَهِيَّةٌ، وهي: البَاءُ وَالْفَاءُ وَالْمِيمُ؛ وَلَا تَجِدُ كَلِمَةً رَبَاعِيَّةً وَلَا خُمَاسِيَّةً إِلَّا
فِيهَا حَرْفٌ أَوْ حَرْفَانِ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ أَحْرَفٍ، إِلَّا مَا جَاءَ نَحْوَ (عَسَجَد) وَمَا
أَشْبَهَهُ) [...] وَأَحْسَنُ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا بُنِيَ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَتْبَاعَةِ الْمَخَارِجِ ،
وَأَخْفُ الْحُرُوفِ حُرُوفُ الذَّلَاقَةِ ، وَلِذَا لَا يَخْلُو الرَّبَاعِيُّ وَالْخُمَاسِيُّ مِنْهَا إِلَّا نَحْوَ
(عَسَجَد)، لِشَبَهِ السَّيْنِ فِي الصَّفِيرِ بِالنُّونِ فِي الْعُنَّةِ، فَإِذَا وَرَدَتِ كَلِمَةٌ رَبَاعِيَّةٌ، أَوْ
خُمَاسِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ فَاعْلَمْ أَنَّهَا غَيْرُ أَصْلِيَّةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ»¹.
ولعلَّ هذا الذي قرَّره علماء العربيَّة القدامى يتناسب مع الفرضيَّة التي نسبها أحمد
مختار عمر إلى الأستاذ هورويتز (Hurwitz) والتي مفادها أنَّ الكلمات العربيَّة
الكبيرة البنية التي تشتمل على لام أو نون أو ميم أو راء، قد تولَّدت نتيجة
عامل المخالفة بين صوتين متماثلين²؛ ومثَّل لذلك ببعض الشواهد من الأبنية
العربيَّة، نحو: حَرَجَلٌ، وَجَلَمَدٌ، وَعَنْكَبٌ، وَعَرَقَبٌ، وَقَرَمَطٌ، وَفَلَطَحٌ، والتي
تحقَّقت بفعل المخالفة من أصولها المضعَّفة: حَجَلٌ، وَجَمَدٌ، وَعَكَبٌ، وَعَقَبٌ،
وَقَمَطٌ، وَفَطَحٌ.
وبذلك كانت الأصوات المائعة أكثر شيوعاً في كلام العرب؛ وهذا ما قرَّره
الدَّرسُ الصَّوْتِيُّ الْحَدِيثُ، حيث كشفت الإحصاءات أنَّ اللام الأكثر تداولاً في
الأبنية العربيَّة، ثم تلتها النون، ثم الميم فالراء³.

¹ تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، ص 378/8.

² يُنظر: دراسة الصَّوْتِ اللَّغَوِيِّ: أحمد مختار عمر، ص 330.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصَّوْتِيُّ عِنْدَ التَّحَاةِ وَاللَّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ حَتَّى الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْمَهْجَرِيِّ": المهدي بوروبة، ص 253.



ومّا سبق ذكره يُمكنُ تصنيفُ الأصوات اللّغويّة من حيث الخفّة وقوّة الإسماع، الناتجين عن اتّساع مجرى النّفس أو ضيقه وعن درجة الاحتكاك وقوّة الحفيف المصاحب لها أو ضعفه أو انعدامه، إلى ما يلي: الأصوات الخفيفة والتي تتميز بقوّة إسماع عالية جدّاً، وهي الصّوائت الطّويلة والقصيرة؛ تليها صوتا اللّين¹ (الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما)؛ ثمّ الأصوات المائعة والمذلقة؛ وأخيراً الصّوائت المجهورة فالمهموسة².

ومن الأمثلة العربيّة التي حدثت فيها المخالفة بين الصوتين المتماثلين بإبدال أحدهما أحد الأصوات المائعة، ما يلي:

- (فَطَّح) و(فَلَطَّح) و(فِرَطَّح)؛ يقول ابن فارس (ت395هـ): «(فَطَّح) الفاء والطاء والحاء، كلمة واحدة؛ يقولون: (فَطَّحْتُ العود وغيره)، إذا عَرَضْتَهُ، وهو مُفَطَّحٌ، ورأسٌ مُفَطَّحٌ: عريضٌ»³. وهو المعنى نفسه الذي تؤدّيه كلمة (فَلَطَّح)، يقول ابن منظور: «رأسٌ مُفَلَطَّحٌ وفِلَطَّحٌ: عريضٌ، ومثله فِرَطَّحٌ بالراء، وكلّ شيء عَرَضْتَهُ فقد فَلَطَّحْتَهُ وفِرَطَّحْتَهُ»⁴.

- (عُرْدٌ) و(عُرْدٌ)؛ العُرْدُ كما جاء تفسيره هو الغليظ الشّدِيد⁵. يقول سيبويه: «نون (عُرْدٌ) زائدة، لأنهم يقولون (عُرْدٌ)»⁶.

- (عُصْلٌ) و(عُنْصُلٌ)؛ وهو ضرب من النبت شبيهه بالبصل الصغار⁷.

¹ وقد نعتهما بعض المحدثين بأشباه أصوات اللّين. يُنظر: الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس، ص42.

² يُنظر: دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر، ص342.

³ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة (ف ط ح)، ص510/04.

⁴ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف ل ط ح)، ص549/2.

⁵ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، مادة (ع ص د)، ص508/2.

⁶ الكتاب: سيبويه، ص414/1.

⁷ يُنظر: جمهرة اللّغة: ابن دريد أبو بكر محمّد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط1،

1987م، ص176/2.



- (سَنَّبْتُ) و (سَنَّبْتُ)؛ يقول ابن منظور: «التَّسَبُّتُ بالشَّيْءِ التَّعَلُّقُ بِهِ [...] الشَّنْبَةُ (بزيادة النون): العَلاقَةُ، يقال: (سَنَّبْتُ الهَوَى قَلْبَهُ) أَي عَلِقَ بِهِ»¹.

- (ذُرُوح) و(ذُرْنُوح)؛ واحد الذرايح: وهو الدود الصغار، وهو سم، ويقال: ذرحرح، وذرحرح، ذرنوح، وذرورح، وذرراح². قال الخليل بن أحمد: «هو شيء أعظم من الذباب قليلا، مُجَزَّعٌ مُبْرَقَشٌ بِحُمْرَةٍ وَسَوَادٍ وَصُفْرَةٍ لَهَا جَنَاحَانِ تَطِيرُ بِهِمَا، وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ، فَإِذَا أَرَادُوا كَسْرَ (حَدِّ) سَمِّهِ خَلَطُوهُ بِالْعَدَسِ، فَيَصِيرُ دَوَاءً لِمَنْ عَضَّهُ الْكَلْبُ الْكَلْبُ»³.

- (الخُرُوب) و(الخَرْنُوب)؛ يقول ابن سيده (ت458هـ): «الخُرُوبُ: شَجَرُ الْيَنْبُوتِ، وَاحِدَتُهُ: خَرُّوبَةٌ، وَهُوَ الْخَرْنُوبُ، وَالْخَرْنُوبُ، وَاحِدَتُهُ: خُرْنُوبَةٌ، وَخَرْنُوبَةٌ؛ وَأَرَاهِمُ أَبَدَلُوا النَّونَ مِنْ إِحْدَى الرَّاءَيْنِ، كَرَاهِيَةَ التَّضْعِيفِ»⁴.

- (الإِجَانَةُ) و(الإِنْجَانَةُ)؛ قال ابن منظور: «الْأَجْنُ: الْمَاءُ الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنِ [...] وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا بِالْوُضُوءِ مِنَ الْمَاءِ الْآجِنِ؛ وَالْإِجَانَةُ وَالْإِنْجَانَةُ الْأَخْيَرَةُ طَائِيَةٌ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ الْمُرْكَنِ، وَأَفْصَحُهَا إِجَانَةٌ، وَاحِدَةُ الْأَجَايِنِ»⁵.

¹ (لسان العرب: ابن منظور، مادة (ش ب ث)، ص2/158.

² يُنظر: إسفار الفصح: الهروي أبو سهل محمد بن علي بن محمد النحوي، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدنية المنورة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، ص1/608.

³ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص3/200 و5/375.

⁴ الخكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، ص5/172.

⁵ (لسان العرب: ابن منظور، مادة (أ ج ن)، ص13/08.



- (رُزٌّ) و(رُزٌّ)؛ يقول ابن سيده: «الرُّزُّ، والرُّزُّ: لغة في الأرز، الأخيرة لعبد القيس، وإنما ذكرتها هنا لأن أصل (رُزٌّ) (رُزٌّ) فكرهوا التشديد، فأبدلوا من الزاي الأولى نوناً»¹.

- (إِجَاصٌ) و(إِنجاصٌ)؛ قال الزبيدي: «الإِجَاصُ بالكسر مُشَدَّدَةٌ: ثَمَرٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَاكِهَةِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: دَخِيلٌ؛ لِأَنَّ الْجِيمَ وَالصَّادَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ [...] يُقَالُ: إِجَاصٌ وَإِنجَاصٌ، كَمَا يُقَالُ: إِجَارٌ وَإِنجَارٌ»².

- (الرَّسُّ) و(الرَّمْسُ)؛ الرَّسُّ معناه الدَّسُّ، وَقَدْ دَسَّهُ فِي رَسٍّ، أَي دَسَّهُ فِي بئرٍ، ومنه سُمِّيَ دَفْنُ المَيِّتِ فِي القَبْرِ (رَسًّا)، و(قد رَسَّ المَيِّتَ) أَي قَبَرَهُ، و(رَسُّ المَيِّتِ) بمعنى (قَبْرٍ)³؛ و(الوَّمْسُ) هو القَبْرُ المُدْرَمُ مَعَ الأَرْضِ، أَي المُسْتَوِي مَعَ وَجْهِ الأَرْضِ، وَإِذَا رُفِعَ القَبْرُ فِي السَّمَاءِ عَن وَجْهِ الأَرْضِ لَا يُقَالُ لَهُ (رَمْسٌ)⁴.

- (النَّغْسُ) و(انغَمَسَ)؛ تقول العرب (انغَسَّ في الماء) و(انغمَسَ) بمعنى واحد⁵.

- (طَرَّحَ) و(طَرَمَحَ)؛ قال ابن منظور: «طَرَّحَ بالشَّيْءِ وَ طَرَّحَهُ يَطَرِّحُهُ طَرَّحًا وَاطَرَّحَهُ وَطَرَّحَهُ: رَمَى بِهِ [...] وَطَرَّحَ الشَّيْءَ طَوَّلَهُ، وَقِيلَ رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ البِنَاءَ فَقَالَ: (طَرَّحَ بِنَاءَهُ تَطَرِّحًا) طَوَّلَهُ جِدًّا، قَالَ الجوهري: (وَكَذَلِكَ طَرَمَحَ، وَالمِيمُ زَائِدَةٌ)»⁶.

¹ الخكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، ص 06/9.

² تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (أ ج ص)، ص 474/17.

³ يُنظر: نفسه، مادة (ر س س)، ص 121/16.

⁴ يُنظر: نفسه، مادة (ر م س)، ص 133/16.

⁵ يُنظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (غ س)، ص 652/2.

⁶ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ط ر ح)، ص 528/2.



- (فَقَعَ) و(فَرَقَعَ)؛ (فَقَعَ) من التفقيع، وهو صوت الأصابع إذا ضرب بعضها ببعض، ويُقال: (فَرَقَعَهَا)، و(تَفْقِيعُ الْوَرْدَةِ) أن تُضْرَبَ بِالْكَفِّ فَتُفَقِّعَ وَتَسْمَعَ لَهَا صَوْتًا¹.

والتفسير الصوتي نفسه ذهب إليه الصوتيون المحدثون، وهو أن العربية تميل إلى التخلص من الثقل الناتج عن تتابع المتماثلين في البناء، فتلجأ في كثير من الأحيان إلى إبدال أحدهما صوتاً من الأصوات المائعة التي لا تتطلب مجهوداً كبيراً لإصدارها، وبذلك تتفادى النطق بالصوت المضعف الذي يُجهد آلة التصويت، لأنه يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر².

وقد تلجأ العربية في بعض الأحيان إلى إبدال أحد المتماثلين، صامتاً آخر غير الأصوات المائعة، إذا وجدت فيه ما يُميّزه من الوضوح والحسن، ومثال ذلك صوت السين، يقول الخليل بن أحمد: «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما؛ فإن كان البناء اسماً كزمتة السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف لأن الدال لانت عن صلابة الطاء»³؛ ومثال ذلك (اتخذ) و(استخذ).

كما قد تلجأ العربية إلى إبدال أحد الصوامت المتتالية همزة، درءاً للثقل، نحو إبدالها من الياء في (رائي) و(غائي) (نسباً إلى راية وغاية)؛ إذ الأصل فيهما: (رايي) و(غايي) بثلاث ياءات، فحفف بقلب الأولى همزة؛ قال الزبيدي: «الرأية: القلادة، أو هي التي تُوضع في عنق العلام الأبق، للإعلام بأنه أبق، وهي

¹ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف ق ع)، ص 255/8.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 255.

³ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 53/1.



حَدِيدَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ قَدَرَ الْعُنُقِ تُجْعَلُ فِيهِ [...] وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِمَا رَائِيٌّ¹. وللسيوطي (ت911هـ) كلام جميل في ذلك، معللاً سبب تفضيل الهمزة بدلاً عن الواو، إذ يقول: «وأما غاية ونحوها كطاية وثاية مما ثالثه ياء بعد الألف ففيه ثلاثة أوجه: النسبة إليه على لفظه فيقال: غايي؛ وإبدال الياء همزة، كما قلت في سقاية، فيقال غائي؛ وإبدال الهمزة المبدلة من الياء واوا فيقال غاوي؛ والهمزة أجود لأن فيه سلامة من استثقال الياءات، وإبدال أخف من إبدالين»².

وقد تُعْطَلُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بَعْضُ الْأَحْكَامِ الصَّرْفِيَّةِ، وَلَا تَتَّبِعُ قَوَاعِدَهَا، تَجَنُّبًا لِلثَّقَلِ، وَطَلْبًا لِلتَّيْسِيرِ فِي النَّطْقِ، إِذَا كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ تَكْوِينُ بِنَاءٍ فِيهِ تَضْعِيفٌ ثَقِيلٌ عَلَى اللِّسَانِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوَاعِدُ بَابِ النَّسْبِ؛ فَمِنْ أَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْمُنْسُوبِ الْمَلْحَقِ آخِرُهُ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ لَتَدَلَّ عَلَى نَسْبَتِهِ إِلَى الْمَجْرَدِ عَنْهَا، أَنْ تَحْذَفَ الْيَاءُ وَالْوَاوُ مِنْ فَعِيلَةٍ وَفَعُولَةٍ، نَحْوُ: حَنْفِيٍّ مِنْ (حَنِيفَةٍ)، وَشَنْئِيٍّ مِنْ (شَنْوَعَةٍ)، وَمِنْ فَعِيلَةٍ غَيْرِ مُضَاعَفٍ، نَحْوُ: جُهَيْرِيٍّ مِنْ (جُهَيْتَةٍ)، فَرَارًا مِنْ ثِقَلِ الضَّمِّ مَعَ الْوَاوِ، وَالْكَسْرِ مَعَ الْيَاءِ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْفَرَارَ مِنَ الثَّقَلِ إِذَا كَانَ يُؤَدِّي إِلَى مَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْعَرَبِيَّةَ تَتَجَنَّبُهُ؛ وَلِذَلِكَ اشْتَرَطَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ صِحَّةَ عَيْنِ الْكَلِمَةِ وَنَفْيَ التَّضْعِيفِ³، لِأَنَّ التَّضْعِيفَ مُسْتَثْقَلٌ عَلَى اللِّسَانِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ:

- (شَدِيدَةٌ) فَالْقِيَاسُ حَذْفُ الْيَاءِ فِي النَّسْبَةِ، فَنَقُولُ (شَدِيدِيٍّ) إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ جَمَعَ بَيْنَ الْمُثَلِّينَ، وَكَانَ مُسْتَثْقَلًا عَلَى اللِّسَانِ، وَلِذَلِكَ خَرَجَتْ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْقِيَاسِ، وَأَبْقَتْ عَلَى الْيَاءِ، لِتَفْصِيلِ ذَلِكَ بَيْنَ الْمُتَمَثِّلِينَ، تَفَادِيًا لِلثَّقَلِ، لِتَكُونَ

¹ تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ر ي ي)، ص200/38.

² همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، ص404/3.

³ يُنْظَرُ: الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب، ص37.



النتيجة (شديديّ)؛ يقول: ابن السراج: «فأمّا شديدةً و طويلةً فلا تحذفُ الياءُ، لأنك إن حذفتها خرجت إلى الإدغام والإعلال»¹.

- (جليل) و(جليليّ)؛ قال ابن سيده: «وإذا كان أيضاً (فَعيلةً) أو (فَعيلً) أو (فُعيلً) عينُ الفعل فيه ولامه من جنس واحد ، وكان عين الفعل واواً ، لم يحذفوا، كقولك في النسب إلى (شديدة) أو (جَليلة): (شَدِيدِيّ) و(جَلِيلِيّ)، وإلى بني طَويلة (طَوِيلِيّ)، لأنك لو حذفت الياء وجب أن تقول (شَدَدِيّ) فيجتمع حرفان من جنس وذلك يستثقل، ولو قلت (طَوَلِيّ) لصارت الواو على لفظ ما يُوجب قلبها ألفاً، لأن (فَعَلَ) إذا كان عين الفعل منه واواً وجب قلبها ألفاً فكان يلزم أن يقال (طَالِيّ)، وقد قالت: العرب في بني حُويزة: (حُويزِيّ)، وهم من تيم الرّباب قبيلة مشهورة»².

وقد يندرجُ هذا ضمن مظهر آخر من مظاهر المخالفة الصوتية، وهو مظهر أشار إليه الدرس الصوتي الحديث ، حيث تتمّ المخالفة بإحداث عازلٍ يحول دون تماسّ المتماثلين؛ يقول غالب فاضل المطلي: «ثمّة مظهر آخر من مظاهر المخالفة عرفته العربية، لا يتمّ فيه التّعديل من خلال إبدال أحد المثليين بصوت مخالف، بل إنّ العربية تنجح فيه إلى إقحام صوت مدّ طويل بين المثليين استثقلاً للتّضعيف»³.

ولم تكتف العربية بالإبدال وحده كسبيل للتخالف الصوتي ، تحقيقاً للخفة والتيسير، بل كثيراً ما تلجأ إلى حذف أحد المتماثلين، ومثال ذلك حذف

¹ الأصول في التحو: ابن السراج، ص72/3.

² المخصّص: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1417هـ-1996م، ص162/4.

³ في الأصوات اللّغويّة- دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص285.



تاء (تَفَعَّلُ) إذا سُبِقَتْ بتاء المضارعة، ومثال ذلك كلمة (تَنْزَلُ)، فقد وردت في القرآن الكريم، بإثبات هذه التاء، فأبقت البناء على أصله، كما أنها وردت بحذفها (تَنْزَلُ)، موافقة بذلك ما درأ عليه العرب في كلامهم، تخفيفاً وتيسيراً للنطق، والمعلوم أن نزول القرآن بأوجه متعددة كان رحمة بقبائل العرب الذين كان لهجاتهم مختلفة، ودليل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم، فعن أبي بن كعب، قال: «كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فقمنا جميعاً، فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: (يا رسول الله، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرأ)، فقرأ، فقال: (أصبتما)، فلما قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال، كبر عليّ ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى رسول الله فرقا، فقال: «يا أيّ، إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمي، فأرسل إليّ أن اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمي، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها. قال: قلت: اللهم اغفر لأمي، اللهم اغفر لأمي؛ وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام»¹؛ فقد وردت (تَنْزَلُ) في قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَائِكَةُ﴾²؛ بينما وردت بحذف التاء في قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَائِكَةُ﴾

¹ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ص 36/1.

² سورة فصلت: الآية 29.



وَالرُّوحُ فِيهَا¹؛ وقد أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: «فإن التقت التاءان في (تَكَلِّمُونَ) و(تَتَرَّسُونَ)، فأنت بالخيار، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذف إحداهما، وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾²، و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾³. وإن شئت حذف التاء الثانية، وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾⁴، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾⁵. وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى: ﴿بَادِرَاتُمْ﴾⁶ و﴿وَارِيَّتْ﴾⁷ وهي التي يفعل بها ذلك في (يَذْكُرُونَ)، فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك»⁸.

و يكثر هذا النوع من التخالف الصوتي في اللغة العربية، باللجوء إلى حذف أحد الصوتين المتماثلين، فقد ذكرت كتب الصرف والنحو وباقي المصادر اللغوية الكثير من أبنية اللغة العربية التي يعترها هذا التغيير، ومن ذلك ما ذكره سيبويه في (باب ما حذف الياء والواو فيه القياس)، حيث قال: «وذلك قولك في ربعة: ربعي، وفي حنيفة: حنفي، وفي جذيمة: جذمي، وفي جهينة: جهني، وفي قتيبة: قتيبي، وفي شنوءة: شنئي وتقديرها: شنوءة وشنعي»⁹. ويُرجعُ المحدثون لجوء

¹ سورة القدر: الآية 04.

² سورة فصلت: الآية 29.

³ سورة السجدة: الآية 16.

⁴ سورة القدر: الآية 04.

⁵ سورة آل عمران: الآية 143.

⁶ سورة البقرة: الآية 71.

⁷ سورة يونس: الآية 24.

⁸ الكتاب: سيبويه، ص 460/1.

⁹ نفسه، ص 250/1-251.



العربية إلى حذف الياء في مثل هذه الحالات إلى كراهية تتابع الياءات في البناء الواحد، إذ النسبة تحدث بياء مشددة بعد كسرة فيكون البناء كمثل (حَنِيفِيٍّ)، ولما كانت الكسرة هذه مسبوقه بياء ثالثة، لجأت العربية إلى التخفيف من هذه الياءات المتتابعة، فحذفت الياء التي سبقت الكسرة، فراراً من ثقل تتابع الأصوات المتماثلة، ولم تكتفِ العربية بذلك فقط، بل لجأت إلى وضع صائت قصير مكان الصائت الطويل المحذوف، لا يُماثل الصائت القصير بعده (الكسرة) ولا يُجانس ياء النسب المشددة؛ وهو الفتحة، لتدعيم التخالف الصوتي أكثر؛ وترتب على ذلك بناءً غير مستثقل على اللسان وهو: (حَنِيفِيٍّ). ولم يخص الحذف صوت المدّ (الياء) فقط، بل نال صوت اللين أيضاً (الياء الساكنة المفتوح ما قبلها)، في مثل: (جُهَيْنَةَ)، حيث حُذِفَت الياء هنا درءاً للثقل، وتمّ الإبقاء على الصائت القصير (الفتحة) باعتباره مخالف للكسرة وللياء المشددة بعده، فحصلنا على كلمة (جُهَيْنِيٍّ). ولم تحذف العربية الياء فقط، بل حذفت الواو في مثل هذه الحالات، نحو: (شَنْوَاءَةً)، حيث تكون في النسبة (شَنْوَيْيٍّ)، ثم حُذِفَت الواو وجُعِلَ مكانها أخفّ الصوائت القصيرة (الفتحة)، ليصير البناء (شَنْوَيْيٍّ)؛ يقول غالب فاضل المطلي: «ويبدو أنّ ذلك كان قياساً على ما حدث في (فَعِيلَةَ) و(فَعِيلَةَ)، ولعله كان من باب الاطراد على وتيرة واحدة، أو لأنّ العرب قد شعروا بالثقل نفسه في النطق بالواو مع (إحدائية) النسب أو أنّ الواو كما بينا سابقاً قريبة من الياء فذهبوا إلى (أنّه قد وجد في (فَعُولَةَ) من الثقل ما وُجِدَ في (فَعِيلَةَ) فكانت مثلها»¹.

¹ في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ العربية: غالب فاضل المطلي، ص 287.



وتلجأ العربية أيضاً إلى المخالفة الصوتية بالحذف، في بعض الأبينة التي احتوت على مضعف الياء، نحو: (سَيِّد، مَيِّت، لَيِّن)، وغيرها، حيث فضل بعض العرب النطق بها: (سَيِّد، مَيِّت، لَيِّن)، تيسيراً للنطق واقتصاداً في الجهد العضلي المبذول؛ وقد ذكر هذه الأمثلة سيبويه، فقال: «وكذلك (سَيِّد) و(مَيِّت) ونحوهما؛ لأنهما ياءان مدغمة إحداهما في الأخرى، يليها آخر الاسم؛ وهم ممّا يحذفون هذه الياءات في غير الإضافة. فإذا أضافوا فكثرت الياءات وعدد الحروف ألزموا أنفسهم أن يحذفوا؛ فما جاء محذوفاً من نحو (سَيِّد) و(مَيِّت): (هَيِّن) و(مَيِّت)، و(لَيِّن) و(طَيِّب) و(طَيِّء)، فإذا أضفت لم يكن إلا الحذف، إذ كنت تحذف هذه الياء في غير الإضافة، تقول: (سَيِّدِي) و(طَيِّبِي) إذا أضفت إلى (طَيِّب)»¹.

2 - المخالفة بين الصائتين المتماثلين.

لم تكنف العربية بالمخالفة بين الصوامت إذا تتابعت، درءاً للثقل، وطلباً للخفة والتيسير؛ بل كثيراً ما تلجأ إلى توظيف التخالف الصوتي في معالجة ثقل النطق بالصوائت المتشابهة إذا تتابعت، بأن تُغيّر أحدها.

ومن الأمثلة العربية على هذا النوع من المخالفة الصوتية، ما ثبت في كتب الصّرف والنحو، من البناءات التي تتابع فيها صائت طويل وبعده آخر قصير، كأن يُتبع ألف المدّ بالفتحة؛ كما يحدث في بعض صيغ المثني؛ إذ المعلوم أنّ التثنية هي صيغة مبنية للدلالة على الاثنين، لأنّ الأصل فيها العطف، ومثال ذلك: (قام الزيدان) والأصل فيه (قام زيد وزيد)، كما أنّ الجمع صيغة مبنية للدلالة على العدد الزائد على الاثنين، كقولنا في الجمع المذكور السّالم: (المسلمون) و(المسلمين)، والأصل فيه العطف أيضاً، إلا أنّ العرب عدلوا عن

¹ (الكتاب: سيبويه، ص1/259).



التكرار طلباً للاختصار¹. والمقرر في علمي الصّرف والنحو العربيين أنّ التثنية تكون في الرفع بالألف والنون، وفي النصب والجرّ بالياء والنون، ويكون الحرف الذي تليه الياء والألف مفتوحاً؛ ومثال ذلك: رجلان، ورجلين². والشاهد من هذه الصّيغ هي حركة النون؛ إذ الأصل عند بعض العرب مجيء هذه النون بالفتح، إنّ في الجمع أو التثنية³، ودليل ذلك ما رواه العلماء من كلام العرب، ومنه قول حميد بن ثور الهلالي⁴ (ت70هـ) رضي الله عنه، من قصيدة يصف فيها قطة⁵: [بيت من الطويل]⁶

عَلَى أَحْوَذِيِّينَ⁷ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةٌ فَمَا هِيَ إِلَّا لَمَحَةٌ وَتَغِيْبُ

حيث فتحت نون المثني في (أَحْوَذِيِّينَ) على لغة بعض العرب. والملاحظ هنا أنّ الفتح ليس للضرورة الشعرية؛ لأنّ الكسر يصحّ معه الوزن. إنّ أنّ بعض العرب استثقل النطق بالفتح، فقلّبوا الفتحة كسرة، تيسيراً للنطق؛ وهكذا فسرها

¹ يُنظر: كتاب أسرار العربية: الأنباري، ص63-64.

² يُنظر: الكتاب: سيوييه، ص263/1.

³ يُنظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث-القاهرة، ط20، 1400هـ-1980م، ص69/1.

⁴ هو حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المنى، شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية، شهد حيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ومات في خلافة عثمان، وقيل: أدرك زمن عبد الملك بن مروان. عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين، وفي شعره ما كان يتغنى به. يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت، ط1، 1412هـ، ص126/2-127.

⁵ القطة: طائر معروف، سمي بذلك لثقل مشيه، واحده: قطة، والجمع: قطوات، وقطيات، (وقطت القطة): صوتت وحدها، فقالت: قطة قطة. يُنظر: الحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، مادة (ق ط و)، ص531/6.

⁶ يُنظر: ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمعه وحقّقه: محمد شفيق البيطار، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث-دار الكتب الوطنية-الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ-2010م، ص249. وكذلك: ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية أبي دؤاد الإيادي، صنعة: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط1، 1371هـ-1951م، ص55.

⁷ (الأحوذيين: مثني أحوذوي وهو السريع الخفيف، وأراد به هنا جناح القطة، ومعنى (استقلت): ارتفعت وطار في الهواء. وقوله: (فما هي) أي فما مسافة رؤيتها إلا مقدار لحظة أو نظرة، وتغيب عن البصر بعدها. يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح و ذ)، ص485/3.



الدّرس الصّوتيّ الحديث، الذي يرى أنّ عدول العربية عن فتحة التّون في المثنيّ، وقلبها كسرةً، إنّما هو من باب المخالفة الصّوتية، حيث أنّ العرب استثقلت تتابع صائتين متماثلين، الأوّل طويل (الألف) والثاني قصير (الفتحة)، في مثل (الطالبان)، فقلبوا الثاني كسرة، تجنّباً للثقل، فصار البناء (الطالبان)؛ وهذا ما أشار إليه سيبويه بقوله: «وكسرت الثقلية ههنا لأنّها بعد ألف زائدة، فجعلت بمزلة نون الاثني حيث كانت كذلك»¹، وهو تفسير يقترب إلى حدّ كبير بما استقرّ عليه علماء الأصوات المحدثون، بخلاف التفسير الذي جاء به أبو البركات الأنباري الذي قال: «فإن قيل: فلم كسروا نون التثنية وفتحوا نون الجمع؟ قيل: للفرق بينهما مع تباين صيغتهما؛ فإن قيل: وما الحاجة إلى الفرق بينهما مع تباين صيغتهما؟ قيل: لأنهم لو لم يكسروا نون المثنية ويفتحوا نون الجمع لالتبس جمع المقصور في حالة الجر والنصب بتثنية الصحيح، ألا ترى أنك تقول في جمع (مصطفى): (رأيت مصطفيين) و (مررت بمصطفيين)، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾²، فلفظ (مصطفيين) كلفظ (زيدين)، فلو لم يكسروا نون التثنية ويفتحوا نون الجمع لالتبس هذا الجمع بهذه التثنية»³. إلّا أنّ الأنباري يعود بعد ذلك فيفسّر سبب تخصيص النون بالكسر حال التثنية تفسيراً يقترب من تفسير المحدثين، ما عدا اعتباره أصوات المدّ مسبوقة بالحركات المجانسة لها، لأنّ الحقيقة التي استقرّ عليها الدّرس الصّوتي الحديث، هو أنّ أصوات المدّ ما هي إلّا حركات طويلة، وقد أشار إلى ذلك بعض علماء العربيّة قديماً بعبارات كثيرة، منها أنّ (الحركات أبعاض أصوات

¹ الكتاب: سيبويه، ص 300/1.

² سورة ص: الآية 46.

³ كتاب أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، ص 69-71.



المدّ¹؛ يقول الأنباري متسائلاً: «فإن قيل: فهلا عكسوا ففتحوا نون المثنية وكسروا نون الجمع وكان الفرق حاصلًا؟ قيل: لثلاثة أوجه»². ثم يذكر هذه الأوجه، وهي:

- الوجه الأول: أن نون التثنية تقع بعد ألف أو ياء مفتوح ما قبلها، فلم يستثقلوا فيها الكسرة، وأما نون الجمع فإنها تقع بعد واو مضموم ما قبلها أو ياء مكسور ما قبلها فاختاروا لها الفتحة لتعادل خفة الفتحة ثقل الواو والضمّة والياء والكسرة؛ ولو عكسوا لأدى ذلك إلى الاستثقال إما لتوالي الأجناس وإما للخروج من ضم إلى كسر؛

- الوجه الثاني: أن التثنية قبل الجمع والأصل في التقاء الساكنين الكسر فحركت نون التثنية بما وجب لها في الأصل وفتحت نون الجمع لأن الفتح أخف من الضم؛

- الوجه الثالث: أن الجمع أثقل من التثنية، والكسر أثقل من الفتح، فأعطوا الأخف الأثقل والأثقل الأخف، ليعادلوا بينهما.

ومن أمثلة إبدال فتحة نون المثني كسرة، بالمخالفة طلباً للخفة وتيسير النطق، ما جاء في القرآن الكريم، نحو كلمة (تَتَّبِعَنَّ) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾³؛ ذلك أن الفعل المضارع المسند إلى نون التوكيد الثقيلة في المفرد إنما يكون بالفتح (لَا تَتَّبِعَنَّ).

¹ يُنظر: الخصائص: ابن جني، ص 316/2. يُنظر أيضاً: شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الفتازاني، دار المعارف النعمانية-باكستان، 1401هـ-1981م، ص 220/1.

² كتاب أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، ص 69-71.

³ سورة يونس: الآية 89.



وقد ذهب بعض المحدثين إلى تفسير بعض الظواهر الصّرفية الأخرى على أنّه نتيجة من نتائج عمل المخالفة الصّوتية، ومن ذلك تعويض الكسرة عن الفتحة في حال نصب جمع المؤنث السّالم، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾¹، فكلمة (الْمُسْلِمَاتِ) هنا جاء منصوبة بالكسرة عوضاً عن الفتحة، وقد ثبت في لغات بعض العرب أنّهم أثبتوا الفتحة كحركة للنّصب في الجمع المؤنث السّالم؛ يقول السيوطي: «أما رفع هذا الجمع وجره فبالضمة والكسرة على الأصل، وأجاز الكوفية نصب هذا الجمع بالفتحة مطلقاً، وأجازه هشام منهم في المعتل خاصة، كلغة وثبة، وحكي (سَمِعْتُ لُغَاتَهُمْ)»². ومثال ذلك أيضاً بعض الكلمات التي ثبت أنّ العرب نطقت بها مفتوحة التاء، كالتّي استشهد بها الخليل بن أحمد في قوله: «العَرَقات: جمع العَرَق، الواحدة عَرَقة، وهي الأرومة التي تذهب سُفلاً في الأرض من عُروق الشجر في الوَسَط، وتأوّه كتاء جمع التأنيث ولكنّهم ينصبُونه، كقولهم: (رَأَيْتُ بِنَاتِكَ)، لِخَفَّتْهُ عَلَى اللِّسَانِ، لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى (فَعَالٍ)»³، والملاحظ في آخر كلام الخليل هنا أنّه علّل ميل العرب إلى عدم المخالفة في مثل هذه الكلمة التي توالت فيه صوائت متجانسة متماثلة (بِنَاتِكَ)، هو أنّها لم يتحقّق فيها السبب الموجب للتخالف، وهو الثقل، حيث جاء النطق بها غير مستقل على اللسان. ولذلك لجأت العربية إلى إبدال تلك الفتحة كسرةً، إذا كان البناء من التّوع الذي يستثقل النطق بالفتحة، نظراً لورود الفتحة بعد مُجانسها وهو ألف المدّ؛ وقد أقرّ ذلك الدرس الصوتي الحديث، يقول عبد القادر عبد الجليل: «وفي

¹ سورة الأحزاب: الآية 35.

² همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدّين السيوطي، ص 83/1.

³ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 152-153.



صورة المورفيمات (جمع المؤنث السالم) تتساوى فيه حالتا التّصّب والجرّ، ولعلّ السرّ في عامل المخالفة، هو تتابع المتواليّة الحركيّة في الفتحّات، التي بتأثير عامل المخالفة يغيّر اتجاهها من الاستعلاء إلى الاستفال. والأمر نفسه يسجّل مع مورفيمات (المثنى) في كسر نونه و(جمع المذكر السالم) في فتح نونه¹.

وقد نبّه الصّوتيون المحدثون إلى نوع آخر من التخالف الصّوتيّ، وهو ذلك الذي يعتري صائتين قصيرين متتابعين بإبدال الثاني صائناً طويلاً من جنسه، فإن كان الصّائت القصير كسرة أبدل ياءً، وإن كان ضمّة أُبدلَ واواً؛ وهو ما يُعرف في الدرس الصّوتيّ الحديث باسم المخالفة الكميّة²؛ ومثال ذلك ما يحدث لهاء الضمير الغائب وميم الإضمار عليها، من إشباعٍ لحركتيهما؛ والأصل في هاء الضمير الضم، إلا إذا سبقها كسر أو ياء ساكنة فإنها تكون مكسورة طلباً للتخفيف والمشاكلة³، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾⁴، وقد تمّ وصل الهاء بواو حال كونه مضموماً وبياء حال كونه مكسوراً، وذلك من أجل تبيين الهاء لحفائها⁵، ويكون إشباعها بحسب ما يسبقها، نحو قوله تعالى: ﴿بِمَسْ جَاءَهُ، مَوْعِظَةً مِّن رَّبِّهِ، فَإِنَّتَهَى بِلَهِّهِ، مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾⁶، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾⁷. وبذلك حدثت المخالفة الكميّة بين المقطعين الأخيرين من الكلمة، حيث كانا من النوع القصير المكوّن من الصّامت

¹ علم الصّرف الصّوتيّ: عبد القادر عبد الجليل، ص 149.

² يُنظر: "ظواهر التشكيل الصّوتيّ عند النحويّين واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجريّ": المهدي بورويّة، ص 267.

³ يُنظر: التّحوم الطوالع على الدّرر اللّوامع: إبراهيم المارغني، ص 39-40.

⁴ سورة الشعراء: الآية 35.

⁵ يُنظر: التّبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، ص 1/09.

⁶ سورة البقرة: الآية 274.

⁷ سورة البقرة: الآية 130.



والصّائت القصير: (أَرْجِهْ)؛ (رَبِّهِ)؛ (أَمْرُهُ)؛ (لَهُ)؛ (رَبُّهُ)، ليتحوّل المقطع الثاني إلى مقطع أطول مكوّن من صامتٍ وصائتٍ طويل: (أَرْجِهِي)؛ (رَبِّي)؛ (أَمْرُهُو)؛ (لَهُو)؛ (رَبُّهُو).

والأمر نفسه لهم الجمع إذا وقعت قبل متحرك، حيث قرأ بعض القراء قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾¹ بضمة مشبعة، وهي لغة لبعض العرب²، فكانت المخالفة الصوتية في مثل هذه الكلمات تنتاب المقدار الزمني الذي يتطلّبه النطق بالمقطعين الأخيرين، فيتحوّل المقطعان القصيران المتتابعان آخر الكلمة (عَلَيْهِمْ) إلى مقطع قصير يتبعه مقطع متوسط مفتوح (عَلَيْهِمْو)، وبذلك يختلف المقطعان المتتاليان من حيث الكمية.

إلا أن العرب قد حدّدوا الحالات التي يتمّ إشباع حركة الهاء، وهي أن تُسبق بصائت قصير، أمّا إذا سُبقت بأحد الصّائتين الطويلين الألف أو الواو، فإنّ العرب يُفضّلون عدم إشباع حركتها، بخلاف ما إذا سُبقت بالياء، سواءً أكان صائناً طويلاً أم صوت لين فقط، فإنّ بعض العرب يُشبع وبعضهم لا يفعل؛ يقول عباس حسن (ت1398هـ): «وهي في جميع أحوالها تكون مشبعة الحركة إذا وقعت بعد متحرك، فيمتد الصوت بحركتها حتى يكاد يحدث في النطق لا الكتابة، حرف علة مناسب لتلك الحركة، فبعد الضمة الواو، وبعد الكسرة الياء. أمّا إذا كانت متحركة بعد ساكن مطلقاً، إلا الياء، فالأحسن ضمّها من غير إشباع لحركتها، سواءً أكان الساكن صحيحاً، نحو: (مِنْهُ) أم معتلاً بغير الياء، مثل: (أباهُ)، (أبوهُ)»³. وقد أرجع سيبويه سبب عدم إشباع حركة الهاء

¹ سورة الفاتحة: الآية 7.

² يُنظر: التحجيم الطوالع على الدرر اللوامع: إبراهيم المارغني، ص36.

³ النحو الوافي: عباس حسن، ص221/1.



الهاء المسبوقة بصائت طويل غير الياء، بأنها فرار من تتابع أصوات متشابهة ، على اعتبار أن الهاء من مخرج الألف، وأن الألف تُشبه الواو والياء لأنها كلها صوائت طويلة؛ يقول سيبويه: «فإذا كان قبل الهاء حرف لين فإن حذف الياء والواو في الوصل أحسن ، لأن الهاء من مخرج الألف ، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا، وهو أحسن وأكثر ، وذلك قولك: (عَلَيْهِ يَا فَتَى)، و(لَدَيْهِ فُلَانُ)، و(رَأَيْتَ أَبَاهُ قَبْلَ)، و(هَذَا أَبُوهُ كَمَا تَرَى)؛ وأحسن القراءتين: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾¹، و﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث﴾²، و﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَسٍ بَخْسٍ﴾³، و﴿حَدُّوهُ فَعَلُّوهُ﴾⁴؛ والإتمام عربيٌّ»⁵. إلا أن المحدثين أرجعوا سبب ذلك إلى أن العرب استعانوا بالمخالفة الكمية⁶ بين المقاطع الصوتية، فلو تم إشباع حركة الهاء، نحو: (أباهُ) و(أبوهُ)، لتتبع مقطعين من نوع واحد (وهو المتوسط المفتوح)، ولذلك لجأوا إلى تقصير كمية المقطع الثاني واحتزلوا زمن النطق به ليصبح مقطعاً قصيراً، مخالفاً بذلك، كمياً، المقطع الذي سبقه.

3 - المخالفة بين الصوامت والصوائت.

ظهرت المخالفة بين الصوامت والصوائت في بعض أبنية اللغة العربية التي تتابع فيها صوتان متجانسان أحدهما من الصوامت والآخر من الصوائت؛ والمجانسة تكون بالمشابهة وبالمشاركة في بعض الخصائص الصوتية، والمعلوم في

¹ سورة الإسراء: الآية 106.

² سورة الأعراف: الآية 176.

³ سورة يوسف: الآية 20.

⁴ سورة الحاقة: الآية 30.

⁵ الكتاب: سيبويه، ص 380/1.

⁶ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحويين واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 268.



اللغة العربية أن الصّوائت القصيرة (الضمّة والكسرة والفتحة) تُجانس الصّوائت الطويلة (الواو والياء والألف) صفة ومخرجاً، وأنّ من الصّوائت الطويلة ما تكون من الصّوائت إذا تحرّكت، وهما الواو والياء، وقد يكونان وسطاً بين الصّوائت والصّوائت، أيّ أشباه الصّوائت، أو صوتيّ لين فقط إذا سكنتا ولم يُجانسا الصّائت القصير قبلهما (الفتحة)؛ أمّا الألف فلا يكون إلا مصوّتاً لامتناع كونه متحرّكاً مع وجوب كون الحركة السابقة عليه فتحة¹.

وإذا صادف في بعض الأبنية العربية أن تتابع صائتين، أحدهما طويل (الواو) والآخر قصير (الضمّة أو الفتحة أو الكسرة)، وكان النطق مستثقلاً بهما، فإنّ العربية تلجأ حينئذ إلى المخالفة بينهما بإبدال الطويل منهما (الواو) تاءً أو همزة، على اعتبار أنّ الواو والضمّة والفتحة متماثلين من حيث المخرج والصفات، لأنّ الضمّة إنّما هي بعض الواو، مثلما أنّ الكسرة هي بعض الياء، وأنّ الفتحة هي بعض الألف؛ ومثال ذلك ما حدث للكلمات التالية:

- (تُخمة) والأصل فيها (وُخمة) من (وُخم)؛ يقول أبو هلال العسكري (ت395هـ): «الوخيم والوخم: الثقيل الموبى، وخم وخامة، ومنه التُّخمة والأصل (وُخمة) فقلبت الواو تاءً»².

- (تُهمّة) وأصلها (وُهمّة) من (وهم)؛ يقول الأزهرى: «الوهم من الإبل: الذلّول المنقاد لصاحبه مع قوّة [...] ويقال: توهمتُ في كذا وكذا، وأوهمتُ الشيء إذا أغفلته، والتهمة أصلها وُهمّة من الوهم، يقال: اهتمتُه، افتعال منه،

¹ يُنظر: كتاب المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل-بيروت-لبنان، ط1، 1997م، ص21/2.

² كتاب جهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر-، ط2، 1988م، ص28/2.



ويقال: أَتَهَمْتُ فلاناً على بناء أَفَعَلْتُ، أي أَدَخَلْتُ عليه التُّهْمَةَ، ويقال: وَهَمْتُ فيكذا وكذا، أي غَلَطْتُ»¹.

- (تُرَاث) والأصل فيها (وُرَاث) لأنه من الوراثة، و(التراث) هو المال الموروث².

وقد ذكر ابن مالك (ت672هـ) بعض الأمثلة على ذلك، أذكر منها:³

- (تُجَاه) أصله (وُجَاه)؛ لأنه من الوجه.

- (تُكَاة) أصلها (وُكَاة) من (توكأت).

- (تَقْوَى) أصلها (وَقْوَى) بللواو، من (وَقَيْت).

- (تَوْرَاة) أصلها (وَوْرَاة)، على وزن (فَوَعَلَة).

- (تَالله) أصلها (وَالله)، أي واو القسم.

ولعلّ العلة في اختيار التاء بدلاً من الواو، كون الواو والضمّة والفتحة أصوات متماثلة في الصفات، فهي كلّها مجهورة، وهي متقاربة في المخارج؛ فاختارت العربية صوتاً يُخالفها في الصفات، ويكون قريباً من مخرجها⁴؛ فكان الصوت المناسب هو التاء، كونها مهموسة؛ وبذلك تمّ اجتماع الضمّة أو الفتحة مع ما يُضاد وُصِفُه ما وَصَفَهَا³.

¹ تمّذيب اللّغة: الأزهرى، ص384/2.

² يُنظر: إيجاز التعريف في علم التصريف: ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي، دراسة وتحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ - 2002م، ص179. وكتاب جهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، ص28/2.

³ يُنظر: إيجاز التعريف في علم التصريف: ابن مالك، ص179.

⁴ (إنهما يتقاربان مخرجاً، فللتاء من طرف اللسان وطرف الثنية الأعلى، ولا يمنع للحرف بعده إلاّ الشفة التي منها الواو. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص67-68.



ومن أمثلة المخالفة بين الصّوامت والصّوائت أيضاً، إبدال الواو المتبوعة بكسر همزة؛ ومن ذلك:

- (إله) و(ولاه)؛ قال الأزهري: «وأصل (إله) (ولاه)؛ فقلبت الواو همزة [...] ومعنى (ولاه) أنّ الخلق إليه يؤولون في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما يُصيبهم، وفي كل ما ينوبهم، كما يؤوله كلُّ طفل إلى أمه»¹.

- (إشاح) و(وشاح)؛ قال ابن السكيت: «يقال (وشاح) و(وشاح)، وحكى الأصمعي أيضاً (إشاح)»²؛ والوشاح: خرز تتوشح به المرأة، وجمعه وُشُح³.

- (إجاج) و(وجاج)؛ يقول ابن السكيت: «ليس بيني وبينه وجاجٌ ووجاجٌ وإجاج وأجاج: أي ستر»⁴.

- (إفادّة) و(وفادّة). بمعنى القدوم؛ يقول ابن منظور: «وفد فلان، يفدُ وفادّةً: إذا خرج إلى ملك أو أمير [...] وفد عليه وإليه يفدُ وفداً ووفوداً ووفادّةً وإفادّةً، على البدل: قديم فهو وفدٌ»⁵.

- (إعاء) و(إسادة) من (وعاء) (وسادة)؛ قال أبو البقاء العكبري (ت616هـ): «فإن كانت الواو مكسورةً نحو (وعاء) (وسادة) فقد همزها

¹ تهذيب اللغة: الأزهري، (الله)، ص106.

² إصلاح المنطق: ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف- القاهرة، ط4، 1949م، ص106/1.

³ يُنظر: جهرة اللغة: ابن دريد، مادة (ح ش و)، ص277/1.

⁴ إصلاح المنطق: ابن السكيت، ص410/4.

⁵ لسان العرب: ابن منظور، مادة (و ف د)، ص467/3.



قوم، وَوَجْهُهُ أَنَّ طَبِيعَةَ الْوَاوِ الضَّمِّ فَكَسَرُهَا مَخَالَفٌ لَطَبِيعَتِهَا فَكَأَنَّ الْوَاوَ خَالَطَتْهَا الْيَاءُ وَذَلِكَ شَاقٌّ عَلَى اللِّسَانِ فَعُدِلَ عَنْهَا إِلَى الْهَمْزَةِ»¹.

- (إِلْدَةَ) و(وَلِدَةَ)؛ الْوَلِدَةُ جَمْعُ الْأَوْلَادِ²؛ يَقُولُ الزَّبِيدِيُّ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بَدَلِ الْهَمْزَةِ مِنَ الْوَاوِ الْمَسْكُورَةِ، كَمَا قَالُوا (إِلْدَةَ) فِي (وَلِدَةَ)»³.

والعربية تستثقل تتابع الواو والضمة أكثر مما تستثقلها متبوعة بالحركات الأخرى؛ وهذا ما أثبتته علم الأصوات الحديث الذي يعتبر الواو والضمة بمثابة الواوين المجتمعين⁴؛ يقول أبو العلاء المعري: «وزعم النحويون إن ذلك مجاورة الواو الضمة لأن الواو إذا كانت مضمومة ضما لغير إعراب وغير ما يشابه الإعراب جاز أن تحوّل همزة»⁵. وقد تلجأ العربية في هذه الحالة إلى اجتلاب صوت آخر غير التاء للمخالفة بينهما، فُتبدل الواو المضمومة ضمّاً لازماً في أوّل الكلمة وحشوها همزة؛ ومن ذلك:

- (أُقَّتْ) والأصل فيها (وُقَّتْ)⁶؛ يقول المبرّد: «قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا ﴿وَأِذَا الرُّسُلُ أُقَّتْ﴾ (المرسلات الآية 11)، والأصل (وُقَّتْ)، ولو كان في غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت»⁷.

- (أُجوه) وأصلها (وُجوه)؛ قال المبرّد: «أما (وُجوه) فإن شئت همزت فقلت: (أُجوه) وإن شئت لم تهمز»⁷.

¹ (الباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، ص2/292).

² (لسان العرب: ابن منظور، مادة (ول د)، ص3/464).

³ (تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (وج د)، ص9/253).

⁴ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص256.

⁵ رسالة الملائكة: أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص241.

⁶ يُنظر: إيجاز التعريف في علم التصريف: ابن مالك، ص178.

⁷ (الكامل في اللغة والأدب: المبرّد، ص1/52).



- (الأسوق) من (الأسوق) جمع سوق؛ (الأذور) من (الأذور) من الدور؛ قال الخليل بن أحمد: «وَأَمَّا (الأسوق) و(الأذور) فمهموزان؛ لأنَّ (أذور) على (دار)، و(أسوق) على (ساق) [...] ولو طرح الهمز من (أذور) و(أسوق) لجاز على أن تُردَّ تلك الألف إلى أصلها وكان أصلها الواو»¹.
- (أثوب) والتي أصلها (أثوب) من الثوب؛ يقول الفيروزآبادي: «الثوب: اللباس، جمعه: أثوبٌ وأثوبٌ وأثوابٌ وثيابٌ، وبائعُهُ وصاحبُهُ: ثوابٌ»².
- (أنور) من (أنور)؛ قال ابن سيده: «النار: أُنثى و تكسيرها (نيران) و(نور) و(نيرة) و(أنور) منقلبة [...] والدليل على صحة القلب قولهم: (تَنَوَّرْتُ النارَ) أي: نظرتُ إليها»³.

وقد يكون سبب لجوء العربية إبدال الواو همزة، طلباً للخفة، متمثلاً في العلاقة بين هذين الصوتين، لأنَّ الهمزة نظيرة الواو في المخرج، فلهمزة من أقصى الحلق والواو من آخر الفم فهي محاذتها⁴.

غير أن العربية قد تلجأ أحياناً أخرى إلى المخالفة بين الواو والضمة عن طريق إبعادهما بعضهما عن بعض، بنقل الواو إلى موضع الفاء، فتحول فاء الكلمة بين الواو وبين الضمة، وبذلك تتحقق الخفة والانسحاب بين أصوات الكلمة؛ وهذا ما يُعرف في الدرس الصوتي الحديث بمبدأ إعادة التوازن إلى الكلمة عن طريق نقل أحد عنصري التتابع المتجانس⁵؛ ومثال ذلك: (أينق) التي أصلها (أوثق)، جمع ناقة؛ قال الزبيدي: «عينُ (أينق) قَلِبَتْ إلى ما قبلَ

¹ كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 247/8.

² القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ص 82.

³ المخصّص: ابن سيده، ص 132/5.

⁴ اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، ص 291/2.

⁵ يُنظر: في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلي، ص 441/26.



الفاء، فصارت في التّقدير (أوثق)، ثم أُبدلت الواو ياءً لآئها كما أُعلت بالقلب كذلك أُعلت أيضاً بالإبدال»¹.

ومثلما رأينا في الفصل الأوّل من هذا البحث أنّ المماثلة منها المتماصة ومنها المتباعدة، فكذلك تكون المخالفة التي تنقسم من حيث موقع الصوت المتغير إلى قسمين هما:²

1 - المخالفة التجاورية المتماصة : وتُسمّى أيضاً المتصلة³، وذلك عند عدم وجود صوت يفصل بين الصوتين المتخالفين ، كالذي يحدث عند النطق بالحروف المشددة؛ ومثال ذلك كلمة (كَبُكَبُوا) من قوله تعالى: ﴿كَبُكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِرَ﴾⁴، إذ الأصل فيها (كَبُوا) بالتضعيف، بمعنى: (ألقوا على رءوسهم في جهنم)، من قولنا: (كبيتُ الإناء) أي: قلبته⁵، فأبدل من الباء الوسطي كافا استثقالا لاجتماع ثلاث باءات⁶؛ لأنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي كبير حين النطق بهما في كلمة واحدة، ولهذا تطور الصوت الثالث في الفعل (تَكَبَّبَ) وهو (الباء) بتأثير المخالفة الصوتية تسهيلاً في النطق وتيسيراً للأداء، وتقليلاً للجهد العضلي المبذول ، وبذلك حدث في هذه الكلمة تخالف صوتي متصل.

¹ تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، مادة (ن و ق)، ص441/26.

² يُنظر: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص148-150.

³ يُنظر: أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم: فدوى محمّد حسان، ص79-80.

⁴ سورة الشعراء: الآية 94.

⁵ يُنظر: التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحى أنور الداوبولي، دار الصحابة للنشر بطنطا-القاهرة، ط1، 1992م، ص320.

⁶ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص116/13.



ومثل ذلك أيضاً كلمة (يُمَلِّلُ)، فقد وظَّف القرآن الكريم هذا الفعل مدغماً وغير مدغم في آية واحدة هي قوله تعالى ﴿بِإِن كَانَ أَلِدِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَعِيهَاً أَوْ ضَعِيهاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمَلِّ وَلِيَّهُ، بِالْعَدْلِ﴾¹، وذكر الفعل بصيغة (تُمَلَّى) من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ إَكْتَتَبَهَا بِهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾²؛ وقيل: (أَمَلَّتُ) و(أَمَلَيْتُ): لغتان، وقيل: الياء بدلٌ من أحد المثليين³؛ وإذا أخذنا بالقول الثاني، نجد أن العربية لجأت إلى التخالص الصوتي بأن أبدلت اللام الثانية ياءً لأنها أخفّ، والقاعدة دائماً هي أن العرب استثقلوا المثليين.

والأمثلة على هذا النوع من المخالفة كثيرة في اللغة العربية، وقد ذكرنا بعضاً منها في المباحث السابقة نحو: (خرنوب) و(دينار)، التي الأصل فيهما: (خرووب) و(دِنَّار)⁴ بتشديد الراء.

2 - المخالفة التباعدية: تُنعتُ بالمنفصلة، وتحدث في حالة وجود فاصل صامت بين حرفي المخالفة، مثل كلمة (اخضوضر) من (اخضر)، حيث أبدلت الراء الأولى واواً، إذ كان الأصل فيها (اخضوضر)؛ يقول الرازي: «الخضرة لون الأخضر، واخضر الشيء اخضراً و اخضوضراً وخضرة غيره تخضيراً»⁵؛ وتُسمى هذه الظاهرة بالمخالفة المنفصلة، لوجود فاصل بين الصوتين المتماثلين،

¹ سورة البقرة: الآية 281.

² سورة الفرقان: الآية 05.

³ يُنظر: الباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ص4/483.

⁴ يُنظر: علم الصرف الصوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص149.

⁵ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ-1995م، ص196.



وهو (الضاد)، وعلى الرغم من وجود هذا الفاصل بينهما، فقد تمت المخالفة بين المتماثلين، بأن أُبدلَ الأوّل منهما واواً. الملاحظ هنا أنّ التغيير الصوتي هنا لحق أحد الصوتين المتلين الموجود آخر المقطع المتوسط المغلق (اخ ضَرَّ ضَرَّ)، ولم يقع في الصوت الموجود في المقطع القصير المفتوح (اخ ضَرَّ ضَرَّ)، وهذا ما قرّره الدرس الصوتي الحديث، وهو أنّ التغيير في المخالفة التباعدية يحدث في أغلب أحواله في صوت المقطع المغلق من المقطعين المتماثلين صوتياً، ولا يحدث في الأصوات المتماثلة المتحركة¹.

ومثال ذلك أيضاً كلمة (بغداد) و(بغدان)؛ يقول: «يقال (بغداد) بالباء والداد والملاحظ أنّ الأساس الذي تقوم عليه المخالفة الصوتية هو كراهية التضعيف الذي ينتج عنه ثقل في الأداء النطقي، سواءً كان الصوتان متصلاً، أم منفصلاً، فمن التيسير اللغوي اختلاف الأصوات، لأنّ ذلك أخف على اللسان من النطق بها مضعفةً.

والأمثلة على هذا النوع من التخالف الصوتي أيضاً كثيرة، مثل: (لَعْن) في (لَعْل)، و(عُلوان) في (عُنوان)، ولا شك أنّ الكلمة تصير أخف نطقاً بعد المخالفة الصوتية؛ فبعض العرب يُبدلون النون من اللام، فيقولون: (لَعْن) بمعنى (لَعْل)³ لأنّهم لاحظوا أنّ تتابع اللّامات بهذا الشكل مستثقل على اللسان، على

¹ ينظر: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي: أحمد عبد المجيد هريدي، ص 40، 50 و 82.

² تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ص 59/1.

³ يُنظر: المغرب في ترتيب المغرب: ابن المطرز أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد-حلب-سوريا، ط1، 1979م، ص 454/2.



الرغم من وجود فاصل بينها وهو العين. كما يقول بعض العرب: (عُلوان الكتاب)، باللام، وهو صحيح كالعنوان بالنون، ومما لا شك فيه أن الأصل هنا هو كلمة (عنوان)، وأن الثانية متطورة عنها بسبب تأثير قانون المخالفة الصوتية بين النونين في هذه الكلمة؛ يقول الأزهري: «وسمي عنوان الكتاب (عنوانا) لأنه يعن¹ له من ناحيته؛ قال: وأصله (عَنَّان)، فلما كثرت النونات قلبت إحداها واوا، قال: ومن قال (عُلوان) جعل النون لاما، لأنها أخف وأظهر من النون»²؛ ولما تحققت التخالف الصوتي بين المتماثلين مع وجود فاصل بينهما، سُميت مخالفة منفصلة. ويوجد هذا النوع من التخالف حتى في لهجاتنا العامية، ومثال ذلك في العامية الجزائرية كلمة (سَنَسَلَة) والتي أصلها (سَلَسَلَة)، فحوّلت اللام الأولى إلى صوت آخر من مخرجها وهو النون، لأن البناء بلامين متجاورين أثقل على اللسان، والنون أخف على اللسان من اللام، وأوضح في السمع منه، وذلك بفضل صفة الغنة التي تتميز بها النون عن اللام، والغنة من الصفات القويّة، كما أن مقدار الغنة ألف، أي حركتان، فهي كالمد الأصلي يمدُّ حركتين، بلا زيادة ولا نقصان³.

ومثلما حدّد المحدثون نوعين من التّمائل الصوتي من حيث اتجاه التأثير، فكذلك فعلوا في المخالفة الصوتية، إذ جعلوها نوعين؛ يقول علي عبد الواحد

¹ العَنَّان من الدَّار: جاثبها الذي يعنُّ لك، أي يعرضُ لك. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، ص418/35.

² تهذيب اللغة: الأزهري، ص20/1.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص111.



وافي: «إذا تجاوز صوتان متّحدان أو تقاربا فإنّهما يتنافران أحياناً، فينتهي الأمر إلى واحدة من النتائج الثلاث الآتية: فتارة يتحوّل صوت أحدهما إلى صوت مغاير للآخر (ظاهرة التّباين Dissimilation)، ويقع هذا على ضربين: فأحياناً يتحوّل أوّلهما [...] وأحياناً يتحوّل ثانيهما [...] وتارة يسقط أحدهما في النطق [...] وتارة يتساقطان معاً»¹، وبذلك تكون المخالفة نوعين:

1 - المخالفة المقبلة أو التقدّمية : وهي أن يتّجه التّأثر إلى الأمام ، فيؤثر الصّوت الأوّل في اللاحق، فيجعله مختلفاً عنه، وأمثلة ذلك في كتب الصّرف والنحو واللغة كثيرة ومتعدّدة، وقد مرّ ذكر أغلبها، ومن ذلك: (تَطَّط) و(تَمَطَّى)، حيث تأثرت الطاء الأخيرة بأختيها السابقيين لها، فأبدلت ألفاً؛ ومثال ذلك أيضاً كلمة (خرنوب) والتي أصلها (خرووب)، حيث انتاب التغيير الرء الثانية، فتحوّلت إلى نون، وبقيت الرء الأولى على أصلها.

2 - المخالفة المدبرة أو الرّاجعة : وهي أن يتّجه التّأثر إلى الخلف ، بأن يؤثر الصّوت اللاحق في السّابق، فيجعله مخالفاً له، ومثال ذلك: (دينار) التي الأصل فيها (دِنّار)، فقد أثرت النون الثانية في الأولى، فتحوّلت الأولى صوت مدّ (الياء)؛ وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ النوع الثاني (أي المخالفة المدبرة) حيث يتحوّل الصوت الأوّل إلى صوت مغاير للثاني) هو الغالب².

وفرق المحدثون أيضاً بين نوعين من المخالفة، من حيث درجة التّأثر بين

الصّوتين، فكانت:

¹ علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، ص 299-300.

² يُنظر: نفسه، ص 299.



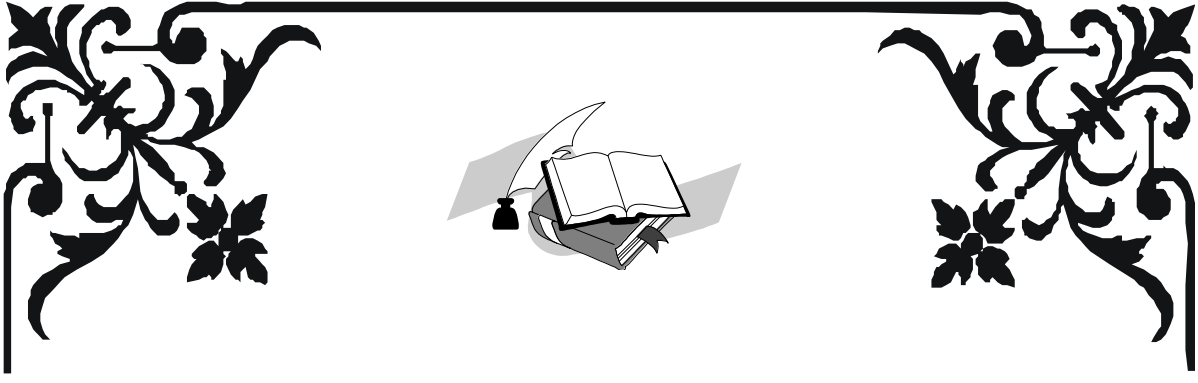
- 1 - المخالفة الكلية: وهي التي تكون بإبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتاً آخر مختلفاً عنهما، مثل: (أُقْتتْ) التي أصلها (وُقَّتتْ)؛ و(قِرَاط) التي أصلها (قِرَاط)¹؛ و(يَتَمَطَّى) التي أصلها (يَتَمَطَّط).
2 - المخالفة الجزئية: وهي التي تكون بحذف أحد الصوتين المتماثلين، نحو: (تَزَكَّى) و(تَلَهَّى) من قوله تعالى: ﴿بَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾²، وقوله سبحانه: ﴿بَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾³، إذ الأصل فيهما: (تَتَزَكَّى) و(تَتَلَهَّى).

وختاماً لهذا كله نلاحظ أن المخالفة الصوتية يترتب عليها عدّة تغييرات: تغييرات في البنية الصوتية بإبدال صوت بصوت آخر؛ وتغيير المقاطع الصوتية؛ وتغييرات في البنية الصرفية بحذف صوت أو صوتين؛ وكذا تغيير في الميزان الصرفي؛ فضلاً عن تأثير إعراب الكلمة أيضاً، مثل إعراب جمع المؤنث السالم. وهي تهدف من خلال ذلك كله إلى التفريق بين الأمثال و المتقاربات من الأصوات لتيسير النطق وتقليل الجهد، ولا شك أن الكلمة تصير حينئذٍ أخف نطقاً، والنتيجة بعد ذلك كله هي راحة اللسان وأذن السامع عند النطق بالكلمة، حيث تكون الأصوات سلسلة مطمئنة في مكانه اللائق بها، ومن ثم تكون القدرة على التأثير والفهم والإفهام. وقد تجلّت بعض مظاهر التخالف الصوتي في القراءات القرآنية المختلفة ومنها قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، وما سأتناوله في الفصل الموالي يُبيّن ذلك ويوضّحه.

¹ يُنظر: علم الصرف الصوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص 149.

² سورة النازعات: الآية 18.

³ سورة عبس: الآية 10.



المبابة الثاني

الظواهر الصوتية التخالفية

في قراءة نافع

الفصل الثاني

تطبيقات ذلك في قراءة نافع





تتبعُ في الباب الأوّل من هذا البحث أهمّ الظواهر الصوتية التماثلية التي تحدث عند أداء بعض الأصوات في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، والتي من شأنها إحداث توافق صوتيّ بين صوتين أو أكثر، وقد كانت تلك الظواهر كثيرة ومتعدّدة، تجلّت في بعض أحكام التجويد التي ارتبطت، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بالظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور، فكلّها أحكام تتبدّل وتتغيّر بتغيّر مواقع الأصوات في التركيب؛ إلاّ أنّ الظواهر الصوتية التخالفية في هذه القراءة قليلة، مقارنة بالظواهر التماثلية، وتقلّ معها التغيّرات الصوتية التي تحدث في بعض الأبنية بسبب الثقل الناتج عن تجاور الأصوات المتماثلة أو المتقاربة، طلباً للخفة واليسير في النطق، ليرتاح اللسان أولاً، ثمّ ليرتاح أذن السامع بعد ذلك بفعل التناسق الحاصل بين التتابعات الصوتية، وبذبذباتها المتوازنة والمتوازية؛ ذلك أنّ المخالفة، كما رأينا في الفصل الأوّل من هذا الباب، هي تأثر أحد الأصوات المتجانسة بصوت آخر مجاور له، مما يؤدي إلى تخالفهما، أيّ أنّها تهدف إلى التفريق بين الأمثال والمتقاربات، لأنّ تجاور بعض الأصوات المتماثلة أو المتقاربة يتسبّب في كثير من الأحيان في حدوث تصدّع يحس أبنية اللغة العربية، ويستثقل تركيبها، فيكون الملاذ المناسب لتفادي ذلك ولتيسير النطق وتقليل الجهد العضلي المبذول أثناء الكلام، هو التخالف والمغايرة بين تلك الأصوات. ولعلّ أهمّ الأحكام التي يتجلّى فيها التخالف الصوتي، هي: أحكام الهمزة؛ الإبدال؛ الحذف؛ التفخيم والترقيق؛ أحكام المقاطع؛ المدّ والقصر؛ هاء الضمير؛ ميم الجمع؛ ياءات الإضافة؛ الياءات الزوائد؛ الوقف؛ وغير ذلك ممّا سأعرضه في هذا الفصل بإذن الله تعالى.



إنّ من أكثر مظاهر التّخالف الصّوّيّ الموجودة في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، تلك التي نجدها في أحكام الهمزة وما يتعلّق بها، ولذلك فضّلتُ البدء بها ومناقشتها وتفسيرها والتعرّف إلى أنماطها. **أولاً: أحكام الهمزة.**

عرّفتُ في الفصل الثاني من الباب الأوّل الهمز لغة واصطلاحاً ، وبيّنتُ أنّ الهمزة أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً، ولذلك تنوع العرب في تخفيفها بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم لها تخفيفاً، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفها من طرقهم لكقراءة نافع من رواية ورش؛ وأحكام الهمز أربعة هي: التحقيق والتسهيل والحذف والإبدال، والتحقيق هو الأصل ويُقابله التغيير بأحد الأنواع الثلاثة¹.

والهمز قسمان: مفرد ومزدوج؛ وأكثر ما توجد مظاهر التّخالف الصّوّيّ في القسم الثاني؛ أمّا المفرد فقد ظهرت فيه أكثر مظاهر التّماتل، وقد ذكرتها في الباب الأوّل من هذا البحث، ولم أجد فيه إلاّ ثلاث حالات تخلّلها التّخالف الصّوّيّ، في حدود اطلاعي، وهي: همز ياء كلمة (النبيّ)؛ تسهيل همزة كلمة (اللّائي) التي تكتب (الّي) حال قراءتها وصلاً بين الهمز والياء أو كاهاء (اللّا(ه))؛ والهمزتان المجتمعتان² في كلمة واحدة، إلاّ أنّ إحداهما ليست ملاصقة للأخرى ، بحيث يفصل بينهما صوت آخر، كصوت الراء، نحو (رأيت)؛ لذلك سأكتفي في هذا الفصل بتناول الهمز المزدوج لتحديد مظاهر التّخالف التي تحدث لبعض الأبنية في هذه القراءة القرآنية.

¹ يُنظر: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع: المارغني، ص51.

² هذا النوع من الهمزتين المجتمعتين اعتبره بعض القراء من القسم الأوّل (الهمز المفرد) لأنّ الهمزتين لا تُلاصق إحداهما الأخرى؛ بينما اعتبره آخرون من الهمز المزدوج. يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص92.



أما همز ياء (النبي) في قراءة نافع، وقد وردت كذلك في بعض اللهجات العربية القديمة، فقد كان الدافع إليه هو تفادي ثقل نطق الياء المضعفة (المشددة)، لأن الأصل في هذه الكلمة، على رأي بعض علماء العربية، هو (النبي) مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع¹؛ فأبدلت الياء الثانية همزة طلباً للمخالفة، وتيسيراً للنطق، وقرأت (النبي) بالهمز؛ ومثال ذلك في قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾². ومثل ذلك في قراءة نافع همز ياء (البرية)، وقد وردت كذلك في بعض اللهجات العربية القديمة، فقد كان الدافع إليه هو تفادي ثقل نطق الياء المضعفة (المشددة)، لأن الأصل في هذه الكلمة، على رأي بعض علماء العربية، هو (البرية) بلا همز، أي (الخلق)، أخذت من (البرى) وهو التراب³، فأصله غير الهمز، وقد جاءت بالهمز في رواية ورش من باب المخالفة الصوتية؛ ومثاله في قول الله تعالى: ﴿وَوَيْكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾⁴.

وأما تسهيل همزة (اللائي) التي تكتب (اللي) وتقرأ في حال الوصل بين الهمز والياء أو كالهاء (اللاه)؛ فإبدالها هاءً جاء طلباً للخفة من باب التخالف الصوتي؛ إذ الهمز صوت شديد مجهور، والهاء صوت رخو مهموس، كما أن اللام من صفاته الجهر والتوسط⁵، وبذلك تم إبدال أحد الصوتين المتجاورين والمتقاربين في الصفات، صوتاً آخر يُخالفهما في الصفات ويُشارك الصوت المبدل في المخرج فكان الصوت المناسب لذلك هو الهاء.

¹ يُنظر: التَّهْيَاةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ابْنُ الْأَثَرِ، ص 5/08.

² (سورة يس: الآية 64).

³ يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب ر ي)، ص 14/69.

⁴ (سورة البينة: الآية 07).

⁵ يُنظر الملخص الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.



وأما الحالات التي وردت فيها بعض الكلمات بهمزتين مجتمعين في كلمة واحدة، إلا أن إحداهما ليست ملاصقة للأخرى، بحيث يفصل بينهما صوت آخر، فمثاله في قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾¹؛ وقوله سبحانه: ﴿فَلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَبَرْتُمْ بِهِ﴾²؛ وقوله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ﴾³؛ وقد يفصل بين الهمزتين صوت آخر غير الراء، كصوت التاء، نحو (تأتون) في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِفَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْبَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾⁴؛ وهنا يميل ورش إلى إبدال الهمزة الثانية ألفاً، طلباً للمخالفة بين الهمزتين.

والهمز المزدوج هو همز القطع الملاصق لمثله⁵، ويكون بهمزتين متاليتين أو بثلاث همزات⁶، ويكون إما في كلمة واحدة أو من كلمتين؛ ومثاله في كلمة واحدة في قول الله تعالى: ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾⁷ وأصلها: (أَتَّخِذُ)، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾⁸ (أَلِلَّة)، ولا تكون الهمزة الأولى في هذا النوع النوع إلا استفهامية، بينما تكون الثانية إما قطعية وإما وصلية؛ أما من كلمتين،

¹ سورة الإسراء: الآية 62.

² سورة الأحقاف: الآية 09.

³ سورة الماعون: الآية 01.

⁴ سورة التمل: الآية 56.

⁵ يُنظر: التحوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 52.

⁶ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص. 106 و 108. وكذلك: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص 92.

⁷ سورة يس: الآية 22.

⁸ سورة النمل: الآية 62.



فمثاله من القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾¹ (شَاءَ أَنْشَرَهُ)، و﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾² (جَاءَ أُمَّةً).

وتختلف قراءة الهمزتين بحسب اختلاف حركتيهما ، فهناك المتفتقتان في الحركة وهناك المختلفتان.

1 - الهمزتان المتفتقتان في الحركة.

- الفتحة: إذا جاءت الهمزتان مفتوحتين في كلمة واحدة فإن ورشاً يُحَقِّق الأولى ويُبدل الثانية ألف مدّ، ويكون المدّ إمّا حركتين أو أربع أو ستّ حركات بحسب سبب المدّ من عدمه، وأسباب المدّ هي الهمزة والشدة أو السكون. ومثاله في الآيات الكريمات الآتية من قوله الله تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾³ و﴿أَشْفَقْتُمْ﴾⁴، تُمد ست حركات لوجود السكون، أو ثلاث ألفات⁴، لاعتبار القراء أن الألف تساوي حركتين، واعتبروا أن زمن الحركة يُعادل الزمن الذي يستغرقه الشّخص في قبض الإصبع أو بسطه، بحال وسطٍ بين الإسراع والتأني⁵. وقد لجأ العلماء إلى تلك الطرق البدائية لانعدام وسائل قياس الصّوت المتاحة الآن؛ ومثال ذلك أيضا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾⁶ أصلها: (أَتَّخِذْ) وقرأ: (ءَاتَّخِذْ)، تُمد ست حركات لوجود الشدة، كون الشدة صوتان مدغمان، الأوّل ساكن والثاني متحرّك⁷؛ وقوله سبحانه: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

¹ سورة عبس: الآية 22.

² سورة المؤمنون: الآية 44.

³ سورة المجادلة: الآية 13.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/283. يُنظر أيضاً: التجوم الطواع: للمارغني، ص48.

⁵ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص211.

⁶ سورة يس: الآية 23.

⁷ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص218.



وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا¹، أصلها: (أَأَلِدُ) و تقرأ: (ءَأَلِدُ)، تمد حركتين وقيل أربع، وذلك لانعدام سبب المد². أمّا إذا جاءت الهمزتان مفتوحتين من كلمتين فلورش في ذلك وجهان: إبدال الثانية صوت مدّ أو تسهيلها بين بين، والوجه الأوّل هو المقدم³؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾⁴، أصلها: (جَاءَ أَمْرُنَا) وتقرأ: (جَاءَ أَمْرُنَا)، تُمد ست حركات لوجود السكون⁵؛ وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁶، أصلها: (جَاءَ أَجْلُهُمْ) وتقرأ: (جَاءَ أَجْلُهُمْ)، حكمها حكم (ءَأَلِدُ). وقد وقعت الهمزتان المفتوحتان من كلمة واحدة في القرآن الكريم في ثلاث عشرة (13) كلمة من واحد وعشرين (21) موضعاً، بينما وقعت الهمزتان المفتوحتان من كلمتين في سبع عشرة (17) كلمة من تسعة وعشرين (29) موضعاً من القرآن الكريم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ قراءة نافع برواية ورش قد جاءت بوجه آخر في الهمزتين المفتوحتين من كلمة واحدة، إلاّ أنّه غير مقدّم، وهو إبدال الهمزة التالية لهمزة الاستفهام هاءً مع مد همزة الاستفهام أو عدم مدها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁷، حيث تُقرأ (أَهْ نَذَرْتَهُمْ) أو تُقرأ (آهْ نَذَرْتَهُمْ)؛ والتفسير الصوّتي لذلك، كما ذكرت في

¹ (سورة هود: الآية 72).

² يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص 92.

³ يُنظر: التحجيم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 56.

⁴ (سورة هود: الآية 58).

⁵ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص 95.

⁶ (سورة الأعراف: الآية 34).

⁷ (سورة يس: الآية 10).



كلمة (اللّائي)، أن إبدالها هاءً طلباً للخفة من باب التخالف الصوتي، إذ الهمز صوت شديد مجهور، والهاء صوت رخو مهموس.

- الكسرة: إذا جاءت الهمزتان مكسورتين، ولا تكونان كذلك إلا من كلمتين، فإن ورشا يُبدل الثانية ياء مدية (عيـ)، ومثال ذلك في الآيات الكريمة الآتية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾¹، أصلها: (النِّسَاءِ إِلَّا) وتقرأ: (النِّسَاءِ يَاءً)، تُمد ست حركات؛ وكذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾²، أصلها: (السَّمَاءِ إِلَهٌ) وتقرأ: (السَّمَاءِ يَاءً)، تُمد حركتين أو أربع بحسب ما يليهما³. وقد وقعت الهمزتان المكسورتان من كلمتين في خمس عشرة (15) كلمة من سبعة عشر (17) موضعاً من القرآن الكريم.

- الضمة: في حال الهمزتان مضمومتان، ولا تكونان كذلك إلا من كلمتين، تُبدل الثانية واوا مدية: (عو)، والمثال الوحيد في القرآن الكريم هو في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁴، أصلها: (أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ) وتقرأ: (أَوْلِيَاءُ وَلَئِكَ)، تُمد حركتين أو أربع⁵.

2 - الهمزتان المختلفتان في الحركة.

هذا النوع من الهمز المزدوج لا مدّ فيه عند ورش، وهو على ستة أنواع:

¹ سورة النساء: الآية 24.

² سورة الزخرف: الآية 84.

³ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص 95.

⁴ سورة الأحقاف: الآية 32.

⁵ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 296/1.



- **مفتوحة فمضمومة:** إذا جاءت الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مضمومة فإن ورشا يُحقق الأولى ويُسهّل¹ الثانية بين الهمز والواو². وقد وقع هذا النوع من كلمة واحدة في القرآن الكريم في أربع (04) كلمات؛ بينما كان وقوعه من كلمتين في موضع واحد فقط من قول الله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾³، أصلها: (جاء أُمَّةً) وتقرأ: (جاء أُمَّةً).
- **مفتوحة فمكسورة:** في هذه الحال تحقق الأولى و تسهل الثانية بين الهمز والياء⁴، نحو قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾⁵ وأصلها: (أإذا). وقد وقع هذا النوع من كلمة واحدة في تسع (09) كلمات في ثلاثين (30) موضعاً من القرآن الكريم؛ بينما كان وقوعه من كلمتين في أربع عشرة (14) كلمة من تسعة عشر (19) موضعاً.
- **مكسورة فمفتوحة:** ولا تكونان كذلك إلا في كلمتين، وفي هذه الحالة تحقق الأولى وتبدل الثانية ياء مفتوحة (يِـ) ⁶، مثل: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾⁷ أصلها: (السَّمَاءِ أَنْ)، وتقرأ (السَّمَاءِ يِنَ). وقد وقع هذا النوع في أربع عشرة (14) كلمة في ستة عشر (16) موضعاً من القرآن الكريم.

¹ علامة تسهيل الهمزة الثانية في رسم المصحف الشريف يكون بوضع نقطة في مكانها، و علامة إبدال الهمزة الثانية (واوا أو ياء) هو وضع الحركة (الفتحة أو الكسرة) على النقطة.

² يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/300.

³ سورة المؤمنون: الآية 44.

⁴ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/288.

⁵ سورة مريم: الآية 66.

⁶ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص77.

⁷ سورة الملك: الآية 16.



- مكسورة فمضمومة: وهذا النوع غير موجود بالقرآن الكريم¹، ونادر في اللغة العربية، ولعلّ السبب في ذلك هو ص عوبة الانتقال من الصائت الأمامي (الكسرة) ثم العودة إلى الصائت الخلفي (الضمّة)²، ومثاله في اللغة: (من السماء أمطر) تحقق الأولى وتبدل الثانية ياء مضمومة (عِمْ) فتقرأ (من السماء يُمْطر).

- مضمومة فمفتوحة: ولا تكونان كذلك إلا من كلمتين، حيث تحقق الأولى وتبدل الثانية واوا مفتوحة (عُو)³، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾⁴ أصلها: (المَلَأُ أَيُّكُمْ)، وتقرأ (المَلَأُ وَيُّكُمْ)؛ ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾⁵. وقد وقع هذا النوع في اثنتي عشرة (12) كلمة في أربعة عشر (14) موضعاً من القرآن الكريم.

- مضمومة فمكسورة: ولا تكونان كذلك إلا في كلمتين، وهذا النوع له وجهان عند ورش، الوجه الأوّل أن تحقق الأولى وتبدل الثانية واوا مكسورا (عُو)؛ والوجه الثاني هو تسهيل الهمزة المكسورة بين الهمز والياء (أي كالهاء)⁵، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾⁶، تُقرأ: (زَكَرِيَّاءُ وَتَا). وقد وقع هذا النوع في تسع عشرة (19) كلمة في ثمانية وعشرين (28) موضعاً من القرآن الكريم.

¹ يُنظر: التّحجّوم الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص76-77.

² يُنظر: الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس، ص36.

³ يُنظر: التّحجّوم الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص77.

⁴ سورة النمل: الآية38.

⁵ سورة فصّلت: الآية28.

⁶ سورة مريم: الآية07.



3 - اجتماع ثلاث همزات.

إذا تتالت ثلاث همزات وكانت الثانية مفتوحة والثالثة ساكنة، فإن ورشا يُحقق الهمزة الأولى ويبدل الثالثة ألفا فيشبعها أو يمدّها مدًّا طبيعيًا بحسب ما يليها من أسباب المدّ أو عدمها، أمّا الهمزة الثانية فبحسب حركة الأولى مفتوحة أم مكسورة.

- فإذا كانت الهمزة الأولى مفتوحة : سهّل الثانية¹، نحو قوله الله تعالى : ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾² أصلها (أألهتنا) و تُقرأ: (أألهتنا)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾³ أصلها (جاءعآل) وتُقرأ: (جاءَ آل).
- أمّا إذا كانت الهمزة الأولى مكسورة : فتبدل الثانية ياءً مفتوحة¹، نحو قوله عزّ وجلّ : ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾⁴ أصلها (مِنْ السَّمَاءِ آيَةً) وتُقرأ: (السَّمَاءِ يَآيَةً).

ولم تجتمع ثلاث همزات في كلمة واحدة إلا في ثلاث (03) كلمات في ستة (06) مواضع من القرآن الكريم، وهي في قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهٖ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهٖ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا

¹ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص108.

² سورة الزخرف: الآية58.

³ سورة الحجر: الآية61.

⁴ سورة الشعراء: الآية04.

⁵ سورة الزخرف: الآية58.



مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ¹؛ وقوله عز وجل: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾²؛ والأصل فيها (أَأْمَنْتُمْ) وتقرأ: (أَأْمَنْتُمْ).

أما الكلمة الثالثة (ءالآن) فقد وردت في قوله تعالى: ﴿أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ءالآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾³؛ وقوله عز وجل: ﴿ءالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁴؛ وأصل هذه الكلمة (آن) بهمزة ممدودة بالألف وبعدها نون مفتوحة، وهي اسم مبني، علم على الزمان الحاضر، ثم دخلت عليه (ال) التعريف، ثم همزة الاستفهام، فاجتمعت همزتان مفتوحتان متصلتان، همزة الاستفهام وهمزة الوصل، فأصبحت (ءالآن)⁵؛ إلا أن رواية ورش من طريق الأزرق تقضي بتغييرين اثنين، تغيير للهمزة الثانية (همزة الوصل)، وتغيير للهمزة الثالثة (همزة القطع)، إذ الأصل في هذه الكلمة ثلاث همزات متتالية، الأولى همزة استفهام والثانية همزة وصل (ءال)، والأخيرة أصلية في الكلمة (ءان)، إلا أن الأخيرة غير متصلة بما قبلها، حيث تفصل بينهم لام التعريف.

ومن الهمز المزدوج أن تُسبَقَ همزة الوصل بهمزة استفهام، إلا أن بعض القراء اعتبروا هذا من القسم الأول (الهمز المفرد)، باعتبار أن الهمزة الثانية غير قطعية، وقد أدرجته مع الهمز المزدوج باعتبار وجود همزتين متتاليتين بغض النظر عن نوعها قطعية كانت أم وصلية؛ و همزة الوصل هي همزة زائدة عن بنية الكلمة، وتقع في أولها، تثبت في الابتداء وتسقط في الوصل⁶؛ سُمِّيَتْ كذلك لأنها يُتَوَصَّلُ

¹ (سورة الأعراف: الآية 123).

² (سورتي: طه: الآية 71، والشعراء: الآية 49).

³ (سورة يونس: الآية 51).

⁴ (سورة يونس: الآية 91).

⁵ يُنظر: تيسير الرحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص 274.

⁶ يُنظر: نفسه، ص 264.



يُتوصَّلُ بها للتَّنْقِطِ بالسَّاكِنِ بعدها، فالعرب لا يبدؤون كلامهم بساكن ولا يقفون على متحرِّك.

وتقع همزة الوصل في:¹

- الفعل الماضي إذا كان حُماسيًّا أو سداسيًّا، كقولنا: (انطلق، استعمل)؛ ومصدريهما نحو: (انطلاق، استعمل).

- فعل الأمر من ثلاثيٍّ أو حُماسيٍّ أو سُداسيٍّ، نحو: (اضرب، انطلق، استعمل).

- همزة (ال) التعريف الداخلة على الأسماء، نحو: (الشمس، القمر).

- في عشرة أسماء فقط (اسم؛ است؛ أيمن؛ ابنم؛ ابن؛ ابنة؛ اثنان؛ اثنتان؛ امرؤ؛ امرأة).

وقاعدة همزة الوصل أن يُنطق بها مكسورة، ويُستثنى من ذلك ثلاث حالات هي:²

- همزة (ال)، حيث يُبدأ بها مفتوحة.

- همزة (أيمن)، ويُبدأ بها مفتوحة أيضاً.

- همزة الفعل الذي يكون فيه الحرف التالي للحرف الساكن بعد الهمزة مضموماً ضمًّا أصليًّا³، حيث يُبدأ بالهمزة مضمومة، نحو: (اخرُج، واستعمل).

¹ يُنظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، ط3، 1428هـ-2008م، ص163.

² يُنظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: عبد الله بن يوسف الجديع، ص164.

³ لأن الهمزة تُكسر إذا كان ثالث الفعل مكسوراً بحسب الأصل ثم عرض له الضم لموجب، نحو: (امشوا)، لأن أصلها (امشيوا) بكسر الشين وضم الباء، ثم نُقلت حركة الباء إلى الشين بعد تقدير سلب حركتها، فصارت الشين مضمومة، وإنما نُقلت حركة الباء إلى الشين ليكون ثم تناسب بين حركتها وبين الواو، ولما نُقلت حركة الباء إلى الشين، سكنت الباء فالتقى ساكنان، فحُذفت الباء. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص320-321.



ولم يقع في القرآن الكريم همزة وصل مضمومة في فعل دخلت عليه همزة الاستفهام¹.

فإذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل في الأسماء، أبدلت همزة الوصل ألفاً، وقد وقع هذا في ثلاثة أسماء وهي: (الذَّكْرَيْنِ)؛ (اللَّهُ) و(الْآنَ)²، من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ آلذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾³؛ و: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾⁴؛ و: ﴿ءَأَلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁵؛ حيث تمت المخالفة بين الهمزتين، بحذف الثانية والإبقاء على الصائت القصير بعدها (الفتحة)، لتصير الفتحتان ألف مدّ.

وإذا تقدّمت همزة الوصل في (ال) التعريف همزة القطع في كلمة، وبُدئَ بها، فإنّ لورش في ذلك وجهان⁶: تحقيق همزة الوصل⁷ وحذف همزة القطع مع نقل نقل حركتها إلى لام التعريف، ويجوز في هذا الوجه فيما فيه مدّ البدل القصر أو التوسّط أو الطول؛ أمّا الوجه الثاني، فيكون بحذف همزة الوصل وكذا همزة القطع مع نقل حركتها إلى لام التعريف والابتداء بها، ولا يجوز هنا إلاّ القصر فيما فيه بدل؛ ومثال ذلك كلمة (الآن) من قول الله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾⁸؛ حيث تُقرأ في الوجه الأوّل (الآن)، بينما تُقرأ

¹ يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: للمارغني، ص61.

² يُنظر: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص273.

³ سورة الأنعام: الآية143.

⁴ سورة يونس: الآية59.

⁵ سورة يونس: الآية51.

⁶ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش: أحمد خالد شكري، ص89.

⁷ إمّا يكون تحقيق الهمزة تُطَقّاً لا خطأً.

⁸ سورة الأنفال: الآية66.



في الثاني (لان)؛ و الوجه الأوّل أولى ، وهو الوجه الذي تتحقّق به المخالفة الصوتيّة.

أمّا في الأفعال فإذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فإنّ همزة الوصل تحذف¹ نحو (أَصْطَفَى) من قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾²؛ وبذلك وبذلك تَمَّتْ المخالفة بين الهمزتين بحذف الثانية مع الصّائت الذي يليها (الكسرة)؛ والملاحظ هنا أنّ ورشاً جنح إلى المخالفة بحذف همزة الوصل ، ثمّ جنح إلى المماثلة بحذف كسرتها ، للصعوبة التي يجدها اللسان في الانتقال من الفتحة إلى الكسرة.

ثانياً: الإبدال.

لم يقع الإبدال في الهمز المزدوج فقط، فقد جاءت قراءة نافع برواية ورش بإبدال أحد الأصوات المتماثلة صوتاً آخر يُخالِفها ، موافقة بذلك بعض لهجات العرب القدامى، ومن المواطن التي ظهر فيها التّخالف الصّوّيّ بالإبدال ما يلي:

- كلمتيّ (دَسَّاهَا) و(يَتَمَطَّى) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾³ من (دَسَّسَهَا)؛ وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾⁴ (يَتَمَطَّط)؛ حيث توالى ثلاث أصوات من جنس واحد في هذا البناء (ثلاث سينات في الأوّل، وثلاث طاءات في البناء الثاني) وهذا فيه ثقل على اللسان، فتمّ

¹ يُنظر: التّحجيم الطّوابع على الدّرر اللّوامع: للمارغني، ص61.

² سورة الصافات: الآية153.

³ سورة الشمس: الآية10.

⁴ سورة القيامة: الآية33.



تغيير أحد الحرفين ليُخالف مُجانسه ؛ فَحَوَّكَتِ السَّيْنَ وَالطَّاءَ يَاءً¹ ؛ وهذا النوع من المخالفة المقبلية ، حيث يتجه التأثير إلى الأمام ، من الصوت المؤثر إلى الصوت المتأثر، فأثر الصوت السابق في الصوت اللاحق له وجعله مختلفاً عنه.

- كلمة (تَصَدَّى) في قول الله تعالى: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾²؛ إذ الأصل فيها (تصدد) بتتابع ثلاثة أصوات متماثلة (الـدال)، فأبدلت الدال الثالثة ألفاً، من باب التّخالف الصّوتيّ.

- كلمة (كُبِّبُوا) في قول الله تعالى: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾³، والأصل فيها (كُبِّبُوا) بالتضعيف، بمعنى: (ألقوا على رؤوسهم في جهنم)،⁴ فحدث إبدال من الباء الوسطى كافاً استثقلاً لاجتماع ثلاث باءات⁵، فتطوّر الصوت الثالث في الفعل (تَكَبَّبَ) بتأثير المخالفة الصوتية تسهياً في النطق وتيسيراً للأداء، وتقليلاً للجهد العضلي المبذول ، وهذا من نوع التّخالف الصّوتيّ المقبل المتصل.

- كلمة (تُمَلَّى) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾⁶؛ وقوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾⁷؛ حيث حدث التّخالف الصّوتيّ (أَمَلَيْتُ-أَمَلَيْتُ)، بأن أبدلت اللام الثانية ياءً لأنها أخفّ من اجتماع المثليين ؛ وقد

¹ (الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص298).

² (سورة عبس: الآية06).

³ (سورة الشعراء: الآية94).

⁴ (يُنظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ص320).

⁵ (الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي، ص116/13).

⁶ (سورة الفرقان: الآية05).

⁷ (سورة الحج: الآية44).



وردت هذه الكلمة على أصلها في آية أخرى في كتاب الله عز وجل: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾¹. وهذا من نوع التخالف الصوتي المقبل المتصل أيضاً؛ والأصل في هذا الفعل هو (يُمْلِل) على وزن (يُفْعِل) فقلبت أحد اللامين استثقالاً للمثلين. وتفسير ذلك هو أن المثلين إذ لم يُدغم أحدهما في الآخر يستثقلان على اللسان، لأن الرجوع من أحدهما بعد الاستثقال عنه إلى الآخر يسبب صعوبة في النطق. كما أن الماضي من (يُمْلِي) هو (أَمَلَى) على وزن (أَفْعَل) ثم أُبدلت اللام الثانية في (أَمَلَّ) ألفاً ليصير الفعل على صورة (أَمَلَى).

- كلمة (دينار) في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ ي إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾²؛ وهذا موافق لبعض لهجات العرب، إذ الأصل فيها (دِنَارٌ)³ فقلبت إحدى النونين ياءً، ولذلك جُمع على (دنانير)؛ فقد أثرت النون الثانية في الأولى، فتحوّلت الأولى صوت مدّ (الياء)؛ وبذلك حدثت المخالفة المدبرة حيث يتحوّل الصوت الأوّل إلى صوت مغاير للثاني.

- كلمة (المهيمن) في قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁴؛ حيث وقع تخالف صوتي لأنّ اللاء هنا جاءت عوضاً عن الهمزة، إذ الأصل في هذه الكلمة (المؤيمن) (باب أمن) فأبدلت الهمزة هاءً⁵؛ وهو موافق

¹ سورة البقرة: الآية 282.

² سورة آل عمران: الآية 75.

³ تهذيب اللغة: الأزهرى، مادة (ر ن د)، ص 4/446.

⁴ سورة الحشر: الآية 23.

⁵ يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى: الزجاج، ص 32.



موافق لما جاء في كثير من كتب اللغة والتفسير؛ وهذا الإبدال جاء طلباً للخفة من باب التخالف الصوتي؛ إذ الهمز صوت شديد مجهور، والهاء صوت رخو مهموس، كما أن الميم من صفاته الجهر والتوسط¹، وبذلك تم إبدال ال أحد الصوتين المتجاورين والمتقاربين في الصفات، صوتاً آخر يخالفهما في الصفات ويُشارك الصوت المبدل في المخرج فكان الصوت المناسب لذلك هو الهاء.

- كلمة (مذءوماً) في قوله عز وجل: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْجُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾²؛ إذ الأصل فيها بالميم (مذموماً)، فأبدل أحد الميمين همزة، من باب المخالفة بين المتماثلين؛ وقد وردت على الأصل بدون المخالفة الصوتية كما في قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَذْجُوراً﴾³.

وقد يقع الإبدال في الصوائت أيضاً، ومن ذلك:

- إبدال إحدى الفتحيتين المتتابعتين كسرة، ومثال ذلك (تتبعان) في قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاستَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁴؛ إذ الأصل فيها (ولا تتبعن).

- كلمة (تالله) في قوله عز وجل: ﴿قَالُوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾⁵؛ والأصل فيها (والله)، حيث تم إبدال الواو المتبوعة المتبوعة بالفتحة تاء، كون الواو والفتحة صوتان متماثلان في الصفات،

¹ يُنظر الملخص الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

² (سورة الأعراف: الآية 18).

³ (سورة الإسراء: الآية 18).

⁴ (سورة يونس: الآية 89).

⁵ (سورة يوسف: الآية 73).



فكليهما صوت **مجهور**، وهما متقاربان في **المخرج**؛ و **التاء** يُخالفهما في **الصفات**، فهو صوت **مهموس**، و**قريب** من **مخرجيها**¹.
- كلمة **(أُقْتت)** في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتتُ﴾²، إذ الأصل فيها **(وُقْتت)**، بالواو متبوعة بالضمّة، وهذا في ثقل على اللسان، لأنّ الواو والضمّة بمثابة الواوين **المجتمعين**³؛ فأبدلت الواو همزة من باب **المخالفة** بين الضمّة والواو.

ثالثاً: الحذف.

ظهرت **المخالفة الصوتية** في بعض الآيات القرآنية في **قراءة نافع** برواية **ورش** من طريق **الأزرق** بحذف أحد الأصوات المتماثلة ، موافقة بذلك بعض لهجات العرب القدامى؛ ومن المواطن التي ظهر فيها **التخالف الصوتي** بالحذف ما يلي:

- كلمة **(ظَلَّت)** من قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾⁴؛ إذ الأصل فيها **(ظَلَلَّت)** بالتضعيف⁵.

¹ يُنظر: الملحق الخاص ببيان صفات الأصوات، آخر هذا البحث.

² سورة المرسلات: الآية 11.

³ يُنظر: "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى القرن الثالث الهجري": المهدي بوروية، ص 256.

⁴ سورة الحج: الآية 97.

⁵ يُنظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، ص 125/8.



- كلمة (تَذَكَّرُونَ) من قوله عز وجل ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾¹، والتي أصلها (تَتَذَكَّرُونَ)، حيث تتابع صوتان متماثلان، فحُذِفَ أحدهما طلباً للمخالفة لتيسير النطق؛ وقد وردت كلمة (تَتَذَكَّرُونَ) ثلاث مرّات فقط بلا حذف، نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾²؛ بينما وردت سبع عشرة مرّة محذوفة التاء. وقد وردت المخالفة عن طريق حذف أحد المثليين في القرآن الكريم كثيراً، ومن ذلك تاء (تَفَعَّلُ) إذا سُبِقَتْ بتاء المضارعة، حيث وردت كلمات كثيرة على منوال هذه الصيغة في قراءة نافع برواية ورش، ومن ذلك كلمة (تَنْزَلُ)، فقد وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم، بإثبات هذه التاء، فأبقت البناء على أصله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾³؛ بينما وردت في مواطن كثيرة بحذفها (تَنْزَلُ)، موافقة بذلك ما درأ عليه العرب في كلامهم، تخفيفاً وتيسيراً للنطق، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ أُمَّةٌ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾⁴، وقوله سبحانه: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾⁵؛ ومثال ذلك أيضاً كلمة (تَمَنُّونَ) التي

¹ سورة يونس: الآية 03.

² سورة السجدة: الآية 04.

³ سورة فصلت: الآية 30.

⁴ سورة الشعراء: الآية 220.

⁵ سورة القدر: الآية 04.



وردت مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ﴾¹، ولم ترد على الأصل بتاءين، مثلها في ذلك مثل (تَزَكَّى) و(تَلَهَّى) من قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾²، وقوله سبحانه: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾³، والأصل فيهما: (تَزَكَّى) و(تَلَهَّى).

رابعاً: التفخيم والترقيق.

ذكرت في الفصل الثاني من الباب الأوّل أنّ من صور التّمائل في قراءة نافع، ما يتعلّق بصفتيّ التفخيم والترقيق؛ وهما من أهمّ الصفات العارضة التي تعرض للصّوت أحياناً وتنفكّ عنه أحياناً أخرى؛ وعرفتُ التفخيم بأنّه سَمَنٌ يطرأ على الصّوت فيمتلئ الفم بصداه⁴، وأنّه مرادف للتّغليظ، إلا أنّ المستعمل في الرّاءات التّفخيم، وفي اللّامات التّغليظ⁵؛ وأنّ الترقيق هو نَحَالَةٌ تطرأ على الصّوت فلا يكون له صدَى في الفم⁶.

وإذا كانت مظاهر التّمائل الصّوتيّ قد تجلّت في معظم حالات التّفخيم والترقيق، فهناك حالة أخرى تجلّت فيها بعض مظاهر التّخالف الصّوتيّ؛ ذلك أنّ الأصوات اللّغويّة تنقسم بالنسبة للتّفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام: أصوات تُفخّم بصفة دائمة؛ وأخرى تُرَقِّق بصفة دائمة؛ وأصوات أخرى تُفخّم أحياناً وتُرَقِّق أحياناً أخرى وهي اللّام والراء والألف؛ وقد لاحظتُ أنّ الموطن الوحيد

¹ سورة آل عمران: الآية 143.

² سورة النازعات: الآية 18.

³ سورة عبس: الآية 10.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 147.

⁵ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ص 134/2. يُنظر أيضاً: التجوم الطّوّاع على الدرر اللّوامع: المارغني، ص.ص: 106 و 117.

⁶ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 148.



الذي ظهر فيه التّخالف الصّوّيّ في قراءة نافع برواية ورش هو اللام المُغلّظة الموجودة في لفظ الجلالة غير المسبوق بكسر أو ياء ، فهي لام يخالطها صوت تفخيم، وهي تخرج من مخرج اللام، غير أن وضع اللسان يكون فيه استعلاء ؛ والأصل في لام غير لفظ الجلالة الترفيق مطلقاً¹، وقد اختصّ الإمام ورش رحمه الله بتغليظها إذا كانت مفتوحة مسبوقة بأحد أصوات الاستعلاء المطبقة الثلاثة: الصّاد، أو الطّاء، أو الظّاء، سواء كانت اللام مشددة، أو مخففة، أو متوسّطة أو متطرّفة؛ واشترط في الأصوات الثلاثة شرطين أساسيين هما: أن تكون هذه الأصوات الثلاثة ساكنة أو مفتوحة؛ وألا يفصل بين اللام وبينها فاصل غير الألف²؛ فإذا لم تتوفر هذه الشروط فإنّ اللام تبقى على أصلها مرققة، إلّا أنّها في لفظ الجلالة تفخّم وإن سُبقت بصوت مرقق غير الكسرة والياء ، وهذا من باب المخالفة الصّوتية بين صوتين مرققين متتابعين ، وقد حدثت هذه المخالفة قصد تعظيم اسم الله تعالى³؛ ومثال ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾⁴ وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁵؛ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶.

المؤمنين⁶.

¹ يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع : المارغني، ص 117. يُنظر أيضاً: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص 153.

² يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص 117-118.

³ يُنظر: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: عبد الكريم مقيدش، ص 41.

⁴ سورة آل عمران: الآية 10.

⁵ سورة البقرة: الآية 204.

⁶ سورة يس: الآية 64.



خامساً: أحكام المدّ.

أحكام وأنواع المدّ كثيرة ومتنوّعة، وفي أنواع المدّ عند ورش حالات تظهر فيها ظواهر التّمائل الصّوتيّ، وقد ذكرتها في الفصل الثاني من الباب الأوّل، وذكرتُ قِسْمَيْهِ، وركّزتُ على القسم الأوّل منهما، وهو المدّ الأصليّ أو الطّبيعيّ، لما فيه من مظاهر التّمائل الصّوتيّ؛ وسيكون تركيزي في هذا الفصل على القسم الثاني، وهو المدّ الفرعيّ، الذي لا يخلو من مظاهر التّخالف الصّوتيّ، وخاصّة في أحد فروعِهِ وهو مدّ البدل، حيثُ يأتي همزٌ بعده مدّ في كلمة واحدة، وهذا بخلاف باقي أنواع المدّ الفرعي التي يتقدّم فيها الشرط (صوت المدّ) على السّبب (الهمز)، حيث نجد في مدّ البدل أنّ السبب يتقدّم على الشرط¹؛ فإذا سبقَ الهمزُ حرفَ مدّ، جاز عند ورش من طريق الأزرق الأوجه الثلاثة: القصر والتوسّط والإشباع؛ حيثُ قال الإمام طاهر بن غلبون بالقصر، واقتصر الداني في التيسير على التوسط وأنكر إشباعه، والأوجه الثلاثة في الشاطبية²؛ أما بقية القراء فعندهم وجه واحد هو قصر مد البدل.

وسمي بالبدل لأن أصله همزتان، الأولى متحركة والثانية ساكنة، فأبدلت الساكنة صوت مد حسب حركة الأولى، لاستثقال اجتماع همزتين في كلمة واحدة³، وهذا ما يعرف بمد البدل الحقيقي نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾⁴ وأصلها: (ءَأمن)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوتِ الْحِكْمَةَ﴾

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص212. يُنظر أيضاً: تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص231.

² يُنظر: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص42.

³ يُنظر: نفسه، ص82.

⁴ سورة البقرة: الآية285.



فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا¹ وَأَصْلَهَا: (أُوتِيَ)؛ وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾² (إِيمَانًا)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّا لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾³؛ وقوله سبحانه: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾⁴؛ وقوله تعالى: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾⁵؛ وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾⁶؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁸؛ وقوله تعالى: ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾⁹؛ وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾¹⁰؛ وقوله عزّ من قائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾¹¹؛ وقوله تعالى: ﴿لِيَلِافِ قُرَيْشٍ﴾¹².

أمّا إذا لم يكن أصله همزتان ، فهو ما يعرف بالشبيه بمد البدل ، وحكمه كحكم مدّ البدل ، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾¹³؛ وقوله سبحانه: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾¹⁴؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾¹⁵؛ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

¹ (سورة البقرة: الآية 269).

² (سورة التوبة: الآية 124).

³ (سورة الليل: الآية 13).

⁴ (سورة البقرة: الآية 71).

⁵ (سورة الرعد: الآية 15).

⁶ (يوم الآزفة: أي يوم القيامة، يُنظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، ص 172/24).

⁷ (سورة غافر: الآية 18).

⁸ (سورة التوبة: الآية 112).

⁹ (سورة فصلت: الآية 53).

¹⁰ (سورة يونس: الآية 53).

¹¹ (سورة الحاقة: الآية 19).

¹² (سورة قريش: الآية 01).

¹³ (سورة مريم: الآية 05).

¹⁴ (سورة يوسف: الآية 18).

¹⁵ (سورة الإسراء: الآية 07).



وَالْإِيمَانَ¹؛ وقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِعْوَفٌ رَحِيمٌ﴾²؛ وقوله عزّ من قائل: ﴿وَبَلَّوْنَاَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³.
ويمد مد البدل سواء حُقق الهمز (كالأمثلة السابقة)؛ أو سُهّل نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾⁴؛ أو أُبدِل حرفاً آخر، نحو: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾⁵؛ أو نُقلت حركته إلى الساكن قبله، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾⁶، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁷؛ وكذلك: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾⁸. وفي هذا يقول ابن برّي:⁹

وَبَعْدَهَا ثَبَّتْ أَوْ تَغَيَّرَتْ فَاقْصِرْ وَعَنْ وَرَشٍ تَوَسَّطُ ثَبَّتْ

فالثابت عن ورشٍ من طريق الأزرق أنه يمدّ ذلك كله على اختلاف بين أهل الأديان بين القصر والتوسط والإشباع¹⁰؛ ويقرأ المغاربة جميع ذلك بالتوسط¹¹. ويندرج هذا التغيير الذي حدث بحذف الهمزة ضمن مظاهر التخالف الصوتي، حيث حُذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها، ليصير البناء على شكل همزة

¹ سورة الحشر: الآية 09.

² سورة التوبة: الآية 128.

³ سورة الأعراف: الآية 168.

⁴ سورة القمر: الآية 41.

⁵ سورة الشعراء: الآية 04.

⁶ سورة الحاقة: الآية 19.

⁷ سورة البقرة: الآية 126.

⁸ سورة الشورى: الآية 52.

⁹ هو الشيخ أبو الحسن سيدي علي الرباطي، المعروف بابن برّي، صاحب منظومة «الدّر اللوامع في أصل مقرّ الإمام نافع».

¹⁰ يُنظر: التجوم الطوالع على الدّر اللوامع: للمارغني، ص 42.

¹¹ يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 264/1.

¹¹ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 97.



واحدة متبوعة بفتحتين، فتحتها وفتحة الهمزة المحذوفة، أي همزة متبوعة بألف مدّ، لأنّ الفتحان هما فتحة طويلة، أي صائت طويل (ألف مدّ)، وهذا من ظواهر التّخالف الصّوتيّ، وقد فصلتُ القول عن هذا في مبحث أحكام الهمزة من هذا الفصل.

وإذا كان أصل البدل همزتين متحركتين ولم يوجد سبب آخر للمد، فلا يجوز فيها توسط ولا إشباع¹، وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيَلَتَا ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾² (أألد)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾³ (أمّنتم)؛ وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁴ (جاء أجلهم)؛ وقوله عزّ من قائل: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ﴾⁵ (جاء أحد)؛ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾⁶ (في السّماءِ إله)؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁷ (أولياء أولئك).

يقول الشيخ المارغني رحمه الله: «وخرج بقولنا واتّصلت الهمزة بحرف المد نحو: جاء أجلهم، أولياء أولئك، في السّماءِ إله، حال إبدال الثانية حرف مد، فيتعين القصر، ولا يجوز توسط ولا طويل لانفصال الهمزة عن حرف المد في كلمة أخرى»⁸.

¹ يُنظر: التّشريح في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/284.

² سورة هود: الآية 72.

³ سورة الملك: الآية 16.

⁴ سورة الأعراف: الآية 34.

⁵ سورة المائدة: الآية 06.

⁶ سورة الزخرف: الآية 84.

⁷ سورة الأحقاف: الآية 32.

⁸ النجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص54.



أَمَّا إِذَا وُجِدَ سَبَبٌ آخَرَ لِلْمَدِّ ، كَالسُّكُونِ أَوْ الشَّدَّةِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَآشَفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾¹ وَأَصْلُهَا : (أَشْفَقْتُمْ) ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَا ءَأَمِّينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾² (آميين). فَإِنَّ الثَّابِتَ عَنِ وَرْشِ الْإِشْبَاعِ أَي مَدِّهَا مَقْدَارُ سِتِّ حَرَكَاتٍ³.

مستثنيات مد البدل : تتجلى مظاهر التخالّف الصوّيِّ بشكل واضح في بعض مستثنيات مدّ البدل ؛ فالرّاجح ممّا سبق أن ورشاً يمدّ هذا النوع بمقدار أربع أو ستّ حركات ، إلّا في حالات خاصّة ، فإنّه يمدّه بمقدار حركتين فقط ، ومن هذه الحالات :

- إذا وقعت الهمزة بعد ساكن صحيح متصل ففيها القصر فقط في حال وصل الكلمة بما بعدها (أي مقدار حركتين)⁴ ، ومثاله في الآيات الآتية : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾⁵ ؛ ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾⁶ ؛ ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾⁷ ؛ ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَذْحُورًا﴾⁸ ؛ ﴿وَقَفَوْهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾⁹ ؛ أمّا في حال الوقف عند بعض هذه هذه الكلمات ، فلورش في ذلك القصر والتوسط والإشباع ، باعتبار السكون العارض بعد المد¹⁰.

¹ (سورة المجادلة: الآية 13).

² (سورة المائدة: الآية 02).

³ يُنظر: التّشريح في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 283/1.

⁴ يُنظر: التّحجيم الطوالع على الدّرر اللوامع: للمارغني، ص 55-56.

⁵ (سورة الإسراء: الآية 106).

⁶ (سورة النور: الآية 39).

⁷ (سورة الأحزاب: الآية 15).

⁸ (سورة الأعراف: الآية 18).

⁹ (سورة الصافات: الآية 24).

¹⁰ يُنظر: التّحجيم الطوالع على الدّرر اللوامع: للمارغني، ص 56.



- ياء إسرائيل: ففيها القصر فقط (عيل)، في حال الوصل، وذلك لاستثقال مدّتين في كلمة واحدة أعجمية كثيرة الحروف، كما أنّها كثيراً ما يُضاف إليها كلمة ممدودة الآخر، وهي (بُنُو) أو (بَنِي)، فَتُرِكَ مَدَّهَا تَخْفِيفاً¹. ومثال ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾²؛ الطَّيِّبَاتِ²؛ ذلك أنّ مدّ البدل هنا سُبِقَ بِمَدِّ مَقْدَارِهِ سِتُّ حَرَكَاتٍ وَجُوباً وَهُوَ وَهُوَ مَدٌّ مُتَّصِلٌ (الراء متبوعة بمدّ ثم همزة قطع)؛ والمدّ المتصل من أقوى المدود، يتقدّمه في القوّة المدّ اللازم، ويليه في القوّة المدّ العارض، ثمّ المدّ المنفصل، ثمّ المدّ البدل وهو أضعف المدود على الإطلاق؛ وكان معيارهم في هذا الترتيب هو قوّة سبب المدّ أو ضعفه³. ولما تجاور نوعان من المدود، أحدهما قويّ والآخر ضعيف، كانت الغلبة للقويّ، فأبقي عليه بستّ حركات، ليُخالفه المدّ الذي يليه (وهو مدّ البدل) بقصره على حركتين بدلاً من أربع أو ستّ حركات. والله أعلم. أمّا في حال الوقف على الكلمة، ومن ثمّ تسكين اللام، فلورش الأوجه الثلاثة¹، وفي اعتقادي أنّ تسكين اللام يقويّ سبب المدّ، ولذلك لم تكن الحاجة ماسّة للمخالفة الكميّة.

- ما أتى من بعد همزة الوصل: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁴. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁵. ﴿وَقَالَ

¹ يُنظر: التّحجّوم الطّوالع على الدّرر اللّوامع: للمارغني، ص56.

² سورة يونس: الآية93.

³ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص228.

⁴ سورة الشعراء: الآية10.

⁵ سورة يونس: الآية79.



الْمَلِكُ أَيُّونِي بِهِ¹. ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ﴾². ووجه الاستثناء هنا كون همزة الوصل تنعدم وصلًا³.

- المد الثاني (لان) من قوله تعالى: ﴿ءَالَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁴، وقوله عز وجل: ﴿ءَالَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾⁵ حكمه عند ورش القصر فقط، ووجه الاستثناء هنا هو استثقال الجمع بين مدتين من هذا النوع (أي مدّ البدل) في كلمة واحدة، فالمدّ الأوّل (ءَالَ)، والثاني (ءَانَ)، فتمّ إشباع الأوّل لوجود السكون بعده، وقصر الثاني لتغيير الهمزة بالنقل⁶، اعتدادًا بالحركة المنقولة⁷؛ وهذا من باب المخالفة، حيث قوي الأوّل بسكون اللام فمدّت حركات، وتمت المخالفة بالثاني بقصره على حركتين.

- المدّ في كلمة (الأولى)، حيث يمدّها ورش مداً طبيعياً فقط، ومثال ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾⁸؛ يقول المارغني: «فلم يمدّ الواو من (الأولى) اعتداداً بحركة اللام المنقولة من الهمزة في (الأولى)، لأنّها صارت كاللازمة من أجل إدغام التنوين فيها⁹، فكأنّه لا همز في الكلمة، لا ظاهراً ولا مقدراً¹⁰».

¹ سورة يوسف: الآية 50.

² سورة البقرة: الآية 283.

³ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص 56.

⁴ سورة يونس: الآية 51.

⁵ سورة يونس: الآية 91.

⁶ هذا عند ورش، أمّا عند غيره، فالهمزة محقّقة وليست مغيرة. يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص 264/1.

⁷ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 98.

⁸ سورة النجم: الآية 50.

⁹ أي إدغام تنوين (عاداً) في اللام من (الأولى)، بعد نقل حركة الهمزة (الأولى) إلى اللام.

¹⁰ التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص 57.



كما يظهر التّخالف في بعض الأمثلة للمدّ الكلمي المخفف في القرآن الكريم برواية ورش من طريق الأزرق، والمدّ الكلمي المخفف هو أحد الأنواع الأربعة للمدّ اللازم، وسُمّيَ لازماً للزوم سببه، وهو السّكون، حاليّ الوصل والوقف، أو للزوم مدّه بمقدار ستّ حركات عند جميع القراء¹؛ فالمدّ الكلميّ المخفف هو الذي يكون بعد صوت المدّ صوت ساكن سكوناً لازماً بغير إدغام²، في كلمة واحدة، ومثال ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾³؛ وقوله تعالى: ﴿ءَا شَفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾⁴؛ والملاحظ في هذه الكلمات أنّ صوت المدّ الواقع بعد الهمزة أصله همزة ثانية، أي أنّ الأصل فيها همزتان متتابعتان، فأبدلت الثانية صوت مدّ من باب المخالفة الصوّيّة، لاستثقال تتابع همزتين في كلمة واحدة، وقد تحدّثت عن ذلك بشيء من التفصيل في مبحث أحكام الهمزة من هذا الفصل.

ويظهر التّخالف الصوّيّ أيضاً في كلمة (لكنّا) حيث يُحذف المدّ الطبيعيّ عند ورش في آخر هذه كلمة وصلّا، إذ يُبدل الصّائت الطويل (الألف) بآخر قصير يُناسبه (الفتحة) في (لكنّا) وصلّا كما في قوله تعالى: ﴿لكنّا هوَ اللهُ ربّي ولا أشركُ بربّي أحداً﴾⁵، حيث يقرأها ورش: (لكنهُوَ اللهُ) بدون مدّ⁶؛ وأصلها

¹ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص217.

² بخلاف المدّ الكلمي المثقل الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكوناً لازماً، في كلمة واحدة، مع إدغام الحرف الساكن في غيره فيصيران حرفاً مشدداً؛ سُمّيَ كلمياً لاجتماع المدّ مع السّكون في كلمة، ومثقلاً لكونه مُدغماً. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص218.

³ سورة الأنعام: الآية46.

⁴ سورة المجادلة: الآية13.

⁵ سورة الكهف: الآية38.

⁶ يُنظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد، ص391.



كلمتين (لكن+أنا) حُذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى النون الساكنة فأصبحت (لكننا)، ثم أدغمت النون في النون فأصبحت (لكننا)¹؛ ووجه التخالف هنا هو تغيير المقطع الأخير لهذه الكلمة (نا)، وهو مقطع متوسط، بمقطع قصير (ن) مخالفاً بذلك المقطع المتوسط قبله (كن)؛ وبذلك حدثت المخالفة الكمية بعدما حدث التماثل بالإدغام.

سادساً: هاء الكناية.

ذكرتُ في الباب الأول من هذا البحث بعض أحوال هاء الكناية نظراً لما يعترضها، في بعض أحوالها، من مظاهر التماثل الصوتي؛ إلا أنها لا تخلو في بعض أحوالها الأخرى من مظاهر التخالف الصوتي أيضاً.

ذلك أن هاء الضمير هو في الحقيقة حرف واحد فقط يدل على اسم، ولذلك وصله القراء بواو حال كونه مضموماً وبياء حال كونه مكسوراً، وذلك من أجل تبيين الهاء لخفائها²، ويكون إشباعها بحسب ما يسبقها، أما مقدار إشباعها فبحسب ما يليها من أسباب المدّ أو موانعه.

ولهاء الكناية في التلاوة عند ورش أربع حالات؛ منها حالة واحدة يُثبتُ فيها الصلّة، أما باقي الحالات الثلاث فلا صلة فيها؛ والصلّة هي إشباع الضمة حتى تتولّد منها واو مدّية، وإشباع الكسرة حتى تتولّد منها ياء مدّية، وتثبتُ وصلًا وتُحذف وقفاً، وتمدّ حركتين كالمدّ الطبيعيّ إذا لم يأتي بعدها همز، فإذا وقع بعدها همز مدّها ورشُّ أربع أو خمس حركات³.

¹ يُنظر: حجة القراءات: أبو زرعة، ص417.

² يُنظر: التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، ص1/09.

³ يُنظر: تيسير الرحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد، ص258-259.



فإذا وقعت هاء الضمير بين حركتين فإن ورشا من طريق الأزرق قد وصلها كلها بالصلة (الواو أو الياء) ما عدا في قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾¹ فإن نافعاً قرأها بالحذف (يَرْضَهُلَكُمْ). أمّا باقي القراء فاشتروا لوصولها شرطاً إضافياً لم يشترطه ورش وهو النظر إلى أصل الكلمة، فإن كانت في أصلها بين متحركين وصلوا، وإن لم تكن كذلك حذفوا صلتها²، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِي إِلَيْهِمْ﴾³ حيث يقرأها ورش بالصلة (فَأَلْقِهِي إِلَيْهِمْ) نظراً لأنّ الهاء وقعت بين حركتين ويمدّها أربع حركات، بينما غيره من القراء يحذفها بالنظر إلى أصلها (أَلْقِي) فهي واقعة بين صوت مدّ وكسر⁴. ومما يقع فيه التخالف عند ورش قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾⁵، فهاء الضمير في كلمة (جَاءَهُ) زائدة وليست أصلية، وقد وقع هنا تخالف صوتي كمي عند ورش، حيث تمّ إبدال المقطع القصير آخر الكلمة (ه) بمقطع طويل (هو) ليخالف بذلك المقطع القصير قبله (ع)، وقد اتصلت هاء الضمير هنا بفعل. ومثال ما تتصل بالاسم وبالحرف في قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾⁶.

أمّا الحالات الثلاثة الأخرى التي تُختزل فيه صلة هاء الضمير عند ورش، حيث تحذف الصلة (الواو أو الياء) عنها، فهي:

¹ سورة الزمر: الآية 07.

² يُنظر: التحوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 40-41.

³ سورة النمل: الآية 28.

⁴ يُنظر: التحوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 41-42.

⁵ سورة البقرة: الآية 275.

⁶ سورة البقرة: الآية 131.



- الواقعة بين صوت مدّ وساكن أو بين ساكنين: تحذف الصلة إذا وقعت هاء الضمير بين صوت مدّ وصوت ساكن أو بين ساكنين، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾¹؛ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾²؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾³؛ لعدم الحاجة إلى المخالفة الكميّة بين المقاطع، لأنّه في حال الوصل يكون مقطعا متوسطاً مغلقاً (الهاء متبوعاً بصائت قصير وساكن).

- الواقعة بين حركة وسكون: نحو قول الله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁵؛ لعدم الحاجة إلى المخالفة الكميّة، لأنّه في حال الوصل يكون مقطعا متوسطاً مغلقاً (الهاء متبوعاً بصائت قصير وساكن)، وهو بذلك يُخالف المقطع القصير الذي يسبقه.

- الواقعة بين صوت مدّ وحركة أو بين سكون وحركة: كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾⁶؛ وقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁷، والأصل فيها فيها خمسة أوجه كما يقول القرطبي (ت671هـ): «قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁸؛ فيه ست مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾، الهاء في موضع

¹ سورة المائدة: الآية 46.

² سورة البقرة: الآية 185.

³ سورة المائدة: الآية 18.

⁴ سورة التغابن: الآية 01.

⁵ سورة الكهف: الآية 01.

⁶ سورة المائدة: الآية 46.

⁷ سورة البقرة: الآية 02.

⁸ سورة البقرة: الآية 02.



خفض بـ (في)؛ وفيه خمسة أوجه: أجودها: (فيه هدى)؛ ويليه (فيه هدى) بضم الهاء بغير واو، وهي قراءة الزهري وسلام أبي المنذر؛ ويليه (فيه هدى) بإثبات الياء، وهي قراءة ابن كثير؛ ويجوز (فيه وهدى) بالواو؛ ويجوز (فيه هدى) مدغماً. وارتفع (هدى) على الابتداء والخبر (فيه)؛ والهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان، أي فيه كشف لأهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وهدى¹؛ ومثال ذلك أيضاً قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ أَنْ تَأْمَنَهُ بَقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾²؛ وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾³؛ أَخَاهُ³؛ لعدم الحاجة إلى المخالفة الكمية، حيث يُترك المقطع قصيراً على حاله (الهاء متبوعاً بصائت قصير)، لأنه يُخالف المقطع المتوسط السابق له.

- الوقف: إذا وقف القارئ على هاء الضمير وجب عليه حذف صلتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾⁴.

ويلحق بهاء الضمير في الحكم هاء اسم الإشارة الدالة على المفردة المؤنثة في (هذه)؛ فإذا وقع بعده متحرك، فإنها توصل بياء مدية، لأنها مكسورة؛ يقول المارغني عنها: «ليست بهاء ضمير وإنما هي مبدله من ياء، والأصل (هذي) كما قال الداني؛ وإنما ذكرها [ابن بري] هنا لمشاركتها لهاء الضمير في الحكم ولهذا قال: (وهاء هذه كهاء المضمرة) يعني أنها أُجريت مجرى هاء الضمير الواقعة بعد كسرة لشبهها بها في كونها متطرفة بعد كسرة، فأعطيت حكمها من إثبات

¹ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص160/1.

² سورة آل عمران: الآية 75.

³ سورة يوسف: الآية 69.

⁴ سورة النور: الآية 52.



الصَّلَّة وحذفها»¹؛ ومثال الصَّلَّة في قول الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾²، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾³. أما ما عدا ذلك فحكمها عدم الصَّلَّة مطلقاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁴.

وخلاصة القول أنّ هاء الضمير إذا جاءت في مقطع قصير وسُبقت بمقطع قصير مثله، فإنّها توصل بالواو أو الياء من باب المخالفة الكميّة، لتخالف المقطع القصير قبلها؛ أمّا إذا جاءت في مقطع قصير وكان المقطع السابق لها من نوع المتوسط، فلا حاجة حينئذٍ للمخالفة الكميّة؛ كما لا تكون المخالفة الكميّة إذا جاءت الهاء في مقطع متوسطٍ. والله أعلم.

سابعاً: ميم الجمع.

ميم الجمع هي ضمير الجمع الغائب المذكور، وهي الميم الزائدة الدالة على جمع المذكورين حقيقة وتزيلاً⁵؛ ومعنى حقيقة أي أنّها دالة على الجمع حقيقة؛ ومعنى تزيلاً: أي الواحد بمثلة الجماعة تعظيماً كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ وَأَن يَفْتِنَهُمْ﴾⁶، فإنّ الضمير في (مَلَئِهِمْ) يعود على فرعون. والأصل في ميم الجمع الضمّ⁷، ولا تُسبق ميم الجمع في القرآن الكريم

¹ (التجويد الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص32).

² (سورة هود: الآية64).

³ (سورة المؤمنون: الآية52).

⁴ (سورة البقرة: الآية35).

⁵ يُنظر: التجويد الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص27.

⁶ (سورة يونس: الآية83).

⁷ يُنظر: التجويد الطوالع على الدرر اللوامع: للمارغني، ص29.



الكريم إلا بأربعة أصوات مجموعة في قولنا (أهتك)¹؛ ولا تكون الكاف والتاء والهمزة² إلا مضمومة، أما الهاء فقد تُكسَرُ إذا تقدّمتها كسرة أو ياء ساكنة، لمجانستها³.

ويتعلّق حكم ميم الجمع بما يقع بعدها، ولا يخلو ما يقع بعدها من أن يكون أحد أمرين: إمّا ساكناً أو متحرّكاً؛ ولا يخلو المتحرّك من أن يكون أحد أمرين: إمّا متصلاً بها أو منفصلاً عنها؛ ولا يخلو المنفصل عنها من أن يكون أحد أمرين: إمّا همزة قطع أو صوت آخر.

وقد اختلف القراء في حركة ميم الجمع وصلاً إذا وقعت قبل متحرك، فالجمهور قرأوا قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁴ بسكون الميم، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون في رواية عنه بضمّة مشبعة (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) وهي لغة لبعض العرب⁵.

أمّ ورش فاشتراط لوصول الميم بواو وإشباعها أن تفتح بعدها همز، لأنّ الهمزة صوتٌ شديدٌ بعيدٌ المخرج، فوُصِلَتْ الميم قبله بواو لئُستعانَ بذلك على النطق به⁶؛ ولذلك قرأ (تُنذِرُهُمْ) بسكون الميم، بينما قرأ (عَلَيْهِمْ) و(ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بضمّة مشبعة، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁷. أمّا في حال الوقف عليها فإنّ ورشاً يمكنها، ولا

¹ يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص28.

² الهمزة كما في (هاؤم) من قول الله تعالى في سورة الحاقة (الآية19): ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُمٌ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ﴾ وليس في القرآن الكريم غيرها. يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص27.

³ يُنظر: نفسه، ص31.

⁴ سورة الفاتحة: الآية07.

⁵ يُنظر: التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص36.

⁶ يُنظر: نفسه، ص29.

⁷ سورة البقرة: الآية06.



خلاف في الوقف بين جميع القراء¹. ومثال ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²؛ وقوله عزّ من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾³. وهذا من باب المخالفة الكميّة، لتفادي تتابع مقطعين قصيرين، مقطع الميم والمقطع الذي سبقه، فلما وُصِلَتْ ميم الجمع بواو المدّ، أصبحت من المقطع المتوسط، وبذلك اختلف المقطعان.

وقد اتفق جميع القراء، بمن فيهم ورش، على أنّ ميم الجمع إذا اتّصلت بالضمير ضُمَّتْ وُوصِلَتْ بواو⁴، نحو قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾⁵؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾⁶؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁷؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْزَلْنَاكُمْ مِائِدًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾⁸. وهذا وهذا من باب المخالفة الكميّة أيضاً، لتفادي تتابع مقطعين قصيرين، مقطع الميم والمقطع الذي سبقه، فلما وُصِلَتْ ميم الجمع بواو المدّ، أصبحت من المقطع المتوسط، وبذلك اختلف المقطعان.

¹ يُنظر: التحرير والتنوير (المشهور بتفسير ابن عاشور): ابن عاشور، ص1/116.

² سورة البقرة: الآية 28.

³ سورة الروم: الآية 21.

⁴ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص35.

⁵ سورة الحجر: الآية 22.

⁶ سورة المؤمنون: الآية 110.

⁷ سورة المائدة: الآية 23.

⁸ سورة هود: الآية 28.



أَمَّا إِذَا أُتْبِعَتْ مِيمُ الْجَمْعِ بِلَفْظٍ فِي أَوَّلِهِ هَمْزٌ وَصَلٍ ، فَإِنَّ وَرَشًا يَتْرَكُهَا عَلَى أَصْلِهَا مَضْمُومَةً مِنْ غَيْرِ صَلَةٍ¹ ، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾² ؛ وَفِي قَوْلِهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾³ ؛ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾⁴ ؛ إِذْ لَا حَاجَةَ هُنَا لِلْمُخَالَفَةِ الْكَمِّيَّةِ ، فَمَقْطَعُ الْمِيمِ الْمِيمِ مِنْ نَوْعِ الْمُتَوَسِّطِ (الميم متبوعة بصائت قصير ثم بصامت)، بينما المقطع السابق له فهو من نوع القصير.

أَمَّا فِي حَالِ وَقُوعِهَا قَبْلَ مَتَحَرِّكَ غَيْرِ الْهَمْزَةِ ، فَإِنَّ حَكْمَهَا الْإِسْكَانَ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁵ ؛ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾⁶ ؛ وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾⁷ .
وهذا من باب المخالفة الكمية أيضاً، حيث حوّل المقطعان القصيران المتتابعان (مقطع الميم المضمومة والمقطع الذي سبقه) إلى مقطع واحدٍ من نوع المتوسط المغلق، وذلك بحذف الصائت القصير على الميم (الضمّة).

¹ (هذا في حال وصل الميم بما بعدها، أما في حال الوقف فالثابت إسكانها كما تقدم).

² (سورة البقرة: الآية 183).

³ (سورة الأعراف: الآية 30).

⁴ (سورة الأنفال: الآية 04).

⁵ (سورة البقرة: الآية 03).

⁶ (سورة البقرة: الآية 04).

⁷ (سورة الكهف: الآية 32).



وخالصة القول أنه لما كان الأصل في ميم الجمع الضمّ، فهي بذلك في مقطعٍ قصيرٍ نهاية الكلمة؛ فإذا سُبقت بمقطعٍ قصيرٍ مثله، فإنّها إمّا أن توصل بالواو، أو تُحذف ضمّتها، بحسب ما يليها من أصوات، وهذا من باب المخالفة الكميّة، تُتخالف المقطع القصير قبلها؛ أمّا إذا جاءت في مقطعٍ متوسطٍ بسبب الساكن الذي يليها، فلا حاجة حينئذٍ للمخالفة الكميّة، لأنّ المقطع السابق له من نوع القصير، فهو يُخالفه. والله أعلم.

ثامناً: ياءات الإضافة.

ذكرتُ في الفصل الثاني من الباب الأوّل ياءات الإضافة، وهي الياء الزائدة الدالة على المتكلم¹ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾²؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾³؛ و﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾⁴. وذكرتُ أنّها تتصل بالحرف وبالفعل وبالاسم؛ وأنّ الفائدة من دراستها هي معرفة قراءتها وصلاً صوتاً صامتاً بالفتح أم صوت مدّ؛ وقُمتُ بتحديد الحالات التي تلجأ إليها الكلمات في المماثلة بين أصواتها؛ ذلك أنّ ياء الإضافة تقع إمّا بعد حرفٍ محركٍ أو بعد حرفٍ ساكنٍ أو صوت مدّ. إلا أنّ ياءات الإضافة لا تخلو كذلك من المخالفة الصوّتيّة في بعض حالات فتحها أو إبقائها صوت مدّ؛ ومن هذه الحالات:

¹ يُنظر: التّحجّوم الطّوابع على الدّرر اللّوامع: المارغني، ص172.

² سورة الأحقاف: الآية15.

³ سورة البقرة: الآية186.

⁴ سورة نوح: الآية06.



- الياء التي بعدها همزة مكسورة، فحكمها في رواية ورش هو الفتح حيث وقعت، نحو قول الله تعالى: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾¹، حيث وقع تخالف صوتي بين الصوائت بالفصل بين الصائتين المتجانسين المتتابعين (ياء المدّ وكسرة الهمزة (دي إ)) بصامت وصائت قصير يُخالفهما وهو الفتحة؛ وقد استثنى ورش من ذلك تسع (09) ياءات فقط، حيث يُبقيها صوت مدّ ويقوم بإشباعها؛ وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾²؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾³؛ و﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾⁴؛ و﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾⁵؛ و﴿فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْآً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾⁶؛ و﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾⁷؛ و﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾⁸؛ و﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾⁹؛ و﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾¹⁰.

- الياء التي بعدها سائر الحروف غير همزتي الوصل، يُبقيها ورش صوت مدّ حيثما وردت، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ

¹ (سورة نوح: الآية 06).

² (سورة الأعراف: الآية 14).

³ (سورة الحجر: الآية 36).

⁴ (سورة ص: الآية 79).

⁵ (سورة يوسف: الآية 33).

⁶ (سورة القصص: الآية 34).

⁷ (سورة غافر: الآية 41).

⁸ (سورة غافر: الآية 43).

⁹ (سورة الأحقاف: الآية 15).

¹⁰ (سورة المنافقون: الآية 10).



فَيَايَ فَاعْبُدُونِ¹؛ وقد استثنى من ذلك أحد عشر (11) موضعاً، يفتح فيها ورش ياء الإضافة الواقعة قبل غير الهمزتين ولا يمدّها²، أجمالها في الجدول الآتي:

الآتي:

السورة	رقم الآية	الآية
البقرة	125	﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾
البقرة	186	﴿فَلَيْسَتْ حَبِيبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾
آل عمران	20	﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾
الأنعام	79	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾
الأنعام	162	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
طه	18	﴿وَلِي فِيهَا مَا رُبُّ أُخْرَى﴾
الحج	26	﴿وَطَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾
الشعراء	118	﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
يس	22	﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
الدخان	21	﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ﴾
الكافرون	06	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

والملاحظ في هذه الآيات الإحدى عشرة أن ياءات الإضافة وقعت في مقطع متوسط نهاية الكلمة ، وقد توسط هذا المقطع مقطعين من النوع نفسه (المتوسط)، فوقعت المخالفة الكمية بأن حوّل هذا المقطع المتوسط الأوسط إلى مقطعين قصيرين، ليخالفاً بذلك المقطعين المتوسطين (السابق واللاحق لهما).

¹ سورة العنكبوت: الآية 56.

² يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 157.



تاسعاً: الياءات الزوائد.

الياءات الزوائد في اصطلاح القراء هي الياءات المتطرفة الزائدة في التلاوة على رسم المصحف العثمانية، أي أنها محذوفة من المصحف بخلاف ياءات الإضافة فإنها ثابتة؛ ولا تكون الياءات الزوائد إلا في الأسماء والأفعال، بخلاف ياءات الإضافة التي تكون في الأسماء والأفعال والحروف؛ و الياءات الزوائد إما أصلية (أي لام الكلمة) وإما زائدة، بخلاف ياء الإضافة التي لا تكون إلا زائدة.

وقد وردت الياءات الزوائد الأصلية عند ورش خمس عشرة (15) آية، منها قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾¹؛ ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾²؛ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾³؛ ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾⁴؛ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾⁵؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁶؛ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ

¹ سورة البقرة: الآية 186.

² سورة هود: الآية 105.

³ سورة الإسراء: الآية 97.

⁴ سورة الكهف: الآية 17.

⁵ سورة الكهف: الآية 64.

⁶ سورة الحج: الآية 25.



كَالْجَوَابِي وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ¹؛ ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾²؛ ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾³؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾⁴؛ ﴿وَاسْتَمِعْ
يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁵؛ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ
نُكْرٍ﴾⁶؛ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾⁷؛ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
إِذَا يَسْرِي﴾⁸؛ ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي﴾⁹.

أما أمثلة الياءات الزائدة، ففي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ﴾¹⁰؛ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ
أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ آسَلَمْتُمْ﴾¹¹؛ ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾¹²؛
﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِي﴾¹³؛ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾¹⁴؛ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن
آخَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹⁵؛ ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي

¹ سورة سبأ: الآية 13.

² سورة غافر: الآية 15.

³ سورة غافر: الآية 32.

⁴ سورة الشورى: الآية 32.

⁵ سورة ق: الآية 41.

⁶ سورة القمر: الآية 06.

⁷ سورة القمر: الآية 08.

⁸ سورة الفجر: الآية 04.

⁹ سورة الفجر: الآية 09.

¹⁰ سورة البقرة: الآية 186.

¹¹ سورة آل عمران: الآية 20.

¹² سورة هود: الآية 46.

¹³ سورة إبراهيم: الآية 14.

¹⁴ سورة إبراهيم: الآية 40.

¹⁵ سورة الإسراء: الآية 62.



رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا¹؛ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا²﴾؛ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا³﴾؛ ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي⁴﴾؛ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي⁵﴾.

وجملة ما رواه ورش عن نافع سبع وأربعون (47) ياء زائدة⁶، والخلاف الواقع فيها بين القراء هو بين الحذف والإثبات⁷؛ أمّا ورش فيثبتها بالمدّ في حال الوصل والوصل ويحذفها مع إسكان الحرف قبلها في حال الوقف⁸. فإذا قرأ القارئ قول قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ⁹﴾ فوقف على (يسر) قرأها بحذف الياء الزائدة وإسكان الراء؛ أمّا إذا وصل الآيتين قرأ (يسري هل) بإثبات الياء الزائدة، ومدّها مدّاً طبيعياً لوجود حرف متحرّك غير الهمز، فإذا وقع بعدها همز، أثبتتها وصلا مع الإشباع من باب المدّ المنفصل¹⁰؛ وبذلك يتحوّل، من باب المخالفة في حال الوقف، المقطعان المتوسّطان المتتابعان في نهاية الكلمة (يس) و(ري) إلى مقطع واحد من النوع الطويل ثنائي الإغلاق (يسر)، وهذا في أكثر من ثلثي الكلمات الواردة في رواية ورش من طريق

¹ سورة الكهف: الآية 24.

² سورة الكهف: الآية 40.

³ سورة الكهف: الآية 66.

⁴ سورة الفجر: الآية 15.

⁵ سورة الفجر: الآية 16.

⁶ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص 178 و 180.

⁷ بخلاف ياءات الإضافة فإنّ الخلاف بين القراء فيها يكون بين الإسكان والفتح. يُنظر: نفسه، ص 177.

⁸ نفسه، ص 177.

⁹ سورة الفجر: الآيتان: 04 و 05.

¹⁰ يُنظر: قراءة الإمام نافع من روايتي قالون و ورش: خالد شكري، ص 119.



الأزرق (إحدى وثلاثين) (31) كلمة من أصل سبع وأربعين (47) كلمة).
ومثال ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَىٰ شَيْءٍ
نُكْرًا﴾¹.

ويُستثنى من ذلك في رواية ورش بعض الياءات الزوائد حيث تُحذف سواء
وصلها القارئ بما بعدها أم وقف عندها، وذلك في بعض آي القرآن الكريم
نذكرها في الجدول التالي:²

السورة	رقم الآية	الآية
الأنعام	34	﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾
يونس	15	﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أبدلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾
النحل	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
طه	130	﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾
الشورى	51	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾

ملاحظة: يوجد في القرآن الكريم كلمات تُشبه ذات الياءات الزوائد وهي
ليست من الزوائد، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³، فكلمة
(اتَّبَعَنِي) شبيهة بنظيرتها في قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي
لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ﴾⁴، فالياء في الثانية
الثانية هي من الزوائد لأنها محذوفة من المصاحف، أمّا في الأولى فليست
كذلك، ولذلك فإنّ ورشا إذا وصل الكلمة في الآية الثانية بما بعدها أثبت الياء

¹ (سورة القمر: الآية 60).

² يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص 165.

³ (سورة يوسف: الآية 108).

⁴ (سورة آل عمران: الآية 20).



الزائدة وأتى بالمدّ، أمّا إذا وقف عندها حذفها وأتى بالنون ساكنة (اتَّبَعْنَ)، بينما في الآية الأولى فإنّ ورشاً يُثبت الياء فيقول: (اتَّبَعِنِي) وصلماً ووقفاً مراعاة للرّسم، لأنّها ثابتة في المصاحف¹.

ومثال آخر في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾³، في الآية الثانية الياء من الزوائد فلذلك يُثبتها وصلماً (الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ) ويحذفها وقفاً (الْجَوَارِ)، أمّا في الآية الأولى فليست من الزوائد ولذلك يحذفها وصلماً ووقفاً، فيقف بالسكون على الراء (الْجَوَارِ)، ويُثبت الصائت القصير في حال الوصل (الْجَوَارِ الْمُنشآتُ)¹.

عاشراً: الوقف.

ذكرتُ في الفصل الثاني من الباب الأوّل بعض أحكام الوقف، حيثُ تعدّدت هذه الأحكام في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، وتعدّدت معها الظواهر الصوّتية، بتأثير الأصوات المتجاورة بعضها في بعض؛ وعرّفتُ الوقف لغة واصطلاحاً، وأنه يكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يكون في وسط الكلمة، ولا فيما اتّصل رسماً⁴.

وحدّدتُ الفرق بينه وبين السكت والقطع، وكيف أنّ بعض المتقدّمين يستعملون المصطلح الأخير (القطع) وهم يريدون به الوقف⁵. والأصل في الوقف أن يكون

¹ يُنظر: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمّد شاعري، ص165.

² سورة الرحمن: الآية24.

³ سورة الشورى: الآية32.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص232.

⁵ يُنظر: التجوّم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص121.



بإسكان المتحرك آخر الكلمة¹، لأنّ السكون أخفّ من الحركة، فالوقف موضع تخفيف واستراحة، وكما يختصّ الابتداء بالحركة، يختصّ الوقف بالسكون².

وقد يقف القراء بإسكان الحرف بعد حذف ما يليه من تنوين المرفوع والمجرور، أو صلة هاء الضمير، أو صلة هاء الميم الجمع، أو الياءات الزوائد. وقد يكون الوقف عند القراء بأوجه أخرى غير الإسكان والحذف، وهي: الإبدال؛ والروم؛ والإشمام³؛ وذكرت تلك الأحكام وبيّنت مواطن التماثل الصوتي فيها؛ إلا أنّ بعض تلك الأحكام لا تخلو من مظاهر التخالف الصوتي أيضاً؛ وقد تجلّت بعض تلك المظاهر في بعض حالات إثبات أصوات المدّ وحذفها عند الوقف؛ ومن ذلك:

1 - الألف المدية في آخر الكلمة: فلهذه الألف أربع حالات، هي: أنّها تُحذفُ وصلّاً ووقفاً؛ أو أنّها تُحذفُ وصلّاً وتثبتُ وقفاً؛ أو حذفها وصلّاً وجواز الوجهين وقفاً؛ أو أنّ تثبتُ وصلّاً ووقفاً⁴. وقد تجلّت بعض مظاهر التخالف الصوتي في الحالة الأولى، فهي تُحذفُ وصلّاً ووقفاً، إذا كانت غير مرسومة في المصحف؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾⁵؛ حيث حدثت المخالفة الكمية بين المقطعين المتوسّطين (في) و(ما)، ليُصبح الثاني

¹ إنّما كان السكون هو أصل الوقف، لأنّ الوقف معناه لغة الكفّ والترك، والواقف بترك حركة الحرف الموقوف عليه. يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص157.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: الحصري، ص232.

³ يُنظر: التجوم الطوالع على الدرر اللوامع: المارغني، ص157.

⁴ يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص289-290.

⁵ سورة التّازعات: الآية 43.



مقطعاً قصيراً (م)؛ وكان الأصل فيها (فيما) (ما الاستفهامية)، وهو ما يُعرفُ عند النحويين بالحذف القياسي¹، أي حذف ألف ما الاستفهامية المجرورة.

2 - الواو المدية: وله أربع حالاتٍ أيضاً، ومن هذه الحالات حالة واحدة تُحذفُ فيها الواو وصللاً ووقفاً، وهي إذا كانت غير مرسومة في المصحف الشريف، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾²؛ طلباً للمخالفة بين مقطعين متتاليين من النوع المتوسط (يخ) و(لو).

3 - الياء المدية في آخر الكلمة: لها خمس حالاتٍ؛ إحداها أنها تُحذفُ وقفاً ووصللاً، وذلك إذا كانت غير مرسومة في المصحف؛ ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾³؛ طلباً للمخالفة بين المقطعين المتوسطين (تغ) و(ني)، ليصير الثاني قصيراً (ن)؛ ومثال ذلك أيضاً قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ:﴾⁴، حيثُ تمت المخالفة بين المقطعين المتوسطين (شؤ) و(ني)، ليصير الثاني قصيراً (ن) حال الوصل، أو يصير المقطعان المتماثلان مقطعاً واحداً من نوع الطويل ثنائي الإغلاق (شؤن) في حال الوقف؛ ومثال ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ﴾⁵؛ وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁶؛ وقوله عز من قائل: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾⁷؛ وقوله

¹ يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، ص 461/3.

² (سورة يوسف: الآية 09.

³ (سورة القمر: الآية 05.

⁴ (سورة المائدة: الآية 44.

⁵ (سورة إبراهيم: الآية 22.

⁶ (سورة ق: الآية 41.

⁷ (سورة الزمر: الآية 16.



سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادٍ﴾¹؛ إلا أن هناك آيات أخرى وردت فيها بعض هذه الكلمات تامة دون اللجوء إلى المخالفة الصوتية ودون حذف الصائت الطويل (الياء)، حيث تثبتُ وصلاً ووقفاً، لثبوتها مرسومة في المصحف ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ عَلَيْنِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾²، ولعلّ السبب في ذلك يعود للسياق العام للآية أو للسورة الكريمة ككل، وتبقى هذه الإشكالية بحاجة إلى مزيد من البحث والتحري، بالاستعانة بمختلف النظريات اللسانية الحديثة؛ وأعود فأقول أن الأصل في هذا كله يكون بالتلقي والمشاهدة والنقل؛ وإنما هذه التعليقات تابعة له.

هكذا إذا تجلّت الظواهر الصوتية التخالفية في قراءة نافع برواية ورش

من طريق الأزرق ، من خلال أحكام التجويد التي اخترتها لهذا الفصل؛ ولا أزعم أنني أحطتُ بها جميعاً وبكل جوانبها، فالأكيد أن بعض جوانبها لا تزال في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والوصف والتحليل.

والظاهر من عرضي للظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية أن اللغة العربية

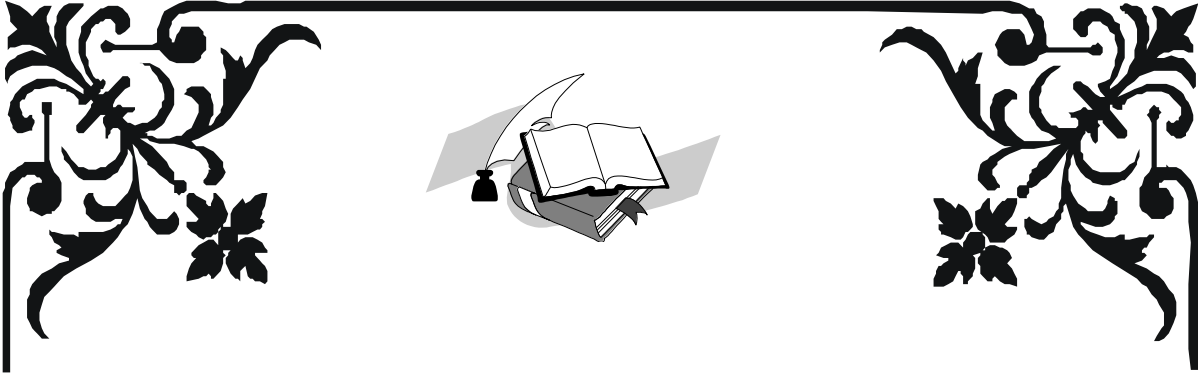
تميل أكثر نحو السهولة واليسير أثناء الكلام؛ ولذلك تحاول التخلص من الأصوات العسيرة في النطق؛ فهي تنتقي الأصوات لكي تُحدِثَ فيما بينها تآلفاً وانسجاماً، ومن ثمّ تأثيراً كبيراً على سمع المتلقي ووقعا مؤثراً في نفسه؛ ولعلّ هذا أهمّ ما ميّز لغة القرآن الكريم عن سائر اللغات. ويظهر من هذه الدراسة أيضاً أن ما استقرّ عليه النحاة القدامى والقراء عامة، وما أقرّته قراءة نافع بصفة خاصة، حول الظواهر الصوتية التخالفية والتماثلية، يتفق في معظمه مع ما استقرّ عليه

¹ (سورة الزمر: الآية 17).

² (سورة البقرة: الآية 150).



الدّرس الصوتي الحديث الذي يرى أنّ هذه الظواهر اللّغويّة (التّمائل والتّخالف) تحدث نتيجة تأثر الأصوات اللّغويّة بعضها ببعض عندما تتركّب في كلمات وجمل، حيث تعتمد المماثلة إلى التقريب بين أصوات بينها بعض الاختلاف، بينما تعتمد المخالفة إلى صوتين متماثلين في الكلمة فتُغيّر أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من الصوائت الطويلة أو أشباهها؛ وقد خلص بي بحثي هذا إلى جملة من النتائج أحاول عرضها في الخاتمة.



الخاتمة



لقد كانت قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق نموذجاً لدراستي هذه، والتي تناولتُ فيها أهمّ الظواهر الصوتية التي تلجأ إليها العربية للعدول عن الأصل اللغويّ إلى الفرع من أجل تحقيق الانسجام الصوتيّ وتقليل الجهد العضلي المبذول أثناء النطق؛ وهي الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية التي تُنتقى على إثرها الأصوات المتألّفة المنسجمة، فتتأوى في تركيب لغويّ، بذبذبات متوازنة متوازية، وبتتابعٍ وتناسقٍ عجيبين، لتصل إلى أذن السامع، فتؤنس النفوس، وتُخشع القلوب، وتُطرب الأذان والأسماع؛ وهذا من إعجاز الله تعالى؛ فأصوات القرآن الكريم معلومة معروفة إلاّ أنّ ترادفها وتناسقها وانسجامها بذلك الشكل العجيب أهر العقول وأذهلها.

وقد كانت رحلتي في ثنايا كتب اللّغة والأصوات، قديمها وحديثها، وقبل ذلك في كتب التّجويد والقراءات، رحلةً في حديقة زهر وورد، نَعِمْتُ بطبيها وعطرها؛ وقد أُنهيتُ جولتي هذه، بترتيب جملة من النتائج أوجزها فيما يلي:

1 - إنّ أهمّ دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللّغة العربية تمثّلت في تلك الاتجاهات التي تحكم الأنظمة الصوتية أو ما يُعرف باسم القوانين الصوتية التي كانت سبباً في اختلاف اللهجات العربية، والتي نزل القرآن الكريم موافقاً لبعضها، وقد كان ذلك سبباً لاختلاف القراءات القرآنية.

2 - يتفق علماء العربية القدامى وعلماء الأصوات المحدثون على أنّ تحديد هوية العنصر الصوتي وتشخيصه تستند أساساً إلى تحديد مخرجه وصفاته؛ غير أنّ دراسة الأصوات اللغوية منفردة خارج مدرج الكلام باعتبارها العناصر الأساس المكونة للسلسلة الكلامية، تبقى قاصرة؛ لأن عملية التبليغ إنّما تتم باتصال هذه العناصر ببعضها وفق نظام خاص، وهو ما يُعرف بتركيب الأصوات اللغوية.

3 - يكاد يتفق علماء العربية القدامى وعلماء الأصوات المحدثون على أن التغيير الصوتي الذي يحدث للأصوات سواءً كانت مفردة أو داخل تركيب، يتناسب مع طبيعة اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية.

4 - إن علماء العربية القدامى قد فطنوا لما للأصوات المتجاورة من تأثير في بعضها بعض، وخاصة تلك المتنافرة منها، فوصفوا تلك الاختلالات التركيبية التي تُصيب التجمعات الصوتية أثناء مسارها نحو الانسجام والتآلف، وتناولوا ظاهرة التماثل الصوتي بكل تفاصيلها؛ إلا أن معالجتهم لمسائلها كانت تفتقر إلى الشمولية والاستقلالية وإلى منهج واضح المعالم، فلقد تناولوا جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة وبمسميات متعددة، فتناولوها قبل أو أثناء كلامهم عن ظواهر لغوية كثيرة كالإعلال والإبدال والإدغام والإمالة والتفخيم وغيرها.

5 - جاءت دراسات القراء وعلماء التجويد لهذه الظواهر الصوتية وغيرها أكثر شمولية واستقلالية ممن سبقوهم من النحاة واللغويين.

6 - لاحظ المهتمون بعلم الأصوات الحديث أن الأصوات اللغوية، سواءً أكانت صوامت أم صوائت، تتأثر بعضها ببعض عند النطق بها؛ ووجدوا أن الصوت المتأثر يفقد في كثير من الأحيان بعض خصائصه، وفي أحيان أخرى يفقد كل خصائصه ويكتسب خصائص الصوت المجاور له أو بعضاً منها، فيحدث بينهما نوع من التوافق والانسجام، وأطلقوا على تلك التغيرات الصوتية مصطلح المماثلة، أو التماثل أو التقريب الصوتي، أو غيرها من المصطلحات التي اختلفت باختلاف التراجم؛ والتي يُقابلها في المصطلح الأجنبي كلمة (Assimilation)؛ وبينوا أنواعها ومظاهرها.

- 7 - لا يُشترط في الصّوتين المختلفين ملاصقة أحدهما للآخر، وإنّما يكفي أن يتجاورا لكي تتحقّق المماثلة.
- 8 - يكون التّمائل الصّوتيّ بين الصّوائت والصّوامت؛ وتأثير الصّوائت على الصّوامت أكثر شيوعاً؛ وقد يحدث التّمائل أيضاً بين الصّوامت، أو بين الصّوائت فقط؛ ويكون على مستوى مخارج الأصوات، أو صفاها، أو كليهما.
- 9 - أشكال المماثلة ثمانية؛ فهي إمّا أن تكون: مائلة كلية مقبلة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو كلية مدبرة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو جزئية مقبلة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو جزئية مدبرة متصلة؛ أو منفصلة.
- 10 - تبيّن من خلال هذه الدّراسة أنّ القبائل العربيّة القديمة التي كانت تميل أكثر إلى المماثلة الصّوتية في لهجاتها القديمة هم أهل البادية، بخلاف أهل المدن والحضر؛ ولعلّ السبب في ذلك هو ما أثر عن أهل البدو من السّرعة في الكلام وميلهم إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ المبذول أثناء النّطق.
- 11 - يتسبّب تجاور بعض الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في كثير من الأحيان في حدوث تصدّع يمس أبنية اللّغة العربيّة ويستثقل تركيبها، فتلجأ العربيّة حينئذٍ إلى ملاذ غير المماثلة لتحقيق الأهداف نفسها، من درء الثقل و طلب الخفة واليسير في النطق ورأب ذلك التصدّع، فتتخذ من التّخالف والمغايرة بين تلك الأصوات سبيلاً لذلك.
- 12 - تناول علماء العربيّة القدامى مفهوم التّخالف الصّوتيّ ضمن مسمّيات مختلفة، وفي أبواب متفرّقة، أثناء حديثهم عن العلوم اللّغويّة المختلفة، ولم يُفردوا له باباً بمفرده كما يفعل الدّرس الصّوتيّ الحديث.

13 -تناول الدّرس الصّوتيّ الحديث الظواهر الصّوتية التّخالفية وفق منهج علميّ دقيق، حدّد من خلاله كلّ جزئياتها وتفصيلها؛ حيث قرّر جلّ علماء الأصوات المحدثين أن المخالفة هي الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة السّلبية التي تمّهدف في منحها إلى التّقليل أو التّخلص من الفروق المميّزة للأصوات.

14 -جعل بعض الصّوتيين المحدثين التّغير الصّوتيّ المضاد للمماثلة ، الذي يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين أصواتيتين ، نوعين: نوع في حالة كون الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف متباعدة، أي كون الفونيمات مفصولة عن غيرها، وأسموه المخالفة مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Dissimilation)؛ وآخر يخصّ الوحدتين المتصلتين، أي كون الفونيمين متجاورين متّصلين، وأطلقوا عليه مصطلح التّنويع (Différenciation).

15 -اختلفت المصطلحات الدّالة على المخالفة عند الصّوتيين المحدثين، مثلما اختلفت المصطلحات الدّالة على المماثلة، وللسّبب نفسه وهو الاختلاف في التّرجمة، فاستعمل بعضهم مصطلح المخالفة بينما فضّل آخرون مصطلحات أخرى كالغايرة والتّباين والتّمايز وغير ذلك.

16 -قرّر الدّرس الصّوتيّ الحديث أن المخالفة تعمد في أغلب أحوالها إلى إبدال أحد المتماثلين بصوت مدّ ولين أو بأحد الأصوات الشبيهة بها كاللام والتّون؛ ذلك أن الصّوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضليّ كبير للنّطق بهما في كلمة واحدة، ولما كانت أصوات المدّ واللّين وأشباهها لا تتطلّب جهداً عضليّاً كبيراً، بفضل خصائصها الصّوتية ومواقع صدورها، فقد حلّت محلّ أحد المتماثلين.

17 -تبين أن العربيّة تستنجد بالمخالفة، في أغلب أحوالها، إذا كان الصّوتان المتجاوران من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة، وهي أصوات تحتاج إلى

جهد عضلي للنطق بها ، وهذا ما فطن إليه علماء العربية القدامى وأشاروا إليه في أكثر من موضع.

18 -يكثر التّخالف الصّوتي في اللّغة العربيّة بحذف أحد الصّوتين المتماثلين، إلّا أنّ التّخالف المدبر هو الغالب، حيث يتحوّل الصوت الأوّل إلى صوت مغاير للثاني.

19 -لا تحدث المخالفة الصوتية في الكلمات المكوّنة من مقطع واحد؛ ولا تقع بداية المقطع الأوّل من الكلمة؛ وتحدث المخالفة في أغلب أحوالها للصّوت الواقع نهاية المقطع المتوسّط المغلق.

20 -تحدث المخالفة على مستوى مخارج الأصوات ، أو صفاها، أو مقاطعها؛ وقد تحدث فيها مجتمعة؛ ويترتب عنها عدّة تغييرات ، منها: تغيير في البنية الصوتية (بإبدال صوت بصوت آخر)؛ أو تغيير المقاطع الصوتية؛ أو تغييرات في البنية الصرفية بحذف صوت أو صوتين؛ أو تغيير في الميزان الصرفي؛ أو تأثر إعراب الكلمة؛ وقد تحدث التغييرات فيها مجتمعة، أو في بعضها.

21 -جاءت تفسيرات علماء العربية القدامى لهذه الظواهر الصّوتيّة متقاربة بشكل واضح مع ما قرّره الدّرس الصّوتيّ الحديث ، بميولهم إلى نظريّة السّهولة والتيسير التي نادى بها كثير من المحدثين ، ومن ذلك اعترافهم بكراهية التّضعيف واستثقاله في النّطق.

22 -يظهر من خلال هذه الدّراسة أنّ التطوّر اللّغويّ، في مجمله، كان نتيجة الصّراع المستمرّ بين حاجات الإنسان الاتّصالية ، وميله إلى تخفيض نشاطه العضليّ والعقليّ.

23 -قرر بعض المهتمين بالدرس الصوتي الحديث أن ظاهرة التماثل الصوتي تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ، على حساب الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين؛ وأنّ التخالص الصوتي، على العكس من ذلك، يهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، ولا يُلقى بالاً إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين.

24 -أشار الدرس الصوتي الحديث ، وقبله علماء العربية القدامى إلى أن المخالفة الصوتية تشغل حيزاً لغوياً أقل مما تشغله ظاهرة المماثلة؛ وقد انعكس ذلك على القراءات القرآنية، ومنها قراء نافع برواية ورش من طريق الأزرق ، حيث تبين أن الظواهر الصوتية التخالفية في هذه القراء قليلة نسبة إلى ظواهر التماثل الصوتي.

25 -تتفق قراءة نافع مع باقي القراءات القرآنية في أداء بعض الظواهر الصوتية، وتختلف في أداء بعضها الآخر، شأنها في ذلك شأن اللهجات العربية القديمة؛ وترتبط معظم أحكام التجويد، في القراءات القرآنية، ومنها قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بالظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؛ ذلك أن أحكام التجويد تتبدل وتتغير بتغير مواقع الأصوات في التركيب.

26 -تجلت الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في أحكام: الترقيق والتفخيم؛ الهمزة؛ المد والقصر؛ هاء الكناية؛ ياءات الإضافة؛ وأحكام الوقف.

27 -خُصت الظواهر التماثلية بأحكام الإدغام بأنواعه؛ والنون الساكنة والتنوين؛ وأحكام الميم واللام الساكنين؛ والإمالة.

28 خُصَّت الظواهر التخالفيّة بأحكام المقاطع؛ والإبدال؛ والحذف؛ وميم الجمع؛ والياءات الزوائد.

29 - حاولتُ تفسير هذه الأحكام تفسيراً صوتياً؛ إلاّ أنّ هذا التفسير والتعليل يبقى فرعاً لا أصلاً، لأنّ الأصل في أحكام التجويد هو التلقّي والمشافهة والنقل. وقد استقطبني في ختام جهدي المتواضع هذا أمران اثنان، أحبُّ الإشارة إليهما، وهما:

أولاً: أهمية وقيمة المباحث الصوتية التي بحث فيها علماء القراءات عند تفسيرهم لبعض الظواهر الصوتية التي كانت تُثيرها القراءات القرآنية المختلفة، وبخاصّة قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق.

ثانياً: أنّ هذه المباحث ما زالت في حاجة إلى بحث ومتابعة لاستثمارها بعد ذلك في خدمة اللّغة العربية بمجالاتها المختلفة العلميّة و اللّسانية و الصوتية والتعليمية.

وفي الأخير أحمد الله عزّ وجلّ على إتمام هذا البحث، فإنّ أصبتُ ووُفِّقتُ، فمنه وحده لا شريك له، وذلك ما أردت؛ وإنّ أخطأتُ أو أخفقتُ، فمن نفسي وتقصيري؛ وليس ذلك عن سوء خُلُقٍ أو فساد ضمير، وإنّما هي طبائع النّفس والعادات، أو سهوٌ، أو كثرة المشاغل وقلة الأوقات.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

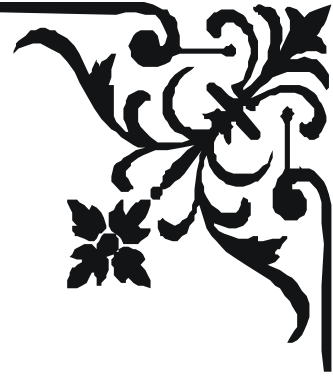
الطالب: راشد شقوفي

تلمسان، مساء يوم الاثنين 16 ربيع الأول 1437هـ

28 ديسمبر 2015م.

الموافق لـ





ملحق

جدول خاص ببيان صفات الأصوات





جدول خاص ببيان صفات الأصوات¹ قوِّيها وضعيفها

ملاحظة: لا بدّ لأي صوت من الأصوات اللغويّة أن يتّصف بخمس صفاتٍ من الصّفات التي لها أصداد، وأمّا التي لا ضدّها لها فقد لا يتّصف منها بصفة ما، وقد يتّصف منها بصفة واحدة أو صفتين ولا يزيد على هذا².

الصفات غير المتضادة		الصفات المتضادة		الأصوات	المخارج	
الضعيفة	القوية	الضعيفة	القوية		المدارج ⁴	الأجزاء ³
	الخفاء	الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	أصوات المدّ	1	الجوف ⁵
		الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الجهر- الشدة-	2	الحلق
الخفاء		الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الهاء	6	
		الاستفال- الانفتاح	الإصمات	العين	7	
		الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الحاء	7	
		الانفتاح	الإصمات	الجهر- الاستعلاء-	4	أدناه
		الانفتاح	الإصمات	الجهر- الاستعلاء-	4	
	القلقلة	الانفتاح	الإصمات	الجهر- الشدة- الاستعلاء-	5	أقصاه ⁹
		الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الشدّة-	6	
	القلقلة	الانفتاح	الإصمات	الجهر- الشدة-	7	وسطه ¹⁰
	التفشي	الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	البياء ¹¹	7	
		الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الجهر-	8	حافه
	الاستطالة	الرخاوة	الإصمات	الجهر- الاستعلاء- الإطباق-	8	
	الانحراف	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		الجهر- التوسط	9	اللسان
	الغنة	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		الجهر- التوسط ¹²	10	
	الانحراف- التكرير	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		الجهر- التوسط	11	
	القلقلة		الإصمات	الجهر- الشدة- الاستعلاء- الإطباق-	12	
	القلقلة	الانفتاح	الإصمات	الجهر- الشدة-	12	
		الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الشدّة-	12	
الصفير		الهمس- الرخاوة	الإصمات	الاستعلاء- الإطباق-	13	
الصفير		الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات		13	
الصفير		الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الجهر-	13	
		الرخاوة	الإصمات	الجهر- الاستعلاء- الإطباق-	14	
		الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الجهر-	14	
		الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات		14	
		الهمس- الرخاوة- الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		الفاء	15	
		الرخاوة- الاستفال- الانفتاح	الإصمات	الجهر-	16	
	القلقلة	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		البياء	16	
	الغنة	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		الميم	16	
	الغنة	الاستفال- الانفتاح- الإذلاق		أصوات الغنة ¹⁴	17	



وبذلك تكون الأصوات من حيث القوة والضعف، خمسة أقسام¹⁵:

- 1- أقوى الأصوات على الإطلاق، وهو الطاء.
- 2- الأصوات القويّة: ثمانية أصوات، وهي: الباء، الجيم، الدال، الراء، الصاد، الضاد، الطاء، والقاف.
- 3- الأصوات المتوسطة: خمسة أصوات، وهي: الهمزة، الغين، اللام، الميم، التون.
- 4- الأصوات الضعيفة: عشرة، وهي: التاء، الخاء، الدال، الزاي، السين، الشين، العين، الكاف، الواو، والياء.
- 5- أضعف الأصوات: سبعة أصوات، وهي: الناء، الحاء، الفاء، الهاء، وأصوات المدّ.

¹ رتبنا الأصوات بحسب مخارجها السبعة عشر، على مذهب الأكثرية من النحويين والقرّاء وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي ومكي بن أبي طالب، واعتمدت في ترتيبها على ما ذكره الإمام الحَقّق ابن الجزري وأثبتته شيخ المقرئ المصرية محمود خليل الحصري، مبتعداً عن كل الاختلافات الأخرى بخصوص تحديد المخارج، باعتبار أنّ الخلاف بين الخليل وبين من جاء بعده من تلاميذه ليس اختلافاً حقيقياً، بل هو مبني على أمرين: الأمر الأول: ملاحظة مدى اعتماد الصوت على المخرج قوة وضعفاً في أصوات الجوف؛ والأمر الآخر: ملاحظة قرب المخارج في (ل، ن، ر)، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي (ت911هـ): «وموضع الخلاف بينهم مخرج اللام والنون والراء فهو عند هؤلاء مخرج واحد، وعند الخليل ومن وافقه ثلاثة مخارج، وعلى القولين فذلك على سبيل التقريب وإلا فالتحقيق أن لكل حرف مخرجاً على حدة». يُنظر: «مع الفواعل في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، ص3/490. و: كتاب العين: الخليل، ص1/57. و: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/225-227. وكذلك: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص51-52.

² يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص118.

³ الأحياز: مصطلح استعمله الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويُسمّيها البعض بالمناطق أو المواضع، وقد نعتها محمود خليل الحصري باسم المخارج الكلية، وعددها خمسة أحياز، وهي التي انحصرت فيها المخارج السبعة عشر. يُنظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص1/57. و: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص51. وكذا: المختصر المفيد في قواعد التجويد: محمد شاعري، ص39.

⁴ المدارج: هذا المصطلح استعمله الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد نعتها محمود خليل الحصري باسم المخارج الجزئية، وهي المخارج التي تدرج ضمن المخارج الكلية الخمسة (الأحياز). يُنظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص1/57. و: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص51.

⁵ الجوف: هو خلاء الحلق والغم. وهو مخرجٌ مقدّرٌ، فلا ترتيب بين أصواته ولا انقسام في مخارجها؛ لأن ذلك إنما يكون في المخرج الحَقّق دون المقدّر، لعدم وجود حيزٍ ينتهي إليه، بل ينتهي بانتهاء الصوت؛ ذلك أنّ أصواته الثلاثة (أصوات المدّ) تخرج من مبدأ النَّفْس، ثم تمتد في لين وعدم كلفة وتقرّ على خلاء الغم الداخل فيه من غير تحيزٍ، وتنتهي بانتهاء الهواء، فلا انقطاع للهواء عند خروجها، ولا تعتمد على جزء من أجزاء الحلق واللسان والشفتين؛ بينما جميع الأصوات الأخرى مخارجها محققة، لانقطاع الصوت عند حروفها، واعتمادها على أجزاء الحلق واللسان والشفتين. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص51-54.

⁶ أقصى الحلق: أي أبعد من الغم وأقرب مما يلي الصدر. يُنظر: نفسه، ص57.

⁷ وسط الحلق: هو ما لاصق الجوّزة من أسفلها، وجوّزة الحلق هو شيء ناتئ كالجوّزة في مقدم العُنق، وهو ما يُسمّيه بعض الناس بـ (فَاحَة آدم). يُنظر: نفسه، ص57.

⁸ التوسط: هو حالة بين الشدة والرخاوة، ولذلك يُسمّيها البعض بالبينية، وهي اعتدال الصوت عند التلّطّق به؛ والمتوسطة بين الشدة والرخاوة خمسة أصوات يجمعها قولك: (لن عمر)، وأضاف بعضهم إليها الياء والواو. يُنظر: التشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص1/228.

⁹ أقصى اللسان: أي عند اللهاة. يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، ص74.

¹⁰ وسط اللسان: أي عند شجر الغم، وهو منفّح بين اللحين. يُنظر: نفسه، ص74.

¹¹ الواو والياء: إذا سكنتا بعد فتح زيدٍ لهما صفة سادسة وهي اللين، ولذلك يُطلق عليهما في هذه الحالة أصوات اللين؛ واللين من الصفات الضعيفة غير المتضادة. أمّا حروف المدّ الثلاثة وهي: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، فقد زيدَ لهما صفة سادسة وهي الخفاء؛ والخفاء من الصفات الضعيفة. يُنظر: نفسه، ص112 و121.

¹² هي التون المتحرّكة أو الساكنة المظهرّة، أمّا التون المدغمة بقنة والتون المخففة فمخرجهما من الخيشوم، بينما يكون مخرج التون المدغمة بدون غنة من مخرج الحرف الذي أدغمت فيه. يُنظر: نفسه، ص66.

¹³ الخيشوم: هو أقصى الأنف، حرق الأنف المنجذب إلى داخل الغم. يُنظر: نفسه، ص69.

¹⁴ أصوات الغنة: هي التون الساكنة والتونين حال إدغامهما بقنة، وإخفائهما، والتون والميم المشدّدتان، والميم الساكنة المدغمة في مثلها، والمخففة عند الباء. إلا أنّ بعض العلماء يرى أنّ الخيشوم هو مخرج لصفة الغنة لا لأصواتها، وأنّ الغنة صوتٌ أغنّ لا عمل لسان فيه، والآتي ذكرها مع الصفات، لا مع مخارج الدّوات السبعة عشر. يُنظر: نفسه، ص69.

¹⁵ يُنظر: نفسه، ص116.



قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

- ★ القرآن الكريم: برواية ورش لقراءة نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق.
- ★ المصحف المرتل في قرص مضغوط : برواية ورش لقراءة نافع من طريق الأزرق ،
ترتيل المقرئ رشيد بلعلية بن مسعود الجزائري.

أولاً: باللغة العربيّة

أ - المطبوعة

- 01 - إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ويُسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات): الدميّاطي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
- 02 - إتفاق المباني وافتراق المعاني: تقي الدين المصري أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار-عمان، ط1، 1985م.
- 03 - أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم : فدوى محمد حسّان ، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 1432هـ-2011م.
- 04 - أثر القراءات في الأصوات والتّحو العربيّ-أبو عمرو بن العلاء : عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، ط1، 1408هـ-1987م.
- 05 - أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق : أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني الجزائري، مكتبة الرضوان-البحيرة-مصر، 2005م.



- 06 - أحكام القرآن : الجصاص أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الحنفي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان، 1405هـ.
- 07 - أحكام قراءة القرآن الكريم : محمود خليل الحصري، ضبط نصّه وعلّق عليه: محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ط 3، 1412هـ-1997م.
- 08 - أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعين : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب-القاهرة، ط2، 1993م.
- 09 - أدب الكاتب: ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي المروزي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية-مصر، ط4، 1963م.
- 10 - الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث : عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون-الجزائر، 2000م.
- 11 - ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبد التواب، ط 1، مكتبة الخانجي-القاهرة، 1998م.
- 12 - أسباب حدوث الحروف: ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام وأحمد راتب النّفاع، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة-دمشق، ط1، 1403هـ-1983م.
- 13 - إسفار الفصيح: الهروي أبو سهل محمد بن علي بن محمد النحوي، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.

- 14 - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت، ط1، 1412هـ.
- 15 - إصلاح المنطق: ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف-القاهرة، ط4، 1949م.
- 16 - أصوات اللّغة: عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب-المنيرة-مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 17 - الأصوات اللّغويّة : إبراهيم أنيس ، ملتزم الطبع والنّشر-مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة، ط4، 1971م.
- 18 - أصول تراثية في علم اللغة : كريم زكي حسام الدّين ، مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة، ط2، 1985م.
- 19 - الأصول في النحو: ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط3، 1988م.
- 20 - الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضّبّاع ، عني بقراءته وأذن بتدريسه محمد خلف الحسيني، المكتبة الأزهرية للتّراث-القاهرة-مصر، ط 1، 1420هـ-1999م.
- 21 - إعجاز القراءات القرآنية-دراسة في تاريخ القراءات واتّجاهات القراء : صبري الأشوح، مكتبة وهيبة-القاهرة-مصر، ط1، 1419هـ-1998م.
- 22 - إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب-بيروت-لبنان، 1409هـ-1988م.

- 23 - إعراب لامية الشنفرى: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، المكتب الإسلامي-بيروت، ط 1، 1984م.
- 24 - الألسنية العربية (1): ريمون طحّان ، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط 2، 1981م.
- 25 - إنباه الرواة على أنباه التّحاة : القفطيّ جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطّبع والنّشر والتّوزيع-دار الفكر العربي-القاهرة، ط1، 1406هـ-1986م.
- 26 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، دار الفكر-دمشق، (د.ط)، (د.ت).
- 27 - إيجاز التعريف في علم التصريف: ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي، دراسة وتحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ-2002م.
- 28 - البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1982م.
- 29 - البرهان في علوم القرآن: الزركشي أبو عبد الله محمّد بن بهادر بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة-بيروت-لبنان، 1391هـ.
- 30 - البيان والتبيين : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق: د.درويش جويدي، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، 1425هـ-2004م.



- 31 - تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء-الكويت، 1385هـ-1965م.
- 32 - تاريخ آداب العرب : الرافي مصطفى صادق، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، ط6، 1422هـ-2001م.
- 33 - تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1417هـ.
- 34 - تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط2، 1429هـ-2008م.
- 35 - التبيان في آداب حملة القرآن : النووي أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، الوكالة العامة للتوزيع-دمشق، ط1، 1403هـ-1983م.
- 36 - التبيان في إعراب القرآن: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق: علي محمد الجاوي، إحياء الكتب العربية-القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 37 - التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا-القاهرة، ط1، 1992م.
- 38 - التحرير والتنوير (المعروف بتنفسير ابن عاشور): ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.

- 39 - التطبيق الصّرفيّ: الرَّاجحي عبده علي إبراهيم، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع- الرياض-المملكة العربيّة السعوديّة، ط1، 1420هـ-1999م.
- 40 - التطوّر اللّغويّ-مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التّوّاب ، مكتبة الخانجي للطباعة والنّشر والتّوزيع- القاهرة- مصر، ط2، 1989م.
- 41 - تفسير أسماء الله الحسنى: الزّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السّرّي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربيّة-دمشق-سوريا، 1974م.
- 42 - تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.
- 43 - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتّوزيع-، ط 2، 1420هـ-1999م.
- 44 - التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقيّ، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف-الرياض-المملكة العربيّة السعوديّة، ط 1، 1985م.
- 45 - التّوّعات اللّغويّة : عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنّشر والتّوزيع-عمّان-الأردن، ط1، 1417هـ-1997م.
- 46 - تهذيب اللّغة: الأزهري أبو منصور محمّد بن أحمد، حقّقه وقدم له: عبد السّلام محمّد هارون، وراجعته: محمّد علي النّجار، الدار المصريّة للتّأليف والترجمة-مصر، 1384هـ-1964م.



- 47 - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ-2008م.
- 48 - التوقيف على مهمّات التعاريف: المناوي محمّد عبد الرّؤوف، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ.
- 49 - تيسير الرّحمن في تجويد القرآن: سعاد عبد الحميد ، مراجعة وتقريظ: الشّيخ أحمد أحمد مصطفى أبو حسن والشّيخ محمود أمين طنطاوي، دار التقوى للنّشر والتّوزيع-القاهرة-مصر، ط4، 1425هـ-2004م.
- 50 - التيسير في القراءات السبع: الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، ط2، 1404هـ-1984م.
- 51 - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب-الرياض-المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2003م.
- 52 - الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرّسالة-بيروت-لبنان، ط1، 1985م.
- 53 - جمهرة اللّغة: ابن دريد أبو بكر محمّد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط1، 1987م.
- 54 - الجواهر في البحور والدّوائر: رضوان محمّد حسين النّجار ، مكتبة فلاوسن-تلمسان-الجزائر، ط1، 1431هـ-2000م.

- 55 - الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه ، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق-بيروت-لبنان، ط3، 1399هـ-1979م.
- 56 - حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1402هـ-1982م.
- 57 - حجة القراءات لأبي زُرعة-دراسة تحليلية: هشام سعيد محمود التميمي ، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ-2005م.
- 58 - خزنة الأدب لب باب لسان العرب: عبد القادر البغدادي بن عمر، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1998م.
- 59 - الخصائص: بن جنّيّ أبو الفتح عثمان، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط2، 1424هـ-2003م.
- 60 - الخصائص الكبرى: السيوطي جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبي بكر ، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م.
- 61 - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : غانم قدوري الحمد، دار عمار-عمّان-الأردن، ط2، 2007م.
- 62 - دراسات لسانية تطبيقية : مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق-سوريا، ط1، 1989م.
- 63 - دراسة الصّوت اللّغويّ: أحمد عمر مختار ، مطبعة عالم الكتب-القاهرة، ط3، 1405هـ-1985م.

- 64 - دروس في علم الأصوات العربيّة: جان كانتينو، نقله إلى العربيّة وذيّله بمعجم صوتيّ فرنسي-عربي: صالح القرمادي، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية-الجامعة التونسية-تونس، 1966م.
- 65 - ديوان حميد بن ثور الهلالي ، جمعه وحقّقه: محمد شفيق البيطار ، هيئة أبي ظي للثقافة والتّراث-دار الكتب الوطنية-الإمارات العربيّة المتّحدة، ط 1، 1431هـ-2010م.
- 66 - ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائنة أبي دؤاد الإياديّ ، صنعة: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصريّة-القاهرة، ط1، 1371هـ-1951م.
- 67 - ديوان الفرزدق : شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1407هـ-1987م.
- 68 - رسالة الملائكة : أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن السلیمان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط 1، 1424هـ-2003م.
- 69 - الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: مكّي بن أبي طالب أبو محمد القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار-الأردن، ط3، 1418هـ-1996م.
- 70 - الزاهر في معاني كلمات الناس : الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- 71 - سبب وضع علم العربيّة : السيوطي جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة-دمشق، ط1، 1988م.

- 72 - السبعة في القراءات : ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف-القاهرة، ط2، 1400هـ.
- 73 - سر صناعة الإعراب : ابن جني أبو الفتح عثمان، تحقيق: د.حسن هندراوي، دار القلم، دمشق- سوريا، ط1، 1985م.
- 74 - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1402هـ- 1982م.
- 75 - الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الكردي الدويني، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية-مكة المكرمة، ط 1، 1995م.
- 76 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث-القاهرة، ط20، 1400هـ-1980م.
- 77 - شرح رسالة قالون فيما خالف فيه قالون ورشا : علي محمد الضباع ، اعتنى بها وعلّق عليها عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، ط1، 1422هـ-2001م.
- 78 - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع-دمشق، ط1، 1984م.
- 79 - شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية-باكستان، 1401هـ-1981م.

- 80 - صبح الأعشى في صناعة الإنشا : القلقشندي أحمد بن علي، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر-دمشق-سوريا، ط1، 1987م.
- 81 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.
- 82 - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقيرواه، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 83 - طبقات الشعراء : الجمحي محمد بن سلام، منشورات علي بيضون-دار الكتب العلمية-بيروت، 1442هـ-2001م.
- 84 - الطبقات الكبرى: ابن سعد محمد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1421هـ-2001م.
- 85 - ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي: أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزهراء-القاهرة-مصر، 1989م.
- 86 - علم الأصوات : برتيل مالبرج ، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب-القاهرة-مصر، 1984م.
- 87 - علم الأصوات عند ابن سينا: محمد صالح الضالع، دار المعرفة الجامعية-إسكندرية-مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 88 - علم الصّرف الصّوّي: عبد القادر عبد الجليل ، سلسلة الدراسات اللغوية (8)، دار أزمّة، 1998م.
- 89 - علم اللّغة: علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع-القاهرة-مصر، ط9، 2004م.



- 90 - علم اللغة بين التراث والمعاصرة : عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، 1987م.
- 91 - علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ: محمود السّعران ، ملتزم الطّبع والنّشر-دار الفكر العربيّ-القاهرة، ط2، 1417هـ-1997م.
- 92 - غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزريّ شمس الدّين أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد عليّ الدمشقي ، تحقيق: ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.
- 93 - الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي، الموسوعة الإسلامية العربيّة (10)، دار الكتاب اللّبناني-بيروت لبنان، ودار الكتاب المصري- القاهرة، (د.ت).
- 94 - فقه اللّغة: عليّ عبد الواحد وافي ، أطراه مجمع اللّغة العربيّة وتقرّر تدريسه بجامعة القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع-مصر، ط3، 2004م.
- 95 - فقه اللّغة-مفهومه-موضوعاته وقضاياها: محمّد بن إبراهيم الحمد، دار خزيمة للنّشر والتّوزيع-الرياض-المملكة العربيّة السّعودية، ط1، 1426هـ-2005م.
- 96 - فقه اللّغة وأسرار العربيّة: الثعالبيّ أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل ، شرحه وقدم له و وضع فهارسه: ياسين الأيوبيّ، المكتبة العصريّة-صيدا-لبنان، 1425هـ-2004م.
- 97 - فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتيبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 1974م.



- 98 - في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ : غالب فاضل المطلي ، سلسلة دراسات (364)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-دائرة الشؤون الثقافية والنشر-العراق، ط1، 1984م.
- 99 - في البحث الصوتي عند العرب: خليل إبراهيم العطيّة ، دار الجاحظ للنشر-بغداد-العراق، 1403هـ-1983م.
- 100 في اللهجات العربيّة: إبراهيم أنيس ، المكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط 3، 1965م.
- 101 في النحو العربي قواعد وتطبيق : مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط1، 1967م.
- 102 للقاموس المحيط : الفيروزآبادي ، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ، طبعة فنية منقحة مفهرسة، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
- 103 للقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين ، (دراسات في القرآن والعربيّة)، مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 104 قراءة الإمام نافع من روايتي قلون وورش من طريق الشاطبية: أحمد خالد شكري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع-الجزائر، 2004م.
- 105 للكامل في اللغة والأدب : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة-مصر، ط3، 1417هـ-1997م.
- 106 للكتاب: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب-بيروت-لبنان، ط5، (د.ت).

- 107 كتاب أسرار العربية: أبو البركات الأنباري عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل-بيروت، ط 1، 1995م.
- 108 كتاب جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر-، ط2، 1988م.
- 109 كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-بغداد-العراق، 1975م.
- 110 كتاب الكلبيات : أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1419هـ-1998م.
- 111 كتاب المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل-بيروت-لبنان، ط1، 1997م.
- 112 كتاب الوافي بالوفيات : الصفدي صلاح الدين خليل بن ابيك ، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان، ط 1، 1420هـ-2000م.
- 113 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج : أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، مطبعة فضالة-المحمدية-المغرب، 1421هـ-2000م.
- 114 اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر-دمشق، ط 1، 1995م.



- 115 اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية -بيروت، ط 1، 1419هـ-1998م.
- 116 لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : عبد العزيز مطر ، دار المعارف- القاهرة-مصر، ط2، 1981م.
- 117 لحن العامّة والتطور اللغويّ : رمضان عبد التوّاب ، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة- مصر، ط2، 2000م.
- 118 لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر-بيروت، ط1، (د.ت).
- 119 اللسانيات-المجال، والوظيفة، والمنهج: سمير شريف استيتية ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط2، 1429هـ-2008م.
- 120 اللغات السامية: تيودور نولدكه ، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة دار النهضة العربيّة-القاهرة، 1963م.
- 121 اللّغة: جوزيف فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة-مصر، 1370هـ-1950م.
- 122 اللّغة العربيّة معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب-القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م.
- 123 اللّهجات العربيّة في التراث (القسم الأوّل: في النظامين الصوّيّ والصّرّفي) : أحمد علم الدّين الجندي، الدار العربيّة للكتاب-طرابلس-ليبيا، طبعة جديدة، 1983م.

- 124 **اللهجات العربية في التراث (القسم الثاني: النظام النحوي)** : أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب-طرابلس-لبنان، 1983م.
- 125 **اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم راين** ، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان، ط1، 2002م.
- 126 **مباحث في اللسانيات-مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيب** : أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، 1999م.
- 127 **مجموع الفتاوى : ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني**، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ-2005م.
- 128 **محاضرات في فقه اللغة : زبير دراقي**، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون-الجزائر ، ط2، 1994م.
- 129 **المختص في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : ابن جني أبو الفتح عثمان، تحقيق: علي التّجدي ناصف وعبد الحلیم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل سبلي، دار سزكين للطباعة والنشر-استانبول، ط2، 1406هـ-1986م.
- 130 **الحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده** أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 2000م.
- 131 **المحيط في اللغة: الصحاح بن عبّاد** أبو القاسم إسماعيل، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب-بيروت، ط1، 1414هـ-1994م.
- 132 **مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي** ، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ-1995م.



- 133 **المخصّص: ابن سيّدة أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، تحقيق:**
خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط 1، 1417هـ-
1996م.
- 134 **المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية: عبد المجيد عابدين ،**
مطبعة الشبشكي-القاهرة، 1951م.
- 135 **المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة-: صلاح الدّين صالح حسنين ، دار**
الاتّحاد العربي للطباعة-القاهرة، ط1، 1981م.
- 136 **مدخل إلى علم اللّغة : محمّد حسن عبد العزيز ، ملتزم الطبع والنّشر-دار الفكر**
العربي-القاهرة، 1420هـ-2000م.
- 137 **مدخل إلى علم اللّغة : محمود فهمي حجازي ، دار قباء للطباعة والنّشر والتوزيع-**
القاهرة، طبعة جديدة مزيّدة ومنقّحة، 1997م.
- 138 **المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ : رمضان عبد التّوّاب ، مكتبة**
الخانجي للطباعة والنّشر والتوزيع-القاهرة، ط1، 1403هـ-1982م.
- 139 **مذكّرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق: عبد الكريم**
مقيّدش، تقديم شيخ القراء بدمشق: كريم راجح، مكتبة اقرأ-قسنطينة-الجزائر،
ط1، 2008م.
- 140 **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: السيّوطيّ جلال الدّين ، تحقيق فؤاد علي منصور،**
دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، ط1، 1998م.
- 141 **المستوى الصّوتيّ - من الظواهر الصّوتيّة عند الزرّكشي في البرهان -: تارا فرهاد**
شاكر، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2013م.



- 142 مشاهير علماء الأمصار: ابن حبان محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية-بيروت، 1959م.
- 143 لمصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين: إبراهيم عبود السامرائي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1432هـ-2011م.
- 144 مصنفات اللحن والتشريف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري: أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة-دمشق-سوريا، 1996م.
- 145 معاني القرآن: الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1411هـ-1990م.
- 146 معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب-بيروت، ط3، 1403هـ-1983م.
- 147 معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي: فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط1، 1990م.
- 148 معجم البلدان: ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي، دار الفكر-بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 149 معجم عجائب اللغة: شوقي حمادة، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 2000م.
- 150 معجم علم القراءات القرآنية: عبد العلي المسئول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م.
- 151 معجم اللسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية: بسام بركة، منشورات جروس برس-طرابلس-لبنان، ط1، 1985م.



- 152 معجم مقاييس اللغة : ابن فارس أحمد أبو الحسين بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-دمشق، 1399هـ-1979م.
- 153 المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، و محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربيّة، دار الدعوة للنشر-القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 154 معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة-بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ.
- 155 المغرب في ترتيب المغرب: ابن المطرز أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد-حلب-سوريا، ط1، 1979م.
- 156 مفاهيم في علم اللسان : التواتي بن التواتي ، سلسلة دراسات وأبحاث لغويّة، دار الوعي للنشر و التوزيع-الروية-الجزائر، 2008م.
- 157 المقتضب: المبرّد محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب-بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 158 المقتضب في لهجات العرب: محمد رياض كريم ، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفسيت-طنطا-مصر، 1417هـ-1996م.
- 159 منهاج البحث في اللّغة : تمام حسان ، دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب، 1407هـ-1986م.

- 160 **المُنْصِفُ** (شرح كتاب: التصريف للإمام أبي عثمان المازنيّ النحويّ البصريّ): ابن جنيّ أبو الفتح عثمان النحويّ، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم-وزارة المعارف العمومية-مصر، ط1، 1373هـ-1954م.
- 161 **المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف**: عبد الله بن يوسف الجديع ، مؤسّسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، ط3، 1428هـ-2008م.
- 162 **الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع-الخبر-المملكة العربية السّعوديّة، ط1، 1417هـ-1997م.
- 163 **الموسيقى الكبير: الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان**، تحقيق وشرح: غطاس عبد المالك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحنفي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 164 **التّجوم الطّوالع على الدرر اللّوامع في أصل مقراً الإمام نافع: المارغني سيدي إبراهيم**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، 1315هـ-1995م.
- 165 **النحو الوافي: عباس حسن**، دار المعارف-القاهرة-مصر، ط15، (د.ت).
- 166 **النشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقيّ**، قدّم له الأستاذ: محمد علي الضبّاع، خرّج آياته الشيخ: زكريّا عميرات، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط2، 1423هـ-2002م.
- 167 **النهاية في غريب الحديث والأثر** : ابن الأثير أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت-لبنان، 1399هـ-1979م.

- 168 همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية-مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 169 هندسة المقاطع الصوّتيّة وموسيقى الشّعْر العربيّ-رؤية لسانية حديثة (سلسلة الدراسات اللّغويّة 7): عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنّشر والتّوزيع-عمّان-الأردن، ط1، 1419هـ-1998م.
- 170 الموجد في فقه اللّغة: محمّد الأنطاكيّ، مكتبة دار الشرق-شارع سوريا-بيروت، ط2، (د.ت).

ب - المخطوطة (البحوث الجامعيّة)

- 171 "ظواهر التّشكيل الصّوتيّ عند النّحاة واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثالث الهجريّ": المهدي بوروبة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللّغة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها-جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 1422-1423هـ/2001-2002م.
- 172 "العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة-دراسة مقارنة": حسين بن زروق، أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في اللّسانيات العربيّة، كليّة الآداب واللّغات-جامعة الجزائر، 1427هـ-2005م.

ج- المجلّات والدّوريات

- 173 "أثر القراءات القرآنية في الدّرس النحويّ": مزيد إسماعيل نعيم وروفائيل أنيس مرجان، مجلة " جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة "، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، المجلد (28) العدد (1)، 2006م.

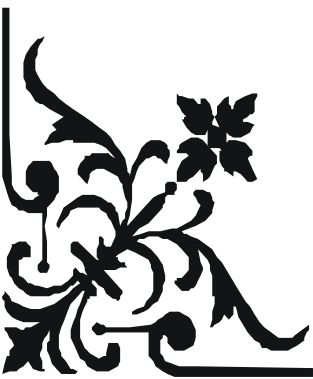
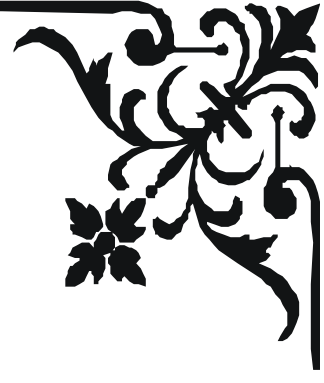
- 174 "علم الأصوات عند سيويه للمستشرق الألماني أرتور شادة (1883م-1952م) - محاضرة برؤية استشرافية مراجعة حديثة": أ.د. صبيح حمود التميمي، مجلة "آداب الرافدين"، كلية الآداب بجامعة الموصل-العراق، العدد (58)، 1432هـ-2010م.
- 175 "اللهجات العربية في كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري (ت761هـ)": صادق فوزي دباس العبادي، مجلة "القادسية للعلوم الإنسانية"، جامعة الكوفة-العراق، المجلد (10)، العددان (3-4)، 2007م.
- 176 مجلة "التراث العربي"، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق، العدد (98)، جمادى الأولى 1426هـ-حزيران 2005م.
- 177 "المصطلح اللساني بين الترجمة والتعريب": عمر لحسن، مجلة "المصطلح"، مجلة علمية أكاديمية تصدر: عن مخبر "تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية"-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، العدد(02)، فبراير 2003م.
- 178 "مقاربة لظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية- حرف اللام نموذجاً": العربي الخامر، مجلة "الإحياء"، مجلة إسلامية جامعة، رابطة علماء المغرب-المملكة المغربية، العدد (21)، شوال 1424هـ-ديسمبر 2003م.
- 179 "التطبيقات الصوتية في كتاب سيويه": الطيب البكوش، مجلة "حوليات الجامعة التونسية"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-تونس، العدد (11)، 1974م.

ثانياً: باللغة الأجنبية

180-Exercices de linguistique: Philippe Monneret, Quadriga
PUF- Paris, 1^{ère} édition, 1999.

- 181-Initiation à la linguistique: David ZEMMOUR**, Ellipse Editions Marketing S.A- Paris, 2008.
- 182-Introduction à la phonétique historique du français: Annick ENGLEBERT**, champs linguistiques de Boeck duculot-éditions- université-Bruxelles- Belgique ,1^{ere} édition, 2009.
- 183-Notes de phonétique général VIII- l'assimilation: Maurice GRAMMONT**, Bulletin de la société de linguistique T.XXIV- Paris, 1923.
- 184-Traité de philologie arabe: Henri FLEISCH**, Imprimerie catholique- Beyrouth, 1961.





فهرس الموضوعات

I	الإهداء
أ - ي	مقدمة
65 - 01	المدخل: دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية
222 - 66	الباب الأول: الظواهر الصوتية التماثلية في قراءة نافع
141 - 66	الفصل الأول: المفهوم والتفسير الصوتي للظواهر التماثلية
69	أولاً: تركيب الأصوات اللغوية
69	1- مفهومه عند علماء العربية القدامى
75	2- مفهومه عند المحدثين
78	ثانياً: الظواهر الصوتية التماثلية
78	1- مفهومها عند علماء العربية القدامى
106	2- مفهومها عند المحدثين
115	المماثلة المقابلة
118	المماثلة المدبرة
123	المماثلة المتصلة
125	المماثلة المنفصلة
128	المماثلة الكلّية
129	المماثلة الجزئية
133	التماثل في الجهر والهمس
136	التماثل في الشدة والرخاوة
137	انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف أو العكس
137	انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر

138 الإدغام
222 - 142 الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع
144 أولاً: الإدغام
156 ثانياً: أحكام التّون الساكنة والتّونين
164 ثالثاً: أحكام الميم الساكنة
166 رابعاً: أحكام اللّام الساكنة
171 خامساً: الإمالة
180 سادساً: التفخيم والترقيق
198 سابعاً: أحكام المهمزة
205 ثامناً: أحكام المدّ
208 تاسعاً: هاء الكناحي
210 عاشرًا: ياءات الإضافة
215 حادي عشر: أحكام الوقف
338 - 223 الباب الثاني: الظواهر الصّوتية التّخالفية في قراءة نافع
289 - 223 الفصل الأوّل: المفهوم والتّفسير الصّوتي للظواهر التّخالفية
224 أولاً: عند النّحاة واللّغويين القدامى
238 ثانياً: عند الصّوتيين المحدثين
247 1- المخالفة بين الصّامتين المتماثلين
271 2- المخالفة بين الصّائتين المتماثلين
278 3- المخالفة بين الصّوامت والصّوائت
284 المخالفة التّجاورية المتماصة
285 المخالفة التّباعدية

288 المخالفة المقبلة أو التقدّميّة
288 المخالفة المدبرة أو الرجعيّة
289 المخالفة الكلّيّة
289 المخالفة الجزئيّة
338 – 290 الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع
291 أوّلاً: أحكام الهمزة
303 ثانياً: الإبدال
307 ثالثاً: الحذف
309 رابعاً: التّفخيم والتّريق
311 خامساً: أحكام المدّ
319 سادساً: هاء الكناية
323 سابعاً: ميم الجمع
327 ثامناً: ياءات الإضافة
330 تاسعاً: الياءات الزوائد
334 عاشراً: الوقف
345 – 339 الخاتمة
347 – 346 ملحق (جدول خاصّ ببيان صفات الأصوات)
370 – 248 قائمة المصادر والمراجع
373 – 371 فهرس الموضوعات



Résumé:

La langue Arabe, langue du saint Coran, tente plusieurs fois d'être à l'écart par rapport à la structure de base standard des mots, pour créer une harmonie phonétique, en utilisant des lois linguistiques, dont deux types de modifications phonétiques appelés «assimilation» et «dissimilation», qui facilitent la prononciation, et améliorent la coordination des organes phonateurs, et assurent l'économie articulatoire en dépensant le moins d'énergie possible.

Pas mal de fois, la prononciation de deux sons en contact, avec des caractéristiques différentes ou semblables, cause une mauvaise coordination des organes phonateurs; si les deux sons en contact sont différents, l'assimilation phonétique tend, par l'influence de l'un des deux ou d'un troisième son, à réduire les différences entre les deux, elle consiste en l'acquisition par l'un d'eux d'une ou plusieurs caractéristiques propres à l'autre, sans que cela nuise à la compréhension. À l'inverse, lorsque deux sons semblables ou identiques en contact, contigu ou non, s'éloignent l'un de l'autre, et modifient certaines de leurs caractéristiques de façon à être plus faciles à distinguer l'un de l'autre dans la chaîne parlée, on parle alors de la dissimilation. Ces deux phénomènes phonétiques, l'assimilation et la dissimilation, apparaissent fréquemment en lectures Coraniques, dont la lecture de l'imam Nâfi rapportée par le récit de Warch par la voie de son élève Al-Azraq, à partir des règles d'intonation Coraniques (At-tajwid).

Mots clés: Lectures Coraniques; Règles d'intonation Coranique (At tajwid); Phonétique; Consonnes; Voyelles; Semi-voyelles; Points d'articulation; Traits phonétiques; Assimilation; Dissimilation.

Abstract:

The Arabic language, the language of the Holy Quran, aims several times to get away from the standard basic structure of words, in order to create a phonetic harmony, by using language rules, including two types of phonetic changes called «assimilation» and «dissimilation» so that the pronunciation becomes easier, enhance, thus, the coordination between the different speech organs, gaining more articulation economy and therefore producing minor articulator efforts.

Quite often, the utterance of two neighboring sounds with different or similar characteristics, leads to bad coordination among the various speech organs; in case these sounds are different, «phonetic assimilation» tends, under the influence of one of them or another third sound, to reduce differences between these two sounds, and one of them acquires one or more characteristics of the other, without affecting the meaning. Conversely, when two similar or identical neighboring sounds, contiguous or not, move away from each other, and modify some of their characteristics so as to be more easily distinguishable from each other in the spoken chain, this is called «dissimilation». These two phonetic phenomena, assimilation and dissimilation, frequently occur in Quranic readings, including the reading of imam Nafi reported by Warsh story through his student Al-Azraq, based on the rules of Quranic intonation (At-tajweed).

Keywords: Quranic readings; Quranic intonation rules (At-tajweed); Phonetic; Consonants; Vowels; Semivowels; Areas of articulation; Phonetic features; Assimilation; Dissimilation.

المستخلص:

كثيراً ما تلجأ اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، للعدول عن الأصل اللغوي إلى الفرع لتحقيق الانسجام الصوتي، وتقليل الجهد العضلي المبذول في أثناء النطق؛ فتستعين لتحقيق ذلك ببعض القوانين والآليات اللغوية، أبرزها يتمثل في تلك الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية، التي تجعل من صعوبة التطق سهولة ويسراً، ومن الثقل المستكروه خفةً واتزاناً؛ فيتم التخلص من الأصوات المتجاورة العسيرة نطقاً؛ إما لأنها مختلفة صفةً أو مخرجاً، حيث يتأثر أحد الصوتين المختلفين المتجاورين بالآخر أو بصوت ثالث غيرهما، وينقلب إلى صوت آخر يُماثل مجاوره، فتحدث المماثلة الصوتية؛ أو ربما يكون الصوتان المتجاوران متماثلين أو متقاربين، فيتم إبدال أحدهما صوتاً آخر، غالباً ما يكون من الصوت، أو أحد أشباه الصوت المعروفة بالأصوات المائعة، وتحدث المخالفة الصوتية. وقد جاءت القراءات القرآنية، ومنها قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، غنية بهذه الظواهر الصوتية، حيث تُنتقى الأصوات لتحدث التآلف والانسجام في تركيبها؛ ولذلك اعتنى علماء العربية والقراءات والتجويد، بما تُحدثه الأصوات بعضها في بعض إذا تجاورت، ويظهر ذلك بوضوح من خلال أحكام التجويد والأداء القرآني.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية؛ أحكام التجويد؛ علم الأصوات؛ الصوتات؛ الصوائت؛ أشباه الصوتات؛ مخارج الأصوات؛ الصفات؛ التماثل الصوتي؛ التخالف الصوتي.

ملخص أطروحة دكتوراه في العلوم تخصص اللسانيات العربية
بعنوان:

الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في قراءة نافع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل العربية فاختارها لغة القرآن، وزين الإنسان بالكلام
والبلاغة والبيان، والصلاة والسلام على خير الأنام وسيد الخلق أجمعين، وعلى آله
وصحبه الغر الميامين؛ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ
لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ أما بعد...

إن التطور اللغوي، في جملة، كان ولا يزال نتيجة الصراع المستمر بين
حاجات الإنسان الاتصالية، وميله إلى تخفيض نشاطه العضلي والعقلي؛ وقد
تمثلت أهم دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية في تلك الاتجاهات
التي تحكم الأنظمة الصوتية أو ما يُعرف باسم القوانين الصوتية التي كانت سبباً
في اختلاف اللهجات العربية التي نزل القرآن الكريم موافقاً لبعضها، وقد كان
ذلك سبباً لاختلاف القراءات القرآنية.

ولقد اهتم العلماء، قديماً وحديثاً، بتتبع ودراسة الظواهر الصوتية للغة، نظراً لما
يعتري الأصوات اللغوية من تطور وتغير وتبدل؛ وحاولوا تفسيرها، وتحديد
أسبابها وأهم مظاهرها؛ ذلك أن الدراسة الصوتية هي الركيزة الأساس في البناء
اللغوي، فاللغة هي في الأصل نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها
الإنسان منذ آلاف السنين قبل أن يكتبها؛ ولقد كان علماء العربية القدامى على
وعي تام بذلك؛ وليقينهم أن النظام الصوتي هو الجانب العملي للغة، فقد اعتنوا
عناية خاصة بتحديد هوية العنصر الصوتي وتشخيصه استناداً إلى تحديد مخرجه
وصفاته؛ كما أنهم لم يكتفوا بدراسة الأصوات اللغوية منفردة خارج مدرج
الكلام، لأنها تبقى قاصرة، فعملية التبليغ إنما تتم باتصال هذه العناصر بعضها
ببعض وفق نظام خاص، وهو ما يُعرف بتركيب الأصوات اللغوية.



وقد تستثقل اللغة العربية بعض التراكيب في أبنيتها ، فتقوم بالعدول عن الأصل إلى الفرع ، فراراً من ذلك الثقل ، وتحقيقاً للانسجام الصوتي ، وتيسيراً للنطق بتقليل الجهد العضلي ، مع مراعاة القواعد التي تعارفَ عليها العرب وعدم الإخلال بالمعنى العام للكلام؛ ولتحقيق ذلك كله تستعين العربية ببعض الظواهر الصوتية، ومن أهمها الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية ، التي تتصرف في العلاقات التي تربط الأصوات بعضها ببعض؛ وهذه العلاقات إما أن تكون علاقة تباعد، أو تكون علاقة تقارب أو تجانس ؛ فإذا كان الصوتان المتجاوران متباعدين في الصفات أو المخارج، تأثر أحدهما بالآخر أو بصوت ثالث غيرهما، وتحوّل إلى صوت يُماثل مجاوره، وهو ما يُعرف بالتماثل الصوتي؛ أمّا إذا كان الصوتان المتجاوران متماثلين أو متقاربين في المخرج أو الصفة، وحدث بسبب ذلك ثقلٌ مستكرهٌ، فإنّ العربية تلجأ إلى إبدال أحدهما صوتاً آخر، غالباً ما يكون صوتَ علّةٍ أو صوتاً من الأصوات المائعة، وهذا ما اصطُح عليه بالتخالف الصوتي؛ ولقد فطن علماء العربية القدامى إلى ذلك، فقد علموا أنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضليّ كبير للنطق بهما في كلمة واحدة ، ولما كانت أصوات المدّ واللين وأشباهها لا تتطلبُ جهداً عضلياً كبيراً ، بفضل خصائصها الصوتية ومواقع صدورها، فقد حلّت محلّ أحد المتماثلين.

ولذلك عالج علماء العربية القدامى الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية بدقّة فائقة، وخلصوا إلى أنّ أهل البادية من القبائل العربية القديمة كانوا يميلون أكثر من غيرهم إلى المماثلة الصوتية في لهجاتهم، بخلاف أهل المدن والحضر؛ ولعلّ السبب في ذلك هو ما أثر عن أهل البدو من السرعة في الكلام وميلهم إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ المبذول أثناء النطق؛ كما بينوا أنّ المخالفة الصوتية تشغل حيزاً لغوياً أقلّ ممّا تشغله ظاهرة المماثلة؛ وأشاروا في أكثر من موضع إلى



أنّ العربيّة تستنجد بالمخالفة، في أغلب أحوالها، إذا كان الصّوتان المتجاوران من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة، معلّين ذلك بأنّ هذه الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير للنطق بها، وهذا ما أقرّه الدّرس الصوتي الحديث؛ إلاّ أنّ معالجة علماء العربيّة القدامى لتلك المسائل كانت تفتقر إلى الشمولية والاستقلالية وإلى منهج واضح المعالم، حيث تناولوا جزئياً موزعة على أبواب متفرقة وبمسميات متعدّدة، فتناولوها ضمن ظواهر لغويّة كالإعلال والإبدال والإدغام؛ والتفخيم؛ والإمالة وغير ذلك من مسائل الصّرف والنحو.

وعلى العكس من ذلك، فإنّ المهتمّين بعلم الأصوات الحديث قد تناولوا هذه الظواهر الصوتيّة وفق منهج علميّ دقيق، واستطاعوا تحديد كلّ جزئياتها وتفصيلها، فأوضحوا أنّ المماثلة الصوتيّة (Assimilation) تتمّ حين تتأثّر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، سواءً أكانت صوامت أم صوائت، حيث يفقد الصّوت المتأثّر، في كثير من الأحيان بعض خصائصه، وفي أحيان أخرى يفقد كلّ خصائصه ويكتسب خصائص الصّوت المجاور له، فيحدث بينهما نوع من التوافق والانسجام، ولا يُشترط في الصّوتين المختلفين ملاصقة أحدهما للآخر، وإنّما يكفي أن يتجاورا لكي تتحقّق المماثلة؛ كما بينوا أنّ تأثير الصّوائت على الصّوامت هو الأكثر شيوعاً؛ وأوضحوا أنّ التّمائل يحدث أيضاً بين الصّوامت فقط، أو بين الصّوائت فقط؛ ويكون على مستوى مخارج الأصوات، أو صفاً، أو كليهما معاً؛ كما قرّروا بأنّ أشكال المماثلة الصوتيّة ثمانية، فهي إمّا أن تكون: ملثلة كلية مقبلة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو كلية مدبرة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو جزئية مقبلة متصلة؛ أو منفصلة؛ أو جزئية مدبرة متصلة؛ أو منفصلة. وعلى عكس ذلك، فإنّ تجاور الأصوات التماثلية أو المتقاربة يؤدّي، في كثير من الأحيان، إلى حدوث تصدّع يمس أبنية اللّغة



العربية، ويستثقل تركيبها ، فتلجأ العربية حينئذٍ إلى ملاذ غير المماثلة لتحقيق الأهداف نفسها، من درء الثقل و طلب الخفة واليسير في النطق ورأب ذلك التصدّع، فتتخذ من التخالف والمغايرة بين تلك الأصوات سبيلاً لذلك، حيث تعتمد المخالفة في أغلب أحوالها إلى إبدال أحد التماثلين بصوت مدّ ولين أو بأحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين كاللام والنون؛ وقد جعل بعض الصوّتين المحدثين هذا التغير الصوتي المضاد للمماثلة ، نوعين: نوع في حالة كون الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف غير متصلة، أي كون الفونيمات مفصولة عن غيرها، وأسموهُ المخالفة، مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Dissimilation)؛ وآخر يخصّ الوحدتين المتصلتين ، أي كون الفونيمين متجاورين، وأطلقوا عليه مصطلح التنويع (Différenciation). وقد قرّر بعض المهتمين بالدّرس الصوتي الحديث أنّ ظاهرة التّماثل الصّوتيّ تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ، على حساب الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصّوتين؛ وأنّ التّخالف الصّوتيّ، على العكس من ذلك، يهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، و لا يلقي بالألّا إلى العامل التّطقيّ الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصّوتين؛ وأنّ التّخالف يحدث على مستوى مخارج الأصوات ، أو صفاقتها، أو مقاطعها؛ وقد يحدث فيها مجتمعة؛ ويترتب عن ذلك عدّة تغييرات ، منها: تغيير في البنية الصوتية (بإبدال صوت بصوت آخر)؛ أو تغيير المقاطع الصوتية؛ أو تغييرات في البنية الصرفية (بحدف صوت أو صوتين)؛ أو تغيير في الميزان الصرفي؛ أو تأثر إعراب الكلمة (كحركة إعراب جمع المؤنث السالم)؛ وقد تحدّث التغييرات فيها مجتمعة، أو في بعضها . إلا أنّ المؤاخذ على المهتمين بعلم الأصوات العربية



الحديث أنهم لم يستقروا على مصطلحات بعينها للدلالة على الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية، ولعل الاختلاف في الترجمة هو السبب الرئيس في ذلك. أما القراء وعلماء التجويد والقراءات فقد جاءت دراساتهم لهذه الظواهر الصوتية وغيرها، أكثر شمولية واستقلالية، مقارنة بمن سبقهم من النحاة واللغويين؛ ذلك أنهم اعتمدوا منهجاً واضح المعالم في معالجتهم لمثل هذه الظواهر، وقد كانت دراساتهم الصوتية عملية تطبيقية، أكثر منها نظرية، من خلال ما أثبتوه من قواعد تجويد وقراءة القرآن، ولا تزال بصمات علماء التجويد والقراءات واضحة المعالم في هذا الجانب، فجهود ابن مجاهد (ت324هـ) وأبي عمرو الداني (ت444هـ) وابن الجزري (ت833هـ) وغيرهم في المجال الصوتي كثيرة ومتعددة، إذ كانت مرتبطة بالقرآن الكريم، وخاصة بعد أن دخل في الإسلام أقوام لغاتهم الأصلية مختلفة، فحدث احتكاك لساني بين لغاتهم واللغة العربية، وتسَلَّت بعض الظواهر النطقية إلى ألسنة بعض العرب، ولم يسلم القرآن الكريم من ذلك، حيث ظهرت تلك الظواهر الغريبة في أداء آياته، وذاع اللحن في أواخر القرن الأول الهجري، فخشي علماء الإسلام على اللغة العربية الفصحى وعلى القرآن الكريم، وتوجّب عليهم أن يحدّدوا المعايير النطقية الصحيحة ليكون الأداء القرآني سليماً، وبذلك وُضعت الأسس الأولى لعلم التجويد إلى أن استوى علماً ناضجاً قائماً بذاته.

وقد حاولت، من خلال إدراكي المتواضع لهذه المفاهيم النظرية التي جمعتها ودرستها في الفصلين النظريين من البابين الأول والثاني، أن أقف على مواطن تجليات الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، ولقد اخترت هذه القراءة نموذجاً لبحثي هذا، لما تميّزت به عن غيرها من القراءات، فهي وإن اتّفتت مع باقي القراءات القرآنية



في أداء بعض الظواهر الصوتية، إلا أنها تختلف في أداء بعضها الآخر، شأنها في ذلك شأن اللهجات العربية القديمة؛ ثم بوصفها القراءة المعتمدة في معظم دول المغرب العربي، فهي تُدرّس في مساجدنا ومعاهدنا ويتداولها أغلب القراء في بلدنا الجزائر. وقد تبين لي من خلال الفصلين التطبيقيين أن تلك الأحكام القرائية ترتبط، بطريقة مباشرة وغير مباشرة، بالظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور، فكّلها أحكام تتبدّل وتتغير بتغير مواقع الأصوات في التركيب؛ وأثبت ذلك في الفصلين التطبيقيين: الثالث (الخاص بالظواهر الصوتية التماثلية)، والرابع (الخاص بالظواهر التخالفية)، واستعنت في ذلك بأحكام التجويد لهذه القراءة، ومن تلك الأحكام: الترقيق والتفخيم؛ أحكام الهمزة؛ أحكام المد والقصر؛ هاء الكناية؛ ياءات الإضافة؛ وأحكام الوقف؛ حيث تجلّت في هذه الأحكام الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في آن واحد؛ بينما خصّت الظواهر التماثلية بأحكام الإدغام بلنوعه؛ والنون الساكنة والتنوين؛ وأحكام الميم واللام الساكنتين؛ والإمالة؛ أما الظواهر التخالفية فقد خصّت بأحكام المقاطع؛ والإبدال؛ والحذف؛ وميم الجمع؛ والياءات الزوائد. وقد حاولت تفسير هذه الأحكام تفسيراً صوتياً، على أن يكون هذا التعليل والتفسير فرعاً لا أصلاً، لأن الأصل في أحكام التجويد هو التلقي والمشاهدة والنقل.

والملاحظ في بحثي المتواضع هذا أنني اقتفيت أثر أسلافنا القدماء وعلمائنا الأجلّاء، الذين أفنوا حياتهم في خدمة لغتهم وقرآن ربهم فأفادوا عصرهم، وأفاد منهم من جاء بعدهم، أقرّ بفضلهم من أقرّ، وجحده من جحد، على أن لا أغفل أو أبخس العلم الحديث حقه في دفع عجلة العلم إلى الأمام؛ ولعلّ ميولي إلى الجانب الصوتي في الدراسات اللغوية، وحبّي للرياضيات، من أهمّ دواعي



اختياري لهذا الموضوع، كون اللغة هي أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، ثم كون الدراسات الصوتية تعتمد بالأساس على المنطق الرياضي. وجعلتُ موضوع القراءات مطلي وغايي، لأنها تناولت الكثير من الضوابط الأدائية التي قد لا نجدُها في مصادر اللغة العربية ككتب الصّرف والتّحو؛ ثمّ للإحساس الذي أجده عند تلاوتي للقرآن الكريم، وما يحويه من كنوز لسانية مختلفة ومتعدّدة؛ وقبل هذا وذاك لاستنادها إلى الدقة في التوثيق والنقل، ولما فيها من المادّة الوفيرة التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى، وما تضمّنته من تطبيقات للدراسات الصوتية.

وما زادني إصرارا على المضيّ قُدماً في بحثي الذي وسمته «الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية في قراءة نافع» هو قلة البحوث والدراسات والمصنّفات التي عنيت بهذه القراءة، والتي على قِلّتها، لم تتناول قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق من كل جوانبها، وخاصة الجانب الصوتي منها، إذ فيها من الظواهر الصوتية ما يتطلب الوقوف عليها ملياً.

وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي، بوصف الظواهر الصوتية التماثلية والتخالفية، وتحديد خصائصها، وكيفية تداولها لدى الناطقين بالعربية، قديماً وحديثاً؛ وكذا دراسة البنى الوظيفية وسياقاتها وطبيعة فونيماتها التركيبية، مستعينا بالإجراء التحليلي. وارتأيت أن أبدأ بدراسة هذه الظواهر الصوتية، من منظور القدماء والمحدثين، قبل تتبّع مواطن حدوثها في قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق، لأسباب دراسية، الهدف منها إعطاء فكرة عن خصائص وأنواع هذه الظواهر الصوتية قبل بسطها في هذه القراءة، فعرضتُ مباحث هذه الأطروحة وفق خطة تمثّلت في مدخل وبابين بأربعة فصول وخاتمة، مرسومةً على الشكل الآتي:



المدخل: دواعي نشوء الظواهر الصوتية في اللغة العربية.

الباب الأول: الظواهر الصوتية التماثلية في قراءة نافع.

الفصل الأول: المفهوم والتفسير الصوتي للظواهر التماثلية.

أولاً: تركيب الأصوات اللغوية.

1 - مفهومه عند علماء العربية القدامى.

2 - مفهومه عند المحدثين.

ثانياً: الظواهر الصوتية التماثلية.

1 - مفهومها عند علماء العربية القدامى.

2 - مفهومها عند المحدثين.

الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع.

الباب الثاني: الظواهر الصوتية التخالفية في قراءة نافع.

الفصل الأول: المفهوم والتفسير الصوتي للظواهر التخالفية.

أولاً: عند النحاة واللغويين القدامى.

ثانياً: عند المحدثين.

الفصل الثاني: تطبيقات ذلك في قراءة نافع.

الخاتمة.

وقد أعانني، في بحثي هذا، بعض الدراسات الحديثة التي تناولت جانباً مهماً من هذه الظواهر الصوتية، وفي مقدمتها رسالة دكتوراه الدولة لأستاذي الفاضل المهدي بوروبة - شافاه الله وعافاه، والتي تناول فيها هذه الظواهر عند النحاة واللغويين القدماء وعند المحدثين؛ كما أفدت كثيراً من الجهود الجبارة التي قام بها بعض الأساتذة المعاصرين كالدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»، و«أثر القراءات في الأصوات والنحو



العربي»، أو ما ذكره بعض الدارسين في ثنايا كتبهم أمثال الدكتور عاطف مدكور الذي تناول هذه الظواهر في باب التغيير اللغوي من كتابه «علم اللغة بين التراث والمعاصرة»، والدكتور أحمد مختار عمر الذي تناولها في كتابه «دراسة الصوت اللغوي» أثناء حديثه عن التطور في أصوات اللغة العربية، وغيرها من الجهود التي وإن لم تخص هذه القراءة وهذه الظواهر بالدراسة إلا أنها أفادتني كثيراً في إنجاز هذا البحث، الذي أهدف من خلاله إلى إبراز مكونات تراثنا الثري، بالدراسة والبحث والتنقيب، وإحياء التراث اللساني في مجال الصوتيات العربية ومحاولة الاستفادة منه في خدمة اللغة العربية وضبط معايير الأداء، مع الاستفادة من منجزات البحث اللساني الحديث؛ وقد أعجبتني إشارة أحد الباحثين إلى أننا بحاجة ماسة، في هذا العصر، إلى مدرسة خليلية حديثة تنظر إلى التراث العربي من منظور حديث.

وإنني لأعترف أن مجال بحثي هذا وعر المسالك، إلا أنني بذلت قصارى جهدي لأستوفيه حقه، فإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. متمنياً أن تكون مساهمتي بمجهودي المتواضع هذا إثراء للبحث اللغوي، وأن يكون إضافة علمية فكرية ولبنية في صرح الصوتيات العربية، مدعاة للنقاش، مُحفِّزاً للاجتهد والمعرفة.

سائلاً الله عز وجل أن يُوفِّقنا ويُسدّد خطانا ويحفظنا من الزلل والخطأ، شاكرًا لجميع أساتذتي الذين لم ييخلوا عليّ بعباءاتهم وعلمهم، وأخص بالذكر أعضاء اللجنة العلمية، ورئيس شعبة اللسانيات العربية، الذي أشرف على هذه الأطروحة، الأستاذ الدكتور المهدي بوروبة، الذي أوجّه له عظيم الشكر والتقدير على ما قدّمه لي من يد العون والتوجيه والنصائح دونما كلل أو ملل،



وعلى جهده المبذول لإنجاح هذه الدفعة، داعياً له بالشفاء العاجل، ليعود إلى العطاء العلميّ والمعرفيّ، فيفيد الطلبة من علمه وتواضعه؛ كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور **عبد الجليل مرتاض**، على قبوله **متابعة الإشراف عليّ** في إعداد هذه **الأطروحة**، ولئن كان لهذا البحث نصيب من النجاح فلأنّه أشرف عليه، فله الفضل والشكر بعد **الله تعالى** على كلّ ما بذله من جهد ورعاية لإنجاح هذا العمل.

ولا يفوتني أن أتوجّه بعظيم الشكر والامتنان إلى كلّ من غدّي روحي وعقلي بالعلم والمعرفة والأخلاق والأدب، **أبي رحمة الله عليه** و**أمي الغالية** التي لولا دعواتها المباركة لما بلغت هذه المرتبة العلمية، وإلى **روح أخي أحمد** الذي فارقنا قبل مناقشة هذه الأطروحة ببضعة أسابيع، وقد كان حريصاً في حياته على إتمامي لهذا العمل، عليه **رحمة الله الواسعة**.

وإلى جميع أساتذتي بدءاً **بمعلمي التعليم الابتدائي** ووصولاً إلى **أساتذة التعليم العالي**؛ وفي مقدّمهم **الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة** ورئيسها، الذين تحمّلوا عناء ومشقة السفر لحضور هذه الجلسة العلمية ومناقشة محتوى هذه الأطروحة وتقويمها وتقييمها.

والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل.

وشكراً.

الطالب: **راشد شقوفي**

تلمسان، مساء يوم الاثنين 16 ربيع الأول 1437هـ

28 ديسمبر 2015م.

الموافق لـ

